عوارف المعارف (فهرست ۱۰ ک ب علانوشته نشود)

هذا كتابنا

بالدلوات عن الشهوات وتعوضوا بحلاوة التلاوة عن اللذات يلوح من صفحات وجوهم
بشر الوجدان وينم على مكنون سرهم نضارة العرفان لا يزال في كل عصر وزمان منهم
علماء قائمون بالحق داعون للخلق منحوا حسن المتابعة رتبة الدعوة وجعلوا للمتقين
قدوة فلا يزال يظهر في الخلق آثارهم ويزهر في الآفاق أنوارهم من اقتدى بهم
اهتدى ومن أنكرهم ضل واعتدى فلله الحمد على ما هيأ للعباد من بركة خواص
حضرته من أهل الوداد والصلوة والسلام على محمد نبيه ورسوله وآله وصحبه
الأكرمين الأمجاد ثم إن إيثاري لهدي هؤلاء القوم ومحبتي لهم علما بشرف حالهم وصحة
طريقتهم المبنية على الكتاب والسنة المتحقق بها من الله الكريم الفضل والمنة حداني
على أن أذب عن هذه العصابة بهذه الصبابة وأولف أبوابا في الحقائق والآداب
معربة عن وجوه الصواب فيما اعتمدوه مشعرة بشهادة صريح العلم لهم فيما
اعتقدوه حيث كثر المتشبهون واختلفت أحوالهم وتستر بزيهم المتسترون
وفسدت أعمالهم وسبق إلى قلب من لا يعرف أصول سلفهم سوء ظن كاد لا يسلم
من وقيعة فيهم وطعن ظنا منه أن حاصلهم راجع إلى مجرد رسم وتخصيصهم عائد إلى
مطلق اسم وفيما حضرني فيه من النية أن أكثر سواد القوم بالاعتزاء إلى طريقتهم
والإشارة إلى أحوالهم وقد ورد من كثر سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم
صحة النية فيه وتخليصها من شوائب النفس وكلما فتح الله تعالى علي فيه منح من الله الكريم
وعوارف وأجل المنح عوارف المعارف والكتاب يشتمل على نيف وستين بابا والله
المعين فمن ذلك **الباب الأول** في منشأ علوم الصوفية **الباب
الثاني** في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع **الباب الثالث** في بيان
فضيلة علوم الصوفية والإشارة إلى أنموذج منها **الباب الرابع** في شرح
حال الصوفية واختلاف طريقهم **الباب الخامس** في ذكر ماهية التصوف
الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم **الباب السابع** في ذكر
المتصوف والمتشبه به **الباب الثامن** في ذكر الملامتي وشرح حاله
الباب التاسع في ذكر من انتمى إلى الصوفية وليس منهم **الباب العاشر**
في ذكر رتبة المشيخة **الباب الحادي عشر** في شرح حال الخادم ومن تشبه

الباب الثاني عشر في شرح خرقة مشايخ الصوفية الباب الثالث عشر
في فضيلة سكان الرباط الباب الرابع عشر في مشابهة اهل الرباط باهل الصفة
الباب الخامس عشر في خصائص اهل الرباط فيما يتعاهدونه بينهم الباب السادس
عشر في اختلاف احوال المشايخ بالسفر والمقام الباب السابع
عشر فيما يحتاج اليه المسافر من الفرائض والفضائل الباب الثامن
عشر في القدوم من السفر ودخول الرباط والادب فيه الباب
التاسع عشر في حال الصوفي المتسبب الباب العشرون في
حال من يأكل من الفتوح الباب الحادي والعشرون في شرح حال المتجردين من
الصوفية والمتأهلين الباب الثاني والعشرون في القول في السماع قبولا
وايثارا الباب الثالث والعشرون في القول في السماع ردا وانكارا
الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ترفعا واستغناء الباب
الخامس والعشرون في القول في السماع تأدبا واعتناء الباب السادس
والعشرون في خاصية الاربعينية التي يتعاهدها الصوفية الباب
السابع والعشرون في ذكر فتوح الاربعينية الباب الثامن والعشرون
في كيفية الدخول في الاربعينية الباب التاسع والعشرون في ذكر اخلاق
الصوفية وشرح الخلق الباب الثلاثون في تفاصيل الاخلاق الباب
الحادي والثلاثون في الادب ومكانه من التصوف الباب الثاني والثلاثون
في اداب الحضرة الالهية لاهل القرب الباب الثالث والثلاثون في اداب
الطهارة ومقدماتها الباب الرابع والثلاثون في اداب الوضوء واسراره
الباب الخامس والثلاثون في اداب اهل الخصوص والصوفية في الوضوء
الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها الباب
السابع والثلاثون في وصف صلاة اهل القرب الباب الثامن والثلاثون
في ذكر اداب الصلوة واسرارها الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم
الباب الاربعون في احوال الصوفية في الصوم والافطار الباب الحادي
والاربعون في اداب الصوم ومهامه الباب الثاني والاربعون في

ذكر

ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة الباب الثالث والاربعون
في اداب الاكل الباب الرابع والاربعون في اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه
الباب الخامس والاربعون في ذكر فضل قيام الليل الباب السادس
والاربعون في الاسباب المعينة على قيام الليل واداب النوم الباب
السابع والاربعون في اداب الانتباه من النوم الباب الثامن والاربعون
في تقسيم قيام الليل الباب التاسع والاربعون في استقبال النهار
والادب فيه الباب الخمسون في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الاوقات
الباب الحادي والخمسون في اداب المريد مع الشيخ الباب الثاني
والخمسون فيما يعتمده الشيخ مع الاصحاب والتلامذة الباب الثالث والخمسون
في حقيقة الصحبة وما فيها من الخير والشر الباب الرابع والخمسون في اداء حقوق
الصحبة والاخوة في الله تعالى الباب الخامس والخمسون في اداب الصحبة والاخوة
الباب السادس والخمسون في معرفة الانسان نفسه ومكاشفات الصوفية
من ذلك الباب السابع والخمسون في معرفة الخواطر وتمييزها وتفصيلها
الباب الثامن والخمسون في شرح الحال والمقام والفرق بينهما الباب
التاسع والخمسون في الاشارة الى المقامات على الاختصار والايجاز الباب
الستون في ذكر اشارات المشايخ في المقامات على الترتيب الباب الحادي
والستون في ذكر الاحوال وشرحها الباب الثاني والستون في شرح
كلمات من اصطلاح الصوفية مشيرة الى الاحوال الباب الثالث والستون
في ذكر شيء من البدايات والنهايات وصحتها فهذه الابواب تجري بعون الله تعالى
مشتملة على بعض علوم الصوفية واحوالهم ومقاماتهم وادابهم واخلاقهم وغرائب
مواجيدهم وحقائق معرفتهم وتوحيدهم ودقيق اشاراتهم ولطيف اصطلاحاتهم
فعلومهم كلها انباء عن وجدان واعتزاء الى عرفان وذوق تحقق بصدق الحال ولم يف
باستيفائه صريح المقال لانها مواهب ربانية ومنائح حقانية استنزلها
صفاء السرائر وخلوص الضمائر فاستعصت بكنهها على الاشارة وطفحت على العبارة
وتهادتها الارواح بدلالة التشام والائتلاف وكرعت حقائقها من بحر الالطاف

وقد اندرس الكثير من دقيق علومهم كما انطمس كثير من حقايق رسومهم • وقد قال
الجنيد رحمة الله عليه علمنا هذا طوي بساطه من كذا وكذا سنة ونحن نتكلم
في حواشيه • هذا القول منه في وقته مع قرب العهد بعلماء السلف وصالح
التابعين فكيف لنا بذلك مع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين العارفين بحقايق
علوم الدين • والله المامول ان يقابل جهد المقل بحسن القبول • بمنه وكرمه

الباب الاول — في ذكر منشا علوم الصوفية

• حدثنا
شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردي
املا من لفظه في شوال سنة ستين وخمسمايه قال اخبرنا الشريف نور الهدى
ابو طالب الحسين بن محمد الزينبي قال اخبرتنا كريمة بنت احمد بن محمد المروزية المجاورة
بمكة حرسها الله تعالى قالت انا ابو الهيثم محمد بن المكي الكشميهني قال انا ابو عبد الله
محمد بن يوسف الفربري قال انا ابو عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري قال انا ابو
كريب قال انا ابو اسامة عن بريد عن ابي بردة عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل
اتى قوما فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجا النجا
فاطاعه طايفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طايفة منهم
فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني فاتبع ما
جيت به ومثل من عصاني وكذب بما جيت به من الحق • وقال صلى الله عليه وسلم
مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت طايفة
منها طيبة قبلت الما وانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها طايفة اخاذات
امسكت الما فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طايفة
اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما
بعثني الله به فعلم وعلم • ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به
قال الشيخ رضي الله عنه اعد الله تعالى لقبول ما جا به رسول الله صلى الله عليه
وسلم اصفى القلوب وازكى النفوس فظهر تفاوت الصفا والتزكية في تفاوت الفايدة
والنفع فمن القلوب ما هو بمثابة الارض الطيبة التي انبتت الكلا والعشب الكثير

وهذا

وهذا مثل من انتفع بالعلم في نفسه واهتدى ونفعه علمه وهداه الى الطريق القويم
من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن القلوب ما هي بمثابة الاخاذات
اي الغدران جمع اخذ وهو المصنع والغدير الذي يجمع الماء فيه فنفوس العلماء الزاهدين
من الصوفية والشيوخ زكت وقلوبهم صفت فاختصت بمزيد النابة فصاروا
اخاذات قال مسروق صحبت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوجدتهم كالاخاذ لان قلوبهم كانت واعية فصارت اوعية للعلوم بما رزقت كالاخاذات
من صفاء الفهوم • اخبرنا الشيخ الامام رضي الدين ابو الخير احمد بن اسمعيل القزويني
رحمة الله عليه اجازة قال انا ابو سعيد محمد الخليلي قال انا القاضي ابو سعيد محمد
الفرخزادي قال انا ابو اسحق ابراهيم بن احمد بن محمد الثعالبي قال انا ابن فنجويه قال
انا ابن حبان قال ثنا اسحق بن محمد قال ثنا ابي قال ثنا ابراهيم بن عيسى قال ثنا علي بن
علي قال ثنا ابو حمزة الثمالي قال حدثني عبد الله بن الحسن قال حين نزلت هذه الاية
وتعيها اذن واعية قال رسول الله صلى الله عليه لعلي رضي الله عنه سالت الله
تعالى ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فما نسيت شيا بعد وما كان لي ان انساه ••
قال ابو بكر الواسطي اذان وعت عن الله تعالى اسراره • وقال ايضا واعية في
معادنها ليس فيها غير ما شهدها شي فهي الخالية عما سواه فما اضطراب الطبايع الا من
من الجهل فقلوب الصوفية وعت لانهم زهدوا في الدنيا بعد ان احكموا اساس التقوى
فبالتقوى زكت نفوسهم وبالزهد صفت قلوبهم فلما عدموا شواغل الدنيا بتحقق الزهد
انفتحت مسام بواطنهم وسمعت اذان قلوبهم واعانهم على ذلك زهدهم في الدنيا
فعلماء التفسير وايمة الحديث وفقهاء الاسلام احاطوا علما بالكتاب والسنة ٥
واستنبطوا منها الاحكام وردوا الحوادث المتجددة الى اصول من النصوص وحمى الله
تعالى بهم الدين عرف علماء التفسير وجه التفسير وعلم التاويل ومذهب العرب في
اللغة وغرايب النحو والتصريف واصول القصص واختلاف وجوه القراءة وصنفوا
في ذلك الكتب فاتسع بطريقهم علوم القران على الامة • وايمة الحديث ميزوا بين
الصحاح والحسان وتفردوا بمعرفة الرواة واسامي الرجال وحكموا بالجرح والتعديل
ليتبين الصحيح من السقيم ويتميز المعوج من المستقيم فيحفظ بطريقهم طرق الرواية

والسند حفظا للسنة وانتدب الفقهاء لاستنباط الاحكام والتفريع في المسائل
ومعرفة التعليل ورد الفروع الى الاصول بالعلل الجوامع واستيعاب الحوادث
بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والاحكام علم اصول الفقه وعلم الخلاف
وتفرع من علم الخلاف علم الجدل واحوج علم اصول الفقه الى شي من علم اصول
الدين وكان من علمهم علم الفرايض ولزم منه علم الحساب والجبر والمقابلة
الى غير ذلك فتمهدت الشريعة وتايدت واستقام الدين الحنيفي وتفرع وتاصل
الهدي النبوي المصطفوي فانبتت اراضي قلوب العلما الكلا والعشب بما قبلت
من مياه الحياة من الهدى والعلم • قال الله تعالى انزل من السماء ماء فسالت
اودية بقدرها قال ابن عباس الماء العلم والاودية القلوب قال ابو بكر
الواسطي خلق الله تعالى درة صافية فلاحظها بعين الجلال فذابت حيا منه
فسالت فقال انزل من السما ماء فسالت اودية بقدرها فصفا القلوب من وصول
ذلك الما اليها • وقال ابن عطا انزل من السما ماء هذا مثل ضربه الله تعالى للعبد
اذا سال السيل في الاودية لا يبقى في الاودية نجاسة الا كنسها وذهب بها كذلك
اذا سال النور الذي قسمه الله تعالى للعبد في نفسه لا يبقى فيه غفلة ولا ظلمة ٥
انزل من السما ماء يعني قسمة النور فسالت اودية بقدرها يعني في القلوب الانوار
على ما قسم الله لها في الازل فاما الزبد فيذهب جفاء فتصير القلوب منورة لا يبقى
فيها جفوة واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض تذهب البواطل وتبقى الحقايق • وقال
بعضهم انزل من السما ما انواع الكرامات فاخذ كل قلب حظه ونصيبه فسالت
اودية قلوب علما التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت اودية قلوب
الصوفية من العلما الزاهدين في الدنيا المتمسكين بحقايق التقوى بقدرها فمن كان في
باطنه لوث محبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب المناصب والرفعة سال
وادي قلبه بقدره فاخذ من العلم طرفا صالحا ولم يحظ بحقايق العلوم ومن زهد
في الدنيا اتسع وادي قلبه فسالت فيه مياه العلوم واجتمعت وصارت اخاذات
قيل للحسن البصري هكذا قال الفقها قال وهل رايت فقيها قط انما الفقيه الزاهد
في الدنيا • قال الشيخ قدس الله سره فالصوفية اخذوا حظا من علم الدراسة

فافادهم

فافادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما علموا افادهم العمل علم الوراثة فهم
مع سائر العلماء في علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زايدة هي علوم الوراثة وعلم الوراثة
هو الفقه في الدين • قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا
في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم فصار الانذار مستفادا من الفقه
والانذار احيا المنذر بما الفقه والاحيا بالعلم رتبة الفقيه في الدين فصار
الفقه في الدين من اكمل الرتب واعلاها وهو علم العالم الزاهد في الدنيا المتقي الذي
بلغ رتبة الانذار بعلمه فمورد الهدى والعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولا ورد عليه الهدى والعلم من الله عز وجل فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا فظهر من
ارتوا ظاهره الدين والدين هو الانقياد والخضوع مشتق من الدون فكل شي اتضع
فهو دون والدين ان يضع الانسان نفسه لربه تعالى قال الله عز وجل شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى
ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فبالتفرق في الدين يشتمل الذبول على الجوارح ويذهب
عنها نضارة العلم والنضارة في الظاهر بتزين الجوارح بالانقياد في النفس والمال
وذلك مستفاد من ارتوا القلب والقلب في ارتوايه بالعلم بمثابة البحر فصار
قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والهدى بحرا مواجا ثم وصل من
بحر قلبه الى النفس جدول وظهر على نفسه الشريفة نضارة العلم وريه فتبدلت
نعوت النفس واخلاقها ثم وصل الى الجوارح جدول فصارت ريانة ناضرة فلما
اشتمل نضارة وامتلا ريا بعثه الله تعالى الى الخلق فاقبل على الامة بقلب مواج
بمياه العلوم واستقبلته جداول الفهوم وجرى من بحره في كل جدول قسط
ونصيب وذلك القسط الواصل الى الفهوم هو الفقه في الدين عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عبد الله بشي افضل
من فقه في الدين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شي عماد وعماد
هذا الدين الفقه شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب رحمة الله عليه املا قال
اخبرنا ابو طالب الزينبي قال اخبرتنا كريمة المروزية قالت انا ابو الهيثم قال انا
الفربري قال انا البخاري قال نا سعيد بن حفص قال نا ابن وهب عن يونس عن

ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم
والله تعالى يعطي • اذا وصل ماء العلم الى القلب انفتح بصر القلب فابصر الحق والباطل
وتبين له الرشد من الغي ولما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاعرابي فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال الاعرابي حسبي حسبي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل وروى عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما افضل العبادة الفقه في الدين فالحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب
فقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها فلما فقهوا علموا ولما علموا عملوا ولما عملوا عرفوا
ولما عرفوا اهتدوا فكل من كان افقه كانت نفسه اسرع اجابة واكثر انقيادا لمعالم
الدين واوفر حظا من نور اليقين فالعلم جملة موهوبة من الله تعالى للقلوب
والمعرفة تمييز الجملة والهدى وجدان القلوب ذلك • فالنبي صلى الله عليه وسلم
قال مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم اخبر انه وجد القلب النبوي الهدى والعلم
فكان هاديا مهديا وعلمه صلى الله عليه وسلم منها وراثة معجونة فيه من ادم
ابي البشر صلى الله عليه وسلم حيث علم الاسماء كلها والاسماء سمة الاشياء فكرمه
الله تعالى بالعلم وقال علم الانسان ما لم يعلم فادم بما ركب فيه من العلم والحكمة
صار ذا الفهم والفطنة والمعرفة والرافة واللطف والحب والبغض والفرح والغم
والرضى والغضب والكياسة ثم اقتضاه استعمال كل ذلك وجعل لقلبه بصيرة
واهتدى الى الله تعالى بالنور الذي وهب له والنبي صلى الله عليه وسلم بعث الى
الامة بالنور الموروث والموهوب له خاصة وقيل لما خاطب الله السموات
والارض بقوله سبحانه ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين نطق من الارض واجاب
موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها • وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه
اصل طينة النبي صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة فقال بعض العلماء هذا يشعر
بان ما اجاب من الارض ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت
الارض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاصل في التكوين والكائنات تبع
له والى هذه الاشارة بقوله عليه السلام كنت نبيا وادم بين الماء والطين • وفي رواية

بين

بين الروح والجسد • وقيل لذلك سمي اميا لان مكة ام القرى وذرته ام الخليقة
وتربة الشخص مدفنه فكان يقتضي ان يكون مدفنه بمكة حيث كانت تربته منها ولكن
قيل ان الماء لما تموج رمى الزبد الى النواحي فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم الى
ما يحاذي تربته بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيا حنينه
الى مكة وتربته بالمدينة والاشارة فيما ذكرناه من ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو ما قال الله تعالى • واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى • وورد في الحديث ان الله مسح ظهر ادم فاخرج ذريته
منه كهيئة الذر استخرج الذر من مسام شعر ادم فخرج الذر كخروج العرق وقيل
كان المسح من بعض الملائكة فاضاف الفعل الى المسبب • وقيل معنى القول بانه
مسح اي احصى كما تحصى الارض بالمساحة وكان ذلك ببطن نعمان واد بجنب عرفة بين
مكة والطائف فلما خاطب الله تعالى الذر واجابوا ببلى كتب العهد في ورق ابيض
واشهد عليه الملائكة والقمه الحجر الاسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم هي المجيبة من الارض فالعلم والهدى فيه معجونان فبعث بالعلم والهدى
موروثا له وموهوبا • وقيل لما بعث الله جبريل وميكائيل ليقبضا قبضة من الارض
ابت حتى بعث الله تعالى عزرائيل فقبض قبضة من الارض وكان ابليس قد وطئ الارض
بقدميه فصار بعض الارض بين قدميه وبعض الارض موضع اقدامه فخلقت النفس
مما مس قدم ابليس فصارت ماوى الشر وبعضها لم يصل اليه قدم ابليس فمن تلك
التربة اصل الانبياء والاولياء وكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع
نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل لم يمسها قدم ابليس فلم يصبه حظ الجهل بل صار
منزوع الجهل موفرا حظه من العلم فبعثه الله تعالى بالهدى والعلم وانتقل من
قلبه الى القلوب ومن نفسه الى النفوس فوقعت المناسبة في اصل طهارة الطينة
ووقع التاليف بالتعارف الاول فكل من كان اقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة
كان اوفر حظا من قبول ما جاء به فكانت قلوب الصوفية اقرب مناسبة فاخذت من
العلم حظا وافرا وصارت بواطنهم اخاذات فعلموا وعملوا كالاخاذ الذي يسقى منه
ويزرع منه وجمعوا بين فائدة علم الدراسة وعلم الوراثة باحكام اساس التقوى

ولما تزكت النفوس انجلت مرآة قلوبهم بما صقلها من التقوى فتبينت فيها صور الاشياء
على هيأتها وماهيتها فبانت الدنيا بقبحها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها
فلما زهدوا في الدنيا انصبت الى بواطنهم اقسام العلوم انصبابا وانضاف الى علم
الدراسة علم الوراثة واعلم ان كل حال شريف نعزوه الى الصوفي في هذا الكتاب
هو حال المقرب والصوفي هو المقرب وليس في القرآن اسم الصوفي واسم الصوفي
ترك ووضع للمقرب على ما سنشرح ذلك في بابه ان شاء الله تعالى ولا يعرف في طرفي
بلاد الاسلام شرقا وغربا هذا الاسم لاهل القرب وانما يعرف للمترسمين وكم
من الرجال المقربين في بلاد المغرب وبلاد تركستان وما وراء النهر ولا يسمون
صوفية لانهم لا يتزيون بزي الصوفية ولا مشاحة في الالفاظ فليعلم انا نعني بالصوفية
المقربين فمشايخ الصوفية الذين اسماؤهم في الطبقات وغير ذلك من الكتب كلهم
كانوا في طرق المقربين وعلومهم علوم احوال المقربين ومن تطلع الى مقام المقربين
من جملة الابرار فهو متصوف ما لم يتحقق بحالهم فاذا تحقق بحالهم صار صوفيا وما عداهما
ممن تزين بزيهم ونسب اليهم فهو متشبه وفوق كل ذي علم عليم

الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب السهروردي رحمة الله عليه املاء قال انا
الشيخ ابو منصور المقرئ قال انا الامام الحافظ ابو بكر الخطيب قال انا ابو عمر
الهاشمي قال انا ابو علي اللؤلؤي قال انا ابو داود السجستاني قال نا مسدد قال
نا يحيى عن شعبة قال حدثني عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب عن عبد الرحمن بن ابان
عن ابيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله
امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ورب
حامل فقه غير فقيه • اساس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى ولو علم
الله فيهم خيرا لاسمعهم • يقول بعضهم علامة الخير في السماع ان يسمع العبد بفناء
اوصافه ونعوته ويسمعه بحق حق • وقال بعضهم لو علمهم الله اهلا للسماع
لفتح اذانهم للاستماع فمن تملكته الوساوس وغلب على باطنه حديث النفس
لا يقدر على حسن الاستماع فالصوفية واهل القرب لما علموا ان كلام الله تعالى

رسالته

رسالته الى عباده ومخاطباته اياهم رأوا كل آية من كلامه بحرا من بحر العلم
مما يتضمن من ظاهر العلم وباطنه وجليه وخفيه وبابا من ابواب الجنة
باعتبار ما تنبه عليه او تدعو اليه من العمل ورأوا كلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى من عند الله يتعين الاستماع
اليه فكان من اهم ما عندهم الاستعداد للاستماع ورأوا ان حسن
الاستماع قرع باب الملكوت واستنزال بركة الرغبوت والرهبوت ورأوا ان
الوساوس ادخنة ثائرة من نار النفس الامارة بالسوء وقتام متراكم من نفث الشيطان
وان الحظوظ العاجلة والاقسام الدنياوية التي هي مناط الهوى ومثار الردى
بمثابة الحطب الذي يزداد به النار تأججا ويزداد القلب به تحرجا فرفضوا الدنيا
وزهدوا فيها فلما انقطعت عن نار النفس احطابها وفترت نيرانها وقل دخانها
شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم فهيأوا مواردها بصفاء الفهوم فلما
شهدوا اسمعوا قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى
السمع وهو شهيد • قال الشبلي رحمة الله عليه موعظة القرآن لمن قلبه
حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفة عين • وقال يحيى بن معاذ الرازي القلب
قلبان قلب قد احتشى باشغال الدنيا حتى اذا حضر امر من امور الطاعة لم يدر ما
يصنع لذهاب قلبه بالدنيا وقلب قد احتشى باحوال الآخرة حتى اذا حضر امر
من امور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة فانظر كم بين الامرين من
تركك تلك الاوهام الباقية وشؤم هذه الاشغال الفانية التي اقعدتك عن
الطاعة • قال بعضهم لمن كان له قلب سليم من الاغراض والامراض •
قال الحسين بن منصور لمن كان له قلب لا يخطر فيه الا شهود الرب تعالى •
وانشد • انعي اليك قلوبا طال ما هطلت سحائب الوحي فيها ابحر الحكم •
وقال ابن عطا قلب لاحظ الحق بعين التعظيم فذاب له وانقطع اليه عما سواه
وقال الواسطي اي لذكرى لقوم مخصوصين لا لسائر الناس لمن كان له قلب
اي في الازل وهم الذين قال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه • وقال ايضا
المشاهدة تذهل والحجة تفهم لان الله تعالى اذا تجلى لشيء خضع له وخشع وهذا الذي

قال الواسطي صحيح في حق اقوام وهذه الاية تحكم بخلاف هذا لاقوام آخرين
وهم ارباب التمكين تجمع لهم بين المشاهدة والفهم موضع الفهم محل المحادثة والمكالمة
وهو سمع القلب وموضع المشاهدة بصر القلب وللسمع حكمه وفايدته وللبصر
حكمه وفايدته لمن هو في سكر الحال يغيب سمعه في بصره ومن هو في حال الصحو
والتمكين لا يغيب سمعه في بصره لتملكه ناصية الحال ويفهم بالوعاء الوجودي
المستعد لفهم المقال لان الفهم مورد الالهام والسماع والالهام والسماع
يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود موهوب منشأ انشاء ثانيا للمتمكن في
مقام الصحو وهو غير الوجود الذي يتلاشا عند لمعان نور المشاهدة لمن جاز
على ممر الفنا الى مقار البقاء وقال ابن سمعون ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب يعرف اداب الخدمة وآداب القلب ثلاثة اثلاث توجد في ثلاثة اشياء
فالقلب اذا ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة لمن وقف عن الشهوة وجد
ثلث الادب ومن افتقر الى ما لم يجد من الادب بعد الاشتغال بما وجد فقد وجد
ثلثي الادب والثالث امتلاء القلب بالذي بدا بالفضل عند الوفاء تفضلا فقد وجد
كل الادب وقال محمد بن علي موت القلب من شهوات النفس فكلما رفض
شهوة نال من الحياة بقسطها فالسماع للاحيا لا للاموات قال الله تعالى
انك لا تسمع الموتى قال سهل بن عبد الله رحمة الله عليه القلب رقيق تؤثر فيه
الخطرات المذمومة واثر القليل عليه كثير قال الله تعالى ومن يعش عن
ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فالقلب عماك لا يفتر والنفس يقظانة
لا ترقد فان كان العبد مستمعا الى الله تعالى والا فهو مستمع الى الشيطان
والنفس فكل سد باب الاستماع من حركة النفس في حركتها تطرق الشيطان حوك
الى الوسوسة وقد ورد لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى
ملكوت السموات وقال الحسين بصاير المبصرين ومعارف العارفين
ونور العلماء الربانيين وطرق السابقين الناجين والازل والابد وما بينهما من
الحدث لمن كان له قلب او القى السمع وقال ابن عطا هو القلب الذي يلاحظ
الحق ويشاهده ولا يغيب عنه خطرة ولا فترة فيسمع به بل يسمع منه ويشهده

بل

بل يشهده واذا لاحظ القلب الحق بعين الجلال فزع وارتعد واذا طالعه بعين
الجمال هدا واستقر وقال بعضهم لمن كان له قلب بصير بقوا على
التجريد مع الله تعالى والتفريد له حتى يخرج من الدنيا والخلق والنفس فلا يشتغل
بغيره ولا يركن الى سواه فقلب الصوفي مجرد عن الاكوان التي سمعه وشهد بصره
فسمع المسموعات وابصر المبصرات وشاهد المشهودات لتخليصه الى الله تعالى
واجتماعه بين يدي الله تعالى والاشيا كلها عند الله وهو عنده فسمع وشاهد
وابصر سمع جملها ولم يسمع ولم يشاهد تفاصيلها لان الجمل تدرك لسعة عين فضاء
المشهود والتفاصيل لا تدرك لضيق وعاء الوجود والله تعالى هو العالم بالجمل
والتفاصيل وقد مثل بعض الحكما تفاوت الناس في الاستماع وقال ان الباذر
خرج يوما ببذره فملا منه كفه فوقع منه شي على ظهر الطريق فلم يلبث ان انحط
عليه الطير فاختطفه ووقع منه شي على الصفوات وهو الحجر الاملس عليه تراب
يسير وندى قليل فنبت حتى اذا وصلت عروقه الى الصفا لم يجد مساغا ينفذ فيه
فيبس ووقع منه شي في ارض طيبة فيها شوك نابت فنبت فلما ارتفع خنقه الشوك
فافسده واختلط به ووقع منه شي على ارض طيبة ليس على ظهر الطريق ولا
على الصفوات ولا فيها شوك فنبت ونما وصلح فمثل الباذر مثل الحكيم ومثل البذر
مثل صواب الكلام ومثل ما وقع على ظهر الطريق مثل الرجل يسمع الكلام وهو لا يريد
ان يسمعه فما يلبث الشيطان ان يختطفه من قلبه فينساه ومثل الذي وقع على
الصفوات مثل الرجل يسمع الى الكلام فيستحسنه ثم تفضي الكلمة الى قلب ليس فيه
عزم على العمل فتنسخ من قلبه ومثل الذي وقع في ارض طيبة فيها شوك مثل الرجل
يسمع الكلام وهو ينوي ان يعمل به فاذا اعترضت له الشهوات قيدته عن النهوض
بالعمل فيترك ما نوى عمله لغلبة الشهوة كالزرع يختنق بالشوك ومثل الذي
وقع في ارض طيبة مثل المستمع الذي ينوي عمله فيفهمه ويعمل به ويجانب هواه
وهذا الذي جانب الهوى واتبع سبيل الله هو الصوفي لان للهوى حلاوة والنفس اذا
تشربت حلاوة الهوى فهي تركن اليه وتستلذه واستلذاذ الهوى هو الذي
يخنق القلب كالشوك الذي يخنق النبت وقلب الصوفي نازله حلاوة الحب الصافي

والحب الصافي تعلق الروح بالحضرة الالهية ومن قوة انجذاب الروح
الى الحضرة الالهية تغلب حلاوة الهوى لان حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت
من فوق الارض ما لها من قرار لكونها لا ترتقي عن النفس وحلاوة الحب كشجرة طيبة
اصلها ثابت وفرعها في السماء لانها متاصلة في الروح وفرعها عند الله وعروقها
ضاربة في ارض النفس فاذا سمع الكلمة من القران او من كلام رسول الله صلى
الله عليه وسلم تتشربها الروح والقلب والنفس وتغذيها بطيبه ؛؛
ويقول ؛ اشم منك نسيمًا لست اعرفه اظن لمياء جرت فيك اردانا ؛ فتعم
الكلمة وتشمله وتصير كل شعرة منه سمعًا وكل ذرة منه بصرًا فيسمع الكل
بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول ؛ ان تاملتكم فكلي عيون او تذكرتكم فكلي قلوب ؛
قال الله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اوليك
الذين هداهم الله واوليك هم اولوا الالباب ؛ قال بعضهم اللب والعقل
مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في ساير المومنين
والجزء الذي في ساير المومنين احد وعشرون سهمًا فسهم تساوى فيه المومنون
كلهم وهو شهادة ان لا اله الا الله وان محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعشرون سهمًا تفاضلون فيها على مقادير حقايق ايمانهم ؛ قيل في هذه
الاية اظهار فضيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاحسن ما ياتي به لانه
لما وقعت له صحة التمكين ومقارنة الاستقرار قبل خلق الكون ظهرت عليه ؛؛
الانوار في الاحوال لها كان معه احسن الخطاب وله السبق في جميع المقامات
الاترى انه صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون يعني الآخرون
وجودًا السابقون في الخطاب الاول في الفضل في محل القدس ؛ وقال الله
تعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ؛ قال
الجنيد تسموا روح ما دعاهم اليه فاسرعوا الى محو العلايق المشغلة وحملوا
بالنفوس على معانقة الحذر وتجرعوا مرارة المكابدة وصدقوا الله في المعاملة
واحسنوا الادب فيما توجهوا اليه وهانت عليهم المصايب وعرفوا قدر ما
يطلبون وسجنوا هممهم عن التقلب الى مذكور سوى وليهم فحيوا حياة الابد بالحي

التقلب

الذي

الذي لم يزل ولا يزال ؛ وقال الواسطي حياتها تصفيتها عن كل معلول لفظًا وفعلًا
وقال بعضهم استجيبوا لله بسرايركم وللرسول بظواهركم فحياة النفوس
بمتابعة الرسول وحياة القلوب بمشاهدة الغيوب وهو الحياء من الله تعالى برؤية
التقصير ؛ وقال ابن عطا في هذه الاية الاستجابة على اربعة اوجه اولها اجابة التوحيد
والثاني اجابة التحقيق والثالث اجابة التسليم والرابع اجابة التقريب والاستجابة
على قدر السماع والسماع من حيث الفهم والفهم على قدر المعرفة بقدر الكلام والمعرفة
بالكلام على قدر المعرفة والعلم بالمتكلم ؛ ووجوه الفهم لا تنحصر لان وجوه
الكلام لا تنحصر قال الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل
ان تنفد كلمات ربي فلله تعالى في كل كلمة من القران كلمات التي ينفد البحر دون نفادها
فكل الكلام كلمة نظرًا الى ذات التوحيد وكل كلمة كلمات نظرًا الى سعة العلم
الازلي ؛ حدثنا شيخنا ابو النجيب السهروردي رحمة الله عليه قال اخبرنا
الرئيس ابو علي بن نبهان قال انا الحسن بن شاذان قال انا دعلج بن احمد قال انا ابو الحسين
علي بن عبد العزيز البغوي قال انا ابو عبيد القاسم بن سلام قال انا حجاج عن حماد
ابن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما نزل من
القران اية الا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع قال فقلت يا ابا
سعيد ما المطلع قال يطلع قوم يعملون به ؛ قال ابو عبيد احسب ان قول الحسن
هذا انما ذهب الى قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ؛ قال ابو عبيد حدثني
حجاج عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال ما من حرف
او اية الا وقد عمل بها قوم او لها قوم سيعملون بها فالمطلع المصعد يصعد اليه
من معرفة علمه فيكون المطلع الفهم يفتح الله على كل قلب بما يرزقه من النور واختلف
الناس في معنى الظهر والبطن فقال قوم الظهر لفظ القران والبطن تاويله وقيل
الظهر صورة القصة مما اخبر الله تعالى عن غضبه على قوم وعقابه اياهم فظاهر
ذلك اخبار عنهم وباطنه عظة وتنبيه لمن يقرا ويسمع من الامة ؛ وقيل ظاهره
تنزيله الذي يجب الايمان به وباطنه وجوب العمل به وقيل ظهره تلاوته كما انزل
قال الله تعالى ورتل القران ترتيلا وبطنه تدبره وتفكره ؛ قال الله تعالى

كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب • وقيل قوله
لكل حرف حد أي في التلاوة لا يجاوز المصحف الذي هو الامام • وفي التفسير
لا يجاوز المسموع المنقول وفرق بين التفسير والتأويل فالتفسير علم نزول
الاية وشأنها وقصتها والاسباب التي نزلت فيها وهذا محظور على الناس
كافة القول فيه إلا بالسماع والاثر واما التأويل فصرف الاية الى معنى تحتمله
اذا كان المحتمل الذي يراه يوافق الكتاب والسنة فالتأويل يختلف باختلاف
حال المأول على ما ذكرناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ونصيب القرب من
الله تعالى • قال ابو الدرداء لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها
كثيرة فما اعجب قول عبد الله بن مسعود ما من آية الا ولها قوم سيعملونها وهذا
الكلام محرض لكل طالب صاحب همة ان يصغي موارد الكلام ويفهم دقائق معانيه
وغامض اسراره من قلبه فللصوفي بحال الزهد في الدنيا وتجريد القلب عما سوى
الله تعالى مطلع من كل آية وله بكل مرة في القرآن مطلع جديد وفهم عتيد وله
بكل فهم عمل جديد ففهمهم يدعوا الى العلم وعلمهم يدعوا الى العمل وعملهم يجلب صفاء
الفهم ودقيق النظر في معاني الخطاب فمن الفهم علم ومن العلم عمل فالعلم والعمل
يتناوبان فيه وهذا العمل ايضا عمل القلوب غير عمل القوالب واعمال القلوب بلطفها
وصفائها مناسبة للعلوم لانها نيات وطويات وتملقات روحية وتأديبات
قلبية ومسامرات سرية وكلما اتوا بعمل من هذه الاعمال رفع لهم علم من العلم
واطلعوا على مطلع من فهم الآية جديد • والخاطر سري ان يكون المطلع ليس بالوقوف
بصفاء الفهم على دقائق المعنى وغامض السر في الآية ولكن المطلع ان يطلع عند
كل آية على شهود المتكلم بها لانها مستودع وصف من اوصافه ونعت من نعوته
فتتجدد له التجليات بتلاوة الآيات وسماعها ويصير له مرائي منبئة عن عظيم
الجلال • ولقد نقل عن جعفر الصادق رضي الله عنه انه قال لقد تجلى الله تعالى
لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه فالحد حد
الكلام والمطلع الترقي عن حد الكلام الى شهود المتكلم • وقد نقل عن جعفر الصادق
انه خر مغشيا عليه وهو في الصلاة فسئل عن ذلك فقال ما زلت أردد الآية حتى سمعتها

من المتكلم بها

من المتكلم بها فالصوفي لما لاحت له ناصية التوحيد والقى سمعه عند سماع
الوعد والوعيد وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى صار بين يدي الله تعالى حاضرا
عند سماع الوعد والوعيد شهيدا ارى لسانه او لسان غيره في التلاوة كشجرة
موسى حيث اسمعه الله منها خطابه اياه باني انا الله فاذا كان سماعه من الله تعالى
واستماعه الى الله صار سمعه بصره وبصره سمعه وعلمه عمله وعمله علمه وعاد
آخره اوله واوله آخره و[illegible] معنى ذلك ان الله تعالى خاطب الذر بقوله الست بربكم
فسمع النداء على غاية الصفاء ثم لم تزل الذرات تتقلب في الاصلاب وتنتقل الى الارحام
قال الله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين يعني تقلب ذريتك
في اصلاب اهل السجود من آبائك الانبياء فما زالت تنتقل الذرات حتى برزت الى
اجسادها فاحتجبت بالحكمة عن القدرة وبعالم الشهادة عن عالم الغيب وتراكم
ظلمتها بالتقلب في الاطوار فاذا اراد الله بالعبد حسن الاستماع بان بصيرته صوفيا
صافيا لا يزال يرقيه في رتب التزكية والتحلية حتى يخلص الى فضاء القدرة ويزال عن
بصيرته النافذة سجف الحكمة فيصير سماعه الست بربكم كشفا وعيانا وتوحيده
وعرفانه بيانا وبرهانا وتندرج له ظلم الاطوار في لوامع الانوار قال بعضهم
انا اذكر خطاب الست بربكم اشارة منه الى هذا الحال فاذا تحقق الصوفي بهذا
الوصف صار وقته سرمدا وشهوده مؤبدا وسماعه متواليا متجددا يسمع كلام
الله وكلام رسوله حق السماع • قال سفيان بن عيينة اول العلم الاستماع
ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر • وقال بعضهم تعلم حسن الاستماع كما تعلم
حسن الكلام • وقيل من حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضي حديثه وقلة
التلفت الى الجواب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي • قال الله تعالى
لنبيه عليه السلام ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه • وقال تعالى
لا تحرك به لسانك لتعجل به هذا تعليم من الله تعالى لرسوله عليه السلام حسن
الاستماع فقيل معناه لا تمله على الصحابة حتى تتدبر معانيه حتى تكون انت اول من
يحظى بعجائبه وغرائبه • وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل
عليه جبريل واوحي اليه لا يفتر من قراءة القرآن مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله

تعالى عن ذلك اى لا تعجل بقراته قبل ان يفرغ جبريل من القائه اليك وقد يكون مطالعة
العلوم واخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى السماع وتحتاج المطالع
للعلوم والاخبار وسير اهل الصلاح وحكاياتهم وانواع الحكم والامثال التى
فيها نجاة من عذاب الاخرة ان يكون في ذلك كله متادبا بادب حسن الاستماع
لانه نوع من ذلك وكما ان القلب استعد لحسن الاستماع بالزهادة والتقوى
حتى اخذ من كل ما سمع احسنه فيكون آخذا بالمطالعة من كل شئ احسنه ومن
الادب في المطالعة ان العبد اذا اراد ان يطالع شيئا من الحديث والعلم يعلم انه
قد يكون مطالبه ذلك بداعية النفس وقلة صبرها على الذكر والتلاوة والعمل
فتستروح بالمطالعة كما تتروح بمجالسة الناس ومكالمتهم فليتفقد المتفطن نفسه
في ذلك ولا يستحلي مطالعة الكتب الى حد ياخذ ذلك من وقته ويراعي الافراط فيه
واذا اراد مطالعة كتاب او شئ من العلم لا يبادر اليه الا بعد التثبت والانابة
والرجوع الى الله تعالى وطلب التاييد من رحمة الله تعالى فيه فانه قد يرزق بالمطالعة
ما يكون مزيد حاله ولو فقه الاستخارة لذلك كان حسنا فان الله تعالى
يفتح عليه باب الفهم والتفهيم موهبة من الله زيادة على ما تبين من صورة العلم
فللعلم صورة ظاهرة وسر باطن هو الفهم والله تعالى نبه على شرف الفهم
بقوله ففهمناها سليمن وكلا اتينا حكما وعلما اشار الى الفهم بمزيد اختصاص
وتمييز على الحكم والعلم قال الله تعالى ان الله يسمع من يشاء فاذا كان
المسمع هو الله يسمع تارة بواسطة اللسان وتارة بما يرزق من مطالعة الكتب
من التبيان فصار ما يفتح الله تعالى بمطالعة الكتب على معنى ما يرزق من المسموع
ببركة حسن الاستماع ليتفقد العبد حاله في ذلك ويتعلم علمه وادبه فانه
باب كبير من ابواب الخير وعمل صالح من اعمال المشايخ والصوفية والعلماء الزاهدين
المتبتلين لاستفتاح ابواب الرحمة والمزيد من كل شئ ينفع لسلوك الاخرة
والله الموفق والمعين

الباب الثالث

في بيان فضيلة علوم الصوفية والاشارة الى انموذج منها • حدثنا شيخنا
شيخ الاسلام ابو النجيب السهروردي رحمة الله عليه قال انا ابو عبد الرحمن

الصوفية

الصوفي قال انا عبد الرحمن بن محمد قال انا ابو محمد عبد الله بن احمد السرخسي قال — السجزي
اخبرنا ابو عمران السمرقندي قال انا ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي
قال انا نعيم بن حماد قال انا بقية عن الاحوص بن حكيم عن ابيه قال سال
رجل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشر فقال لا تسلوني عن الشر واسلوني
عن الخير يقولها ثلثا ثم قال ان شر الشر شرار العلماء وان خير الخير خيار العلماء
فالعلماء ادلاء الامة وعمد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجبلية ونقاد نوا — ظلماء
الاسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وامناء الله تعالى في خلقه واطباء العباد
وجهابذة الملة الحنيفية وحملة عظيم الامانة فهم احق الخلق بحقائق التقوى
واحوج العباد الى الزهد في الدنيا لانهم لانفسهم ولغيرهم فسادهم فساد متعد
وصلاحهم صلاح متعد • قال سفيان بن عيينة اجهل الناس من ترك العمل بما
يعلم واعلم الناس من عمل بما يعلم وافضل الناس اخشعهم لله وهذا قول صحيح حكم
بان العالم اذا لم يعمل بما يعلمه فليس بعالم فلا يغرك تشدقه واستطالته وحذاقته — بعلمه
وقوته في المناظرة والمجادلة فانه جاهل وليس بعالم الا ان يتوب الله عليه ببركة
العلم فان العلم في الاسلام لا يضيع اهله ويرجى عود العالم ببركة العلم والعلم
فريضة وفضيلة فالفريضة ما لا بد للانسان من معرفته ليقوم بواجب حق الدين
والفضيلة ما زاد على قدر حاجته مما يكسبه فضيلة في النفس موافقة للكتاب
والسنة وكل علم لا يوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منهما او معين على
فهمهما او مستند اليهما كائنا ما كان فهو رذيلة وليس بفضيلة يزداد الانسان
به هوانا ورذالة في الدنيا والاخرة فالعلم الذي هو فريضة لا يسع الانسان جهله
على ما حدثنا شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب السهروردي رحمة الله عليه قال
انا الحافظ ابو القسم المستملي قال انا الشيخ العالم ابو القسم عبد الكريم
ابن هوازن القشيري قال انا ابو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني قال انا ابو
سعيد بن الاعرابي قال انا جعفر بن عامر العسكري قال انا الحسن بن عطية قال
انا ابو عاتكة عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم • واختلف

العلماء في العلم الذي هو فريضة • قال بعضهم هو طلب علم الإخلاص ومعرفة
آفات النفوس وما يفسد الأعمال لأن الإخلاص مأمور به كما أن العمل مأمور به
قال الله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين فالإخلاص مأمور به وخدع
النفس وغرورها ودسائسها وشهواتها الخفية تخرب مباني الإخلاص
المأمور به فصار علم ذلك فرضا حيث كان الإخلاص فرضا وما لا يصل العبد
إلى الفرض إلا به يصير فرضا • وقال بعضهم معرفة الخواطر وتفصيلها
فريضة لأن الخواطر هي أصل الفعل ومبداه ومنشاه وبذلك يعلم الفرق
بين لمة الملك ولمة الشيطان فلا يصح الفعل إلا بصحتها فصار علم ذلك فرضا
حتى يصح الفعل من العبد • وقال بعضهم طلب علم الوقت • وقال
سهل بن عبد الله هو طلب علم الحال يعني حكم حاله الذي بينه وبين الله في
دنياه وآخرته • وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة
وقد ورد طلب الحلال فريضة بعد الفريضة فصار علمه فريضة من حيث
أنه فريضة وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهذا
العلم هو الذي يكتسب بالصحبة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين
والزهاد المقربين الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين إليهم
ويقويهم بطريقهم ويرشدهم بهم فهم وراث علم النبي عليه السلام ومنهم
يستعلم علم اليقين • وقال بعضهم هو علم البيع والشراء والنكاح
والطلاق إذا أراد الدخول في شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه • وقال
بعضهم هو أن يكون العبد يريد عملا يجهل ما لله عليه في ذلك فلا يجوز له أن
يعمل برأيه إذ هو جاهل فيما له وعليه في ذلك فيراجع عالما يسأله عنه ليجيبه
على بصيرة ولا يعمل برأيه وهذا علم يجب طلبه حيث جهل • وقال بعضهم
طلب علم التوحيد فرض فمن ذلك قائل يقول طريقه النظر والاستدلال
ومن قائل إن طريقه النقل • وقال بعضهم إذا كان العبد على سلامة الباطن
وحسن الاستسلام والانقياد في الإسلام ولا يحوك في صدره شيء فهو سالم
فإن حاك في صدره شيء أو توسوس بشيء يقدح في العقيدة أو ابتلي بشبهة

لا تؤمن غائلتها

لا تؤمن غائلتها أن تجره إلى بدعة أو ضلالة يجب عليه أن يستكشف عن
الاشتباه ويراجع أهل العلم ومن يفهمه طريق الصواب • وقال الشيخ
أبو طالب المكي رحمه الله هو طلب علم الفرائض الخمس التي بني عليها الإسلام
لأنها افترضت على المسلمين وإذا كان عملها فرضا صار علم العمل فرضا وذكر أن
علم التوحيد داخل في ذلك لأن أولها الشهادتان والإخلاص داخل في ذلك
لأن ذلك من ضرورة الإسلام وعلم الإخلاص داخل في صحة الإسلام وحيث
أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فريضة على كل مسلم يقتضي أن لا يسع
مسلما جهله وكل ما تقدم من الأقاويل أكثرها ربما يسع المسلم جهله لأنه
قد لا يعلم علم الخواطر وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين المستفاد
من علماء الآخرة كما ترى أكثر المسلمين على الجهل بهذه الأشياء ولو كانت هذه الأشياء
فرضت عليه عجز عنها أكثر الخلق إلا ما شاء الله وميلي في هذه الأقاويل إلى قول
أبي طالب أكثر وإلى قول من كان يجب عليه علم البيع والشراء والنكاح
والطلاق إذا أراد الدخول فيه وهذا لعمري فرض على المسلمين علمه وهكذا
الذي قاله الشيخ أبو طالب وعندي في ذلك حد جامع لطلب العلم المفترض
والله أعلم • أقول العلم الذي طلبه فريضة على كل مسلم علم الأمر والنهي
والمأمور ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه والمنهي ما يعاقب على فعله ويثاب
على تركه والمأمورات والمنهيات منها ما هو مستمر لازم للعبد متوجه بحكم
الإسلام ومنها ما يتوجه الأمر فيه والنهي عنه بوجود الحادثة فما هو لازم
مستمر لزومه متوجه بحكم الإسلام علمه واجب من ضرورة الإسلام وما
يتجدد بالحوادث ويتوجه الأمر والنهي فيه علمه عند تجدده فرض لا يسع
مسلما على الإطلاق أن يجهله وهذا الحد أعم من الوجوه التي سبقت والله أعلم
ثم المشايخ من الصوفية وعلماء الآخرة الزاهدين في الدنيا شمروا واغتنموا الجد
في العلم المفترض حتى عرفوه وأقاموا الأمر والنهي وخرجوا من عهدة ذلك بحسن
توفيق الله فلما استقاموا في ذلك متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث أمره الله تعالى بالاستقامة فقال فاستقم كما أمرت ومن تاب معك

فتح الله عليهم ابواب العلوم التى سبق ذكرها قال بعضهم من يطيق مثل
هذه المخاطبة بالاستقامة الا من ايد من المشاهدات القوية والانوار البينة
والاثار الصادقة بسر عظيم بالتثبيت كما قال الله تعالى ولولا ان ثبتناك ثم حفظ
فى وقت المشاهدة ومشافهة الخطاب وهو المزين بمقام القرب والمخاطب
على بساط الانس محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك خوطب بقوله فاستقم كما
امرت ولولا هذه المقدمات ما اطاق الاستقامة التى امر بها قيل لابي حفص
اي الاعمال افضل قال الاستقامة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال استقيموا
ولن تحصوا **وقال** جعفر الصادق رضي الله عنه فى قوله فاستقم كما امرت
افتقر الى الله بصحة العزم رأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام قال قلت يا رسول الله صلى الله عليك روى عنك انك قلت شيبتني
سورة هود فقال نعم فقلت له ما الذي شيبك منها قصص الانبيا وهلاك الامم
فقال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت فهما ان النبي صلى الله عليه وسلم بعد
مقدمات المشاهدات خوطب بهذا الخطاب وطولب بحقايق الاستقامة
فكذلك علما الاخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية المقربون رحمهم الله تعالى
من ذلك بقسط ونصيب ثم الهمهم طلب النهوض بواجب حق الاستقامة
وراوا الاستقامة افضل مطلوب واشرف مامول **قال** ابو علي
الجورجاني كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك متحركة
فى طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة وهذا الذى ذكره اصل كبير في
الباب وسر غفل عن حقيقته كثير من اهل السلوك والطلب وذلك ان المتهجدين
والمتعبدين سمعوا بسير الصالحين المتقدمين وما حبوا به من الكرامات وخوارق
العادات فابدا نفوسهم لا تزال تتطلع الى شيء من ذلك ويحبون ان يرزقوا شيئا
من ذلك ولعل احدهم يبقى منكسر القلب متهما لنفسه فى صحة عمله حيث لم يكاشف
بشيء من ذلك ولو علموا سر ذلك لهان عليهم الامر فيه فيعلم ان الله سبحانه
وتعالى قد يفتح على بعض المتهجدين الصادقين بابا من ذلك والحكمة فيه ان يزداد
بما يرى من خوارق العادات واثار القدرة يقينا فيقوى عزمه على الزهد في

الدنيا

الدنيا والخروج من دواعي الهوى وقد يكون بعض عباده يكاشف بصرف اليقين
ويرفع عن قلبه الحجاب ومن كوشف بصرف اليقين اغنى بذلك عن رؤية خوارق
العادات لان المراد منها كان حصول اليقين وقد حصل اليقين فلو كوشف هذا
المرزوق صرف اليقين بشيء من ذلك ما ازداد يقينا فلا تقتضي الحكمة كشف القدرة
بخوارق العادات لهذا الموضع استغنايه وتقتضي الحكمة كشف ذلك للاخر لموضع
حاجته فكان هذا الثاني يكون اتم استعدادا واهلية من الاول حيث اغني
عن رؤية شي من ذلك فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة فهي كل
الكرامة ثم اذا وقع فى طريقه شي من ذلك جاز وحسن وان لم يقع فما يبالي ولا
ينقص بذلك وانما ينقص بالاخلال بواجب حق الاستقامة فيتعلم هذا لانه
اصل كبير للطالبين فالعلما الزاهدون ومشايخ الصوفية المقربون حثوا اومو
بالقيام بواجب حق الاستقامة رزقوا ساير العلوم التى اشار اليها المتقدمون
كما ذكرنا وزعموا انها فرض فمن ذلك علم الحال وعلم المقام وعلم الخواطر وسنشرح
علم الخواطر وتفاصيلها فى باب ان شا الله تعالى وعلم اليقين وعلم الاخلاص وعلم النفس
ومعرفة اخلاقها وعلم النفس ومعرفتها من اعز علوم القوم واقوم الناس بطريق
المقربين والصوفية اقومهم بمعرفة النفس وعلم معرفة اقسام الدنيا ووجود
دقايق الهوى وخفايا شهوات النفس وشرهها وعلم الضرورة ومطالبة النفس
بالوقوف على الضرورة قولا وفعلا ولبسا واكلا ونوما ومعرفة حقايق التوبة
وعلم خفي الذنوب ومعرفة سيات هي حسنات الابرار ومطالبة النفس
بترك ما لا يعني ومطالبة الباطن بحصر خواطر المعصية ثم بحصر خواطر الفضول
ثم علم المراقبة وعلم ما يقدح فى المراقبة وعلم المحاسبة والرعاية وعلم حقايق
التوكل وذنوب المتوكل في توكله وما يقدح فى التوكل وما لا يقدح والفرق بين
التوكل الواجب بحكم الايمان وبين التوكل الخاص المختص باهل العرفان وعلم الرضى
وذنوب مقام الرضا وعلم الزهد وتحديده بما يلزمه من ضرورته وما لا يقدح
فى حقيقته ومعرفة الزهد فى الزهد ومعرفة زهد ثالث بعد الزهد فى الزهد
وعلم الانابة والالتجا ومعرفة اوقات الدعا ومعرفة وقت السكوت عن الدعا

وعلم المحبة والفرق بين المحبة العامة المفسرة بامتثال الامر والمحبة الخاصة
وقد انكر طايفة من علما الدنيا دعوى علما الاخرة المحبة الخاصة كما انكروا الرضى
وقالوا ليس الا الصبر وانقسام المحبة الخاصة الى محبة الذات والى محبة الصفات
والفرق بين محبة القلب ومحبة الروح ومحبة العقل ومحبة النفس والفرق بين
مقام المحب والمحبوب والمريد والمراد ثم علوم المشاهدات كعلم الهيبة والانس
والقبض والبسط والفرق بين القبض والهم والبسط والنشاط وعلم البقا
والفنا وتفاوت احوال الفنا والاستتار والتجلي والجمع والفرق واللوايح
والطوالع والبوادي والصحو والسكر الى غير ذلك لو اتسع الوقت ذكرناها
وشرحناها في مجلدات ولكن العمر قصير والوقت عزيز ولولا سهم الغفلة
لضاق الوقت عن هذا القدر ايضا وهذا المختصر المولف يحتوي من علوم القوم
على طرف صالح نرجو من الله تعالى الكريم ان ينفع به وان يجعله حجة لنا لا حجة علينا
وهذه كلها علوم من ورايها علوم تحصل بمقتضاها ويظفر بها علما الاخرة الزاهدون
وحرم ذلك علما الدنيا الراغبون وهي علوم ذوقية لا يكاد النظر يصل اليها
الا بذوق ووجدان كالعلم بكيفية حلاوة السكر لا يحصل بالوصف فمن
ذاقه عرفه وينبيك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلما ان العلوم كلها
لا يتعذر تحصيلها مع محبة الدنيا والاخلال بحقايق التقوى وربما كان محبة
الدنيا عونا على اكتسابها لان الاشتغال بها شاق على النفوس فجبلت
النفوس على محبة الجاه والرفعة حتى اذا استشعرت حصول ذلك بحصول
العلم اجابت الى تحمل الكلف وسهر الليالي والصبر على الغربة والاسفار
وتعذر الملاذ والشهوات وعلوم هولا القوم متعسرة لا تحصل مع محبة
الدنيا ولا تنكشف الا بمجانبة الهوى ولا تدرس الا في مدرسة التقوى قال
الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله جعل العلم ميراث التقوى • وغير
علوم هولا القوم متيسر من غيرهم لك بلا شك فعلم فضل علم علما الاخرة
حيث لم يكشف النقاب الا لاولي الالباب واولوا الالباب حقيقة هم الزاهدون
في الدنيا قال سهل بن عبد الله التستري للعقل الف اسم ولكل اسم

منهم الف اسم واول كل اسم منه ترك الدنيا • حدثنا الشيخ الصالح ابو الفتح
محمد بن عبد الباقي قال انا ابو الفضل احمد بن احمد قال انا الحافظ ابو نعيم الاصفهاني
قال ثنا محمد بن احمد بن محمد قال ثنا العباس بن احمد الشاشي قال ثنا ابو عقيل الرصافي
قال ثنا ابو عبد الله الخواص وكان من اصحاب حاتم قال دخلت مع ابي عبد
الرحمن حاتم الاصم الري ومعه ثلثمائة وعشرون رجلا يريد الحج وعليهم الصوف والزربانقات
ليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا الري ودخلنا على رجل من التجار متنسك
يحب المتقشفين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم يا ابا عبد الرحمن
الك حاجة فاني اريد ان اعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم ان كان لكم فقيه عليل
فعيادة الفقيه لها فضل والنظر الى الفقيه عبادة وانا ايضا اجي معك وكان
العليل محمد بن مقاتل قاضي الري قال مر بنا يا ابا عبد الرحمن فجاوا الى الباب فاذا باب
مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذا الحال ثم اذن لهم فدخلوا
فاذا دار قوراء واذا بزة ومتعة وستور وجمع فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى
المجلس الذي هو فيه فاذا بفرش وطية واذا هو راقد عليها وعند راسه غلام
ومذبة فقعد الرازي فسايله وحاتم قايم فاومى اليه ابن مقاتل اقعد فقال لا اقعد
فقال له ابن مقاتل لعل لك حاجة قال نعم قال وما هي قال مسئلة اسالك عنها قال
سلني قال فقم فاستو جالسا حتى اسالكها فامر غلمانه فاسندوه فقال له
حاتم علمك هذا من اين جيت به قال الثقات حدثوني به قال عمن قال عن اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن من اخذوه قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى
الله عليه وسلم من اين جاء به قال عن جبريل عن الله تعالى قال حاتم ففيما اداه
جبريل عن الله واداه الى رسول الله واداه رسول الله الى اصحابه واداه اصحابه
الى الثقات واداه الثقات اليك هل سمعت في العلم من كان في داره اميرا
ومنعته اكثر كانت له المنزلة عند الله تعالى اكثر قال لا قال فكيف سمعت
قال من زهد في الدنيا ورغب في الاخرة واحب المساكين وقدم لاخرته كان له
المنزلة عند الله اكثر قال حاتم فانت بمن اقتديت بالنبي صلى الله عليه وسلم

واصحابه والصالحين اذ يفرعون ويمرون داولا منها بالجص والآجر باعلماء
السوء مثلكم يراه الجاهل الطالب للدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه
الحالة لا اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا فبلغ اهل
الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له يا ابا عبد الرحمن بقزوين عالم اكثر
شانا من هذا واشاروا به الى الطنافسي قال فسار اليه متعمدا فدخل عليه
فقال رحمك الله انا رجل اعجمي احب ان تعلمني اول مبتدا ديني ومفتاح صلاتي
كيف اتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام ايتنا باناء فيه ما فاتى باناء فيه
ما فقعد الطنافسي فتوضأ ثم قال حاتم انا اتوضأ فتوضأ ثلثا ثلثا حتى اذا
بلغ غسل الذراعين غسل اربعا فقال له الطنافسي يا هذا اسرفت فقال له
حاتم فيما ذا قال غسلت ذراعيك اربعا قال حاتم يا سبحان الله انا في كف
ما اسرفت وانت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه اراده بذلك
ولم يرد منه التعلم فدخل البيت ولم يخرج الى الناس اربعين يوما وكتب
تجار الري وقزوين ما جرى بينه وبين ابن مقاتل والطنافسي الى تجار بغداد
فلما دخل بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا له يا ابا عبد الرحمن انت رجل
الكن اعجمي ليس يكلمك احد الا قطعته قال معي ثلاث خصال بهن اظهر على
خصمي قالوا اي شيء هي قال افرح اذا اصاب خصمي واحزن اذا اخطأ واحفظ
نفسي ان لا اجهل عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل فجا اليه وقال سبحان الله ما
اعقله فلما دخل اليه قال يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال حاتم
يا ابا عبد الله لن تسلم من الدنيا حتى تكون معك اربع خصال قال اي شيء هي
يا ابا عبد الرحمن قال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم وتبذل لهم شيئك
وتكون من شيئهم ايسا فاذا كان هذا سلمت ثم سار الى المدينة • قال الله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء ذكر جملة انما فينتفي العلم عمن لا يخشى الله كما
اذا قال انما يدخل الدار بغدادي ينتفي دخول غير البغدادي الدار فلاح لعلماء
الآخرة ان الطريق مسدود الى انصبة المعارف ومقامات القرب الا بالزهد
والتقوى • قال ابو يزيد رحمه الله يوما لاصحابه بقيت البارحة الى

الصباح

الصباح اجهد ان اقول لا اله الا الله فما قدرت عليه قيل ولم قال ذكرت
كلمة قلتها في صباي فجاءتني وحشة تلك الكلمة فمنعتني عن ذلك واعجب ممن يذكر
الله تعالى وهو متصف بشيء من صفات نفسه فبصفا التقوى وكمال الزهد
يصير العبد راسخا في العلم • قال الواسطي الراسخون في العلم هم الذين
رسخوا بارواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم فخاضوا في بحر
العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من مدخور الخزائن تحت كل حرف
من الكلام من الفهم وعجايب الخطاب فنطقوا بالحكم • قال بعضهم الراسخ
من اطلع على محل المراد من الخطاب • وقال الخراز هم الذين كملوا في جميع العلوم
وعرفوها واطلعوا على همم الخلايق كلهم اجمعين وهذا القول من ابي سعيد
لا يعني به ان الراسخ في العلم ينبغي ان يقف على جزئيات العلوم ويكملها فان عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه كان من الراسخين في العلم ووقف في معنى قوله تعالى وفاكهة وابا
وقال ما الاب ثم قال ان هذا الا تكلف ونقل هذا الوقوف في معنى الاب انه
كان من ابي بكر رضي الله عنه وانما عنى بذلك ابو سعيد ما تفسير اول
كلامه باخره وهو قوله اطلعوا على همم الخلايق كلهم لان المتقي حق التقى والزاهد
حق الزهادة في الدنيا صفا باطنه وانجلت مراة قلبه ووقعت له محاذاة
لشيء من اللوح المحفوظ فادرك به بصفا الباطن امهات العلوم واصولها
فعلم منتهى اقدام العلما في علومهم وفايدة كل علم والعلوم الجزئية متجزية
في النفوس بالتعليم والممارسة فلا تغنيه علمه الكلي ان يراجع في الجزئي اهله
الذين هم اوعيته فنفوس هولاء امتلات من الجزئي واشتغلت به وانقطعت
بالجزئي عن الكلي ونفوس العلما الزاهدين بعد الاخذ مما لا بد لهم منه في
اصل الدين واساسه من الشرع اقبلوا الى الله وانقطعوا اليه وخلصت
ارواحهم الى مقام القرب منه فافاضت ارواحهم على قلوبهم انوار الهيات
بها قلوبهم لادراك العلوم فارواحهم ارتقت عن حد ادراك العلوم بعكوفها
على العالم الازلي وتجردت عن وجود يصلح ان يكون وعا للعلم وقلوبهم
بنسبة وجهها الذي يلي النفوس صارت اوعية وجوديه تناسب وجود

العلم بالنسبة الوجودية فتالفت العلوم وتاليفها العلوم بما سبق انفصال
العلوم بايصالها باللوح المحفوظ والمعنى بالانفصال اسفاتها في اللوح لاغير
وانفصال القلوب عن مقام الارواح لوجود الخد ابها الى النفوس فصار
بين المنفصلين نسبة اشتراك موجب التالف تحصلت العلوم لذلك وصار
العلم الرباني راسخا في العلم • اوحى الله تعالى في بعض الكتب المنزلة يابني اسرائيل
لا تقولوا العلم في السما من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا في وراء
البحر من يعبر ويانى به العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بين يدي بآداب الروحانيين
وتخلقوا باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم فيغمركم
فالتادب باداب الروحانيين حصر النفوس عن تقاضي جبلاتها ومنعها
بصريح العلم في كل قول وفعل ولا يصح ذلك الا لمن علم وقرب وطرق الى الحضور
بين يدي الله تعالى فيتحفظ للحق بالحق • اخبرنا شيخنا ابو النجيب عبد القاهر
السهروردي اجازة قال انا ابو منصور بن خيرون اجازة قال انا ابو محمد الحسن
ابن علي الجوهري اجازة قال انا ابو عمر محمد بن العباس قال انا ابو محمد يحيى بن صاعد
قال ثنا الحسين بن الحسن المروزي قال انا عبد الله بن المبارك قال انا الاوزاعي
عن حسان بن عطيه قال بلغني ان شداد بن اوس رضي الله عنه نزل منزلا وقال
ايتونا بالسفرة نعبث بها فانكر منه ذلك فقال ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت الا
وانا اخطمها ثم ازمها غير هذه فلا تحفظوها علي فمثل هذا لون التادب باداب
الروحانيين • مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم
وقد ورد في خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم
قلنا يا رسول الله كيف يسبقنا بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم
فلا يزال في العلم قايلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل • وقال ابن مسعود
ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم الخشيه • وقال الحسن ان الله لا يعبا بذي
علم ورواية وانما يعبا بذي فهم ودراية فعلوم الوراثة مستخرجة من علوم
الدراسة ومثال علوم الدراسة كاللبن الخالص السايغ للشاربين ومثال علوم
الوراثه كالزبد المستخرج منه فلو لم يكن لبنا لم يكن زبدا ولكن الزبد هو الدهنية

المطلوبة

المطلوبة من اللبن والمايية في اللبن جسم قايم به روح الدهنيه والمايه بها القوام
وجعلنا من الماء كل شيء حي اومن كان ميتا فاحييناه اي كان ميتا بالكفر فاحييناه
بالاسلام والاحيا بالاسلام هو القوام الاول والاصل الاول للاسلام علومه
وهي علوم مباني الاسلام والاسلام بعد الايمان نظرا الى مجرد التصديق ولكن
الايمان فروع بعد التحقيق بالاسلام وهو مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق
اليقين وقد يقال التوحيد والمعرفة والمشاهدة والايمان في كل فرع من فروعه
علوم • فعلوم الاسلام علوم اللسان • وعلوم الايمان علوم القلوب • ثم علوم
القلوب لها وصف خاص ووصف عام فالوصف العام علم اليقين وقد يتوصل
اليه بالنظر والاستدلال ويشترك فيه علما الدنيا مع علما الاخرة وله وصف
خاص يختص به علما الاخرة وهي السكينة التي انزلت في قلوب المومنين ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم فعلى هذا جميع الرتب يشملها اسم الايمان بوصفه الخاص ولا يشملها
بوصفه العام فبالنظر الى الوصف الخاص اليقين ومراتبه من الايمان وبوصفه
العام اليقين • زيادة على الايمان والمشاهده وصف خاص في اليقين وهو عين
اليقين • وفي عين اليقين وصف خاص وهو حق اليقين نحو اليقين اذا فوق
المشاهدة وحق اليقين موطنه ومستقره في الاخرة وفي الدنيا منه لمح
يسير لاهله وهو من اعز ما يوجد من اقسام العلم بالله لانه وجدان قصاد
علم الصوفيه وزهاد العلما نسبته الى علم علما الدنيا الذين ظفروا باليقين
بطريق النظر والاستدلال كنسبة ما ذكرنا من علم الوراثه والدراسه عليهم
بمثابة اللبن لانه اليقين والايمان الذي هو الاساس وعلم الصوفيه بالله تعالى
من نصبة المشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن
ففضيلة الانسان بفضيلة العلم ورزانه الاعمال على قدر الحظ من العلم • وقد
ورد في الخبر فضل العالم على العابد كفضلي على امتي والاشارة في هذا العلم
ليس الى علم البيع والشرى والطلاق والعتاق وانما الاشارة الى العلم بالله
تعالى وبقوة اليقين وقد يكون العبد عالما بالله ذا يقين كامل وليس عنده
من فروض الكفايات وقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم من علما

التابعين وقد كان علما التابعين فيهم من هو افوم منهم بعلم الفتوى والاحكام
من بعضهم • روى ان عبد الله بن عمر كان اذا سئل عن شي يقول اسالوا سعيد
ابن المسيب وكان عبد الله بن العباس يقول اسلوا جابر بن عبد الله لو نزل اهل
البصرة على فتياه لوسعهم • وكان انس بن مالك يقول اسلوا مولانا الحسن
فانه قد حفظ ونسينا فكانوا يردون اليهم في علم الفتوى والاحكام ويعلمونهم
حقايق اليقين ودقايق المعرفة لانهم كانوا اقوم بذلك من التابعين صادفهم
طراوة الوحي المنزل وعمرهم عزيز العلم المجمل والمفصل فتلقى طايفة مجمله ومفصله
وطايفة مفصله دون مجمله وطايفة مجمله دون مفصله والمجمل اصل العلم
ومطلقه المكتسب بطهارة القلوب وقوة الغريزه وكمال الاستعداد خاص
لخصوص قال الله تعالى لنبيه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي احسن • وقال قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة
انا ومن اتبعني فلهذه السبيل سابله ولهذه الدعوات قلوب قابله فمنها نفوس
مستعصيه جامدة باقية على خشونه طبيعتها وجبلتها فلينها بنار الانذار
والموعظة والحذار ومنها نفوس زكيه من تربه طيبه موافقه للقلوب قريبة
منها فمن كانت نفسه ظاهرة على قلبه دعاه بالموعظة ومن كان قلبه
ظاهرا على نفسه دعاه بالحكمة فالدعوة بالموعظة اجاب بها الابرار وهي
الدعوة بذكر الجنة والنار • والدعوة بالحكمة اجاب بها المقربون وهي
الدعوة بتلويح منح القرب وصفو المعرفة واشارة التوحيد فلما وجدوا التلويحات
الحقانيه والتعريفات الربانية اجابوا بارواحهم وقلوبهم ونفوسهم فصار
متابعة الاقوال اجابتهم نفسا • ومتابعة الاعمال اجابتهم قلبا والتحقيق
بالاحوال اجابتهم روحا فاجابة الصوفيه بالكل واجابة غيرهم بالبعض
قال عمر رضي الله عنه رحم الله صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه يعني لو كتب
له كتاب الامان من النار حمله طرف المعرفة بعظيم امر الله على القيام بواجب
حق العبودية اداء لما عرف من حق العظمة فاجابة الصوفيه الى الدعوة اجابة
المحب للمحبوب على اللذاذة وذهاب العسر واجابة غيرهم على المكابدة والمجاهدة

وهذه

وهذه الاجابة يظهر مع الساعات اثرها في القيام بحقايق الاستقامة والعبودية
قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
قال بعضهم اعطى الدارين ولم يرشيا واتقى اللغو والسيات وصدق بالحسنى
اقام على طلب الزلفى والاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه ويلوح في
الاية وجه اخر اعطى بالمواظبة على الاعمال واتقى الوساوس والهواجس وصدق
بالحسنى لازم الباطن بتصفيه موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود
فسنيسره لليسرى يفتح عليه باب السهولة في العمل والعيش والانس واما
من بخل بالاعمال واستغنى امتلاء بالاحوال وكذب بالحسنى لم يكن في الملكوت
بفقود بصيرته فسنيسره للعسرى نسد عليه باب اليسر في
الاعمال • قال بعضهم اذا اراد الله بعبد سوا سد عليه باب العمل وفتح عليه
باب الكسل فلما اجابت نفوس الصوفيه وقلوبهم وارواحهم الدعوة
ظاهرا وباطنا كان حظهم من العلم اوفر ونصيبهم من المعرفه اكمل وذات اعمالهم
ازكى وافضل جا رجل الى معاذ فقال اخبرني عن رجلين احدهما مجتهد في العبادة
كثير العمل قليل الذنوب الا انه ضعيف اليقين يعتوره الشك قال معاذ
ليحبطن عمله شكه قال فاخبرني عن رجل قليل العمل الا انه قوي اليقين وهو في
ذلك كثير الذنوب فسكت معاذ فقال الرجل والله لئن احبط شك الاول اعمال
بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فاخذ معاذ بيده وقال ما رايت الذي
هو افقه من هذا • وفي وصيه لقمن لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين
ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقتصر العامل حتى يقصر يقينه فكان اليقين افضل
العمل لانه ادعى الى العمل وما كان ادعى الى العمل كان ادعى الى العبوديه وما كان
ادعى الى العبوديه كان ادعى الى القيام بحق الربوبيه فكمال الحظ من اليقين
والعلم بالله للصوفية والعلماء الزاهدين فان بذلك فضلهم وفضل علمهم
ثم اني اصور مسئلة يستبين بها المعتبر فضل العالم الزاهد العارف بصفات
نفسه على غيره عالم دخل مجلسا وقعد وميز لنفسه مجلسا يجلس فيه كما في
نفسه لمحله وعلمه فدخل داخل من ابنا جنسه وقعد فوقه فانتقص العالم

واظلمت عليه الدنيا ولو امكنه تبطش بالداخل فهذا عارض عرض له ومرض اعتراه وهو لا يفطن ان هذه علة غامضة ومرض يحتاج الى مداواة ولا يتفكر في منشا هذا المرض ولو علم ان هذه نفس ثارت وظهرت بجهلها وجهلها لوجود كبرها برؤيته نفسها خيرا من غيرها فيعلم الانسان انه اكبر من غيره لبره واظهاره ذلك تكبر تخبث انغصص صار فعلا به نكبر. فالصوفي والعالم الزاهد لا يميز نفسه بشيء دون المسلمين ولا يرى نفسه في مقام تمييز يميزها بمجلس مخصوص بهم. ولو قدر له ان يبتلى بمثل هذه الواقعة ويتعصر من تقدم عليه وترفعه فيرى النفس وظهورها ويرى ان هذا داء وانه ان استرسل فيه بالاصغا الى النفس وانعصارها صار ذلك دب حاله فيرفع في الحال داوه الى الله تعالى ويشكو اليه ظهور نفسه ويحسن الانابة بقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب الى الله تعالى مستعيا من النفس ويشغله اشتغاله برؤية دا النفس في طلب دوايها عن التفكر فيمن تعد فوقه وربما اقبل على من قعد فوقه بمزيد التواضع والانكسار تكفيرا للذنب الموجود وتداويا للدا الحاصل فيتبين بهذا الفرق بين الرجلين فاذا اعتبر المعتبر وتفقد حال نفسه في هذا المقام يرى نفسه كنفوس عوام الخلق وطالب المناصب الدنياويه فاي فرق بينه وبين غيره ممن لا علم له ولو اكثرنا تصوير المسايل تبرهن فضله الزاهدين ونقصان الراغبين وهذا من اوايل علوم الصوفيه فاطنك بنفايس علومهم وسرايف احوالهم

[margin: الباب الرابع — بيد صحيح]

الباب [بيد الغلط] الثالث

في شرح حال الصوفيه واختلاف طرقهم. اخبرنا الشيخ العالم ضيا الدين ابو احمد عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح عبد الملك بن ابي القسم الهروي قال انا ابو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقي قال انا ابو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي قال انا ابو العباس محمد بن احمد المحبوبي قال انا ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي قال انا مسلم بن حاتم الانصاري قال نا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد ابن المسيب قال قال انس بن مالك رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لاحد فافعل

ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي في الجنه وهذا اكمل تشريف واتم فضل اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم في حق من احيا سنته فالصوفية هم الذين احيوا هذه السنة وطهارة الصدور من الغل والغش عماد امرهم وبذلك ظهر جوهرهم وبان فضلهم وانما قدروا على احيا هذه السنه ونهضوا بواجب حقها لزهدهم في الدنيا وتركها على اربابها وطلابها لان مثار الغل والغش محبة الدنيا ومحبة الرفعه والمنزلة عند الناس والصوفيه زهدوا في ذلك كله. كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح الا لقوم كنست بارواحهم المزابل فلما سقط عن قلوبهم محبة الدنيا ومحبة الرفعه اصبحوا وامسوا وليس في قلوبهم غش لاحد فيقول القايل كنست بارواحهم المزابل اشارة منه الى غاية التواضع وان لا يرى نفسه تتميز على احد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا ينسد باب الغش والغل وجرت هذه الحكايه فقال بعض الفقرا من اصحابنا وقع لي ان معناه كنست بارواحهم المزابل ان الاشارة بالمزابل الى النفوس لانها مأوى كل خبث ونجس كالمزبلة وكنسها بنور الروح الواصل اليها لان الصوفيه ارواحهم في محل القرب ونورها يسري الى النفوس وبوصول نور الروح الى النفس تطمين النفس ويذهب عنها المذموم من الغل والغش والحقد والحسد فكانها تكنس وهذا المعنى صحيح وان لم يرد القايل بقوله ذلك. قال الله تعالى في وصف اهل الجنه ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين. قال ابو حفص كيف يبقى الغل في قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وانست بذكره ان تلك قلوب صافيه من هواجس النفوس وظلمات الطبايع بل كحلت بنور التوفيق فصارت اخوانا فالحلو يجابهم عن القيام باحيا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وحالا صفات نفوسهم فاذا تبدلت نعوت النفس ارتفع الحجاب وصحت المتابعة ووقعت الموافقه في كل شي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجبت المحبة من الله عند ذلك. قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله جعل متابعة الرسول اية محبة العبد

صلى الله عليه وسلم

ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله اياه فاوفر الناس حظا
من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم اوفرهم حظا من محبة الله فالصوفيه
من بين طوايف الاسلام ظفروا بحسن المتابعة لانهم اتبعوا اقواله فقاموا بما
امرهم ووقفوا عما نهاهم قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا ثم اتبعوه في اعماله من الجد والاجتهاد في العبادة والتهجد
والنوافل من الصوم والصلاه وغير ذلك ورزقوا ببركته المتابعة في الافعال
والاقوال التخلق باخلاقه من الحيا والحلم والصفح والعفو والرافه والشفقه
والمداراة والنصيحة والتواضع ورزقوا قسطا من احواله من الخشية والسكينة
والهيبة والتعظيم والرضى والصبر والزهد والتوكل فاستوفوا جميع اقسام
المتابعة واحيوا سننه باقصى الغايات • قيل لعبد الواحد بن زيد من الصوفيه
عندك قال القايمون بعقولهم على هممهم والعاكفون عليها بقلوبهم والمعتصمون
بسيدهم من شر نفوسهم هم الصوفيه وهذا وصف تام وصفهم به فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دايم الافتقار الى مولاه حتى كان يقول لا تكلني الى
نفسي طرفة عين اكلاني كلاية الوليد ومن اشرف ما ظفر به الصوفي من
متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الوصف وهو دوام الافتقار
ودوام الالتجا ولا يتحقق بهذا الوصف من صدق الافتقار الا عبد كوشف باطنه
بصفا المعرفه واشرق صدره بنور اليقين وخلص قلبه الى بساط القرب
وخلاسره بلذاذة المسامرة فبقيت نفسه بين هذه كلها اسيره مامورة
ومع ذلك كله يراها ماوي كل شر وهي بمثابه النار لو بقيت منها شرارة
احرقت عالما وهي وشيكة الرجوع سريعه الانقلاب والانفلات والله تعالى
بجمال لطفه عرفها الى الصوفيه وكشفها لهم على شيء من معنى ما كشفها لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فهو دايم الاستغاثه الى مولاه من شرها فكانما جعلت
سوطا للعبد نسوقه لمعرفته بشرها مع اللحظات الى جناب الالتجا وصدق
الافتقار والدعا فلا يخلو الصوفي عن مطالعتها ادنى ساعه كما لا يخلو عن ربه
ادنى ساعه وربط معرفتها بمعرفه الله تعالى فيما ورد من عرف نفسه فقد عرف

ربه كربط معرفه الليل بمعرفه النهار ومن الذي يقوم باحيا هذه السنة
من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الصوفي العالم بالله الزاهد في
الدنيا المتمسك من التقوى باوثق العرى ومن الذي يهتدي الى فايده هذا
الحال غير الصوفي فدوام افتقاره الى ربه تمسك بجناب الحق ولياذ به وفي
هذا اللياذ استغراق الروح واستنباعه للقلب الى محل الدعا وفي انجذاب
القلب الى محل الدعا بلسان الحال واللوذ فيه فقر النفس عن مستقرها عن
الاقسام العاجله ونزولها اليها في مدرج العلم محفوفه بحراسة الله تعالى
ورعايته والنفس المدبرة بهذا التدبير من حسن تدبير الله تعالى مامونه الغايله
من الغل والغش والحقد والحسد وساير المذمومات فهذا حال الصوفي وجمع
جمل حال الصوفيه شيان هما وصف الصوفيه واليهما الاشاره بقوله
تعالى يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب فقوم من الصوفيه خصوا
بالاجتبا الصرف وقوم منهم خصوا بالهداية بشرط مقدمة الانابة فالاجتبا
المحض غير معلل بكسب العبد وهذا حال المحبوب المراد يبادئه الحق بمنحه
ومواهبه من غير سابقه كسب منه تسبق كسوفه اجتهاده وفي هذا
الطريق يواخذ بطايفه من الصوفيه رفعت الحجب عن قلوبهم وبادأهم سطوع
نور اليقين فاثار بازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والاعمال فاقبلوا على
الاعمال باللذاذة والعطش فيها قرة اعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد
كما سهل على سحرة فرعون لذاذة النازل بهم من صفو العرفان تحمل وعيد
فرعون فقالوا لن نوثرك على ما جانا من البينات • قال جعفر الصادق
رضي الله عنه وجدوا ارياح العنايه القديمه بهم فالتجوا الى السجود شكرا
وقالوا امنا برب العالمين • انا ابو زرعه طاهر بن ابي الفضل اجازه قال
انا ابو بكر احمد بن علي بن خلف اجازة قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال
سمعت منصورا يقول سمعت ابا موسى الرقاق يقول سمعت ابا سعيد
الخراز يقول اهل الخالصة الذين هم المرادون تولاهم الله تعالى واكمل
لهم النعمة وهيا لهم الكرامه فاسقط عنهم حركات الطلب فصارت

حركاتهم في العلم والعمل والخدمة على الالفة والذكر والتعبد بمناجاته والانفراد
بقربه وبهذا الاسناد الى ابي عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي بن سعيد يقول
سمعت احمد بن الحسن الحمصي يقول سمعت فاطمة المعروفة بجويرية تلميذة ابي
سعيد تقول سمعت الخراز يقول المراد محمول في حاله معان على حركاته
وسعيه في الخدمة مكفي مصون عن الشواهد والنواظر وهذا الذي قاله
الشيخ ابو سعيد هو الذي اشتبه حقيقته على علماء من الصوفية ولم يعولوا
بالاكثار من النوافل وقد راوا جمعا من المشايخ قلت نوافلهم فظنوا ان
ذلك حال مستمر على الاطلاق ولم يعلموا ان الذين تركوا النوافل واقتصروا
على الفرايض كانت بداياتهم بدايات المريدين فلما وصلوا الى روح الحال
وادركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلوا بالحال فطرحوا نوافل الاعمال
فاما المرادون بقيا عليهم الاعمال والنوافل وفيها قرة اعينهم وهذا اتم واكمل
من الاول فهذا الذي اوضحناه احد طريقي الصوفية • فاما الطريق الاخر
طريق المريدين وهم الذين شرط لهم الانابة فقال تعالى ويهدي اليه من
ينيب طولبوا بالاجتهاد اولا قبل الكشوف قال الله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا يدرجهم الله في مدارج الكسب بانواع الرياضات
والمجاهدات وسهر الليالي وظمى الهواجر تتاجج فيهم نيران الطلب وتحجب دونهم
لوامع الارب يتقلبون في رمضا الارادة ويخلعون عن كل مالوف وعادة وهي
الانابة التي شرطها الحق سبحانه وتعالى لهم وجعل الهداية مقرونة بها
وهذه الهداية المذكورة انما هداية خاصة لانها هداية اليه غير الهداية
العامة التي هي الهداية الى امره ونهيه بمقتضى المعرفة الاولة وهذا حال
السالك المحب المريد فكانت الانابة غير الهداية العامة فاثمرت هداية
خاصة واهتدوا اليه بعد ان اهتدوا له بالمجاهدات تخلصوا من مضيق
العسر الى فضا اليسر وبرزوا من وهج الاجتهاد الى روح الاحوال فسبق
اجتهادهم كشوفهم والمرادون سبق كشوفهم اجتهادهم اخبرنا الشيخ الثقة
ابو الفتح محمد بن عبد الباقي قال انا ابو الفضل احمد بن احمد قال انا الحافظ ابو نعيم

الاصفهاني

الاصفهاني قال حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال سمعت محمد بن عبد الله
الرازي يقول سمعت ابا محمد الجريري يقول سمعت الجنيد يقول ما اخذنا
التصوف من القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المالوفات
والمستحسنات وقال محمد بن خفيف الارادة سمو القلب لطلب المراد وحقيقة
الارادة استدامة الجد وترك الراحة • وقال ابو عثمان المريد الذي مات قلبه
عن كل شي دون الله فيريد الله وحده ويريد قربه ويشتاق اليه حتى تذهب
شهوات الدنيا عن قلبه لشدة شوقه الى ربه • وقال ايضا عقوبة قلوب
المريدين ان يحجبوا عن حقيقة المعاملات والمقامات الى اضدادها فهذان الطر يقان
يجمعان احوال الصوفية ودونهما طريقان آخران ليسا من طرق المتحققين
بالتصوف احدهما مجذوب ابتر على جذبته ما رد الى الاجتهاد بعد الكشف
والثاني مجتهد متعبد ما خلص الى الكشف بعد الاجتهاد والصوفية في طريقتهم
باب مزيدهم وصحة طريقهم بحسن المتابعة ومن ظن ان يبلغ غرضا او يظفر بمراد
لا من طريق المتابعة فهو مخذول مغرور • اخبرنا شيخنا ابو النجيب السهروردي
رحمه الله قال انا عصام الدين عمر بن احمد الصفار قال انا ابو بكر احمد بن علي بن خلف
قال انا ابو عبد الرحمن قال سمعت نصر بن ابي نصر يقول سمعت فتيما غلام الرقي
يقول سمعت ابا سعيد السكري يقول سمعت ابا سعيد الخراز يقول كل باطن
يخالف الظاهر فهو باطل • وكان الجنيد يقول علمنا هذا مشتبك بحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال بعضهم من امر السنة على نفسه
قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة
حكي ان ابا يزيد البسطامي رحمه الله قال ذات يوم لبعض اصحابه قم بنا حتى ننظر
الى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية وكان الرجل في ناحيته مقصودا
مشهورا بالزهد والعبادة قال فمضينا اليه فلما خرج من بيته يقصد المسجد
رمى ببزاقه نحو القبلة فقال ابو يزيد انصرفوا فانصرف ولم يسلم عليه وقال هذا
رجل ليس بمامون على ادب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون
مامونا على ما يدعيه من مقامات الاولياء والصديقين • وسئل خادم

السبلي ما دارت منه عند موته فقال لما امسك لسانه اومى وجبينه
اشار الى ان وضئني للصلاة فوضاته فنسيت تخليل لحيته فقبض على يدي
وادخل اصابعي في لحيته يخللها • وقال سهل بن عبد الله كل وجد لا يشهد له
الكتاب والسنة فباطل هذا احال الصوفية وطريقهم وكل من يدعي حالا على
غير هذا الوجه فمدع مفتون كذاب

الباب الخامس

في ماهية التصوف • اخبرنا الشيخ ابو زرعة طاهر بن ابي الفضل في كتابه
قال انا ابو بكر احمد بن علي بن خلف الشيرازي اجازة قال انا الشيخ ابو عبد
الرحمن السلمي قال انا ابراهيم بن احمد بن محمد بن رجا قال ثنا عبد الله بن احمد البغا
قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا عمر بن راشد عن مالك بن انس عن نافع عن
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شي مفتاح ومفتاح
الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيمة الفقر ان
من ماهية التصوف وهو اساسه وبه قوامه • قال رويم رحمة الله عليه التصوف
مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار • والتحقق بالبذل والايثار
وترك التعرض والاختيار • وقال الجنيد وقد سئل عن التصوف فقال ان
تكون مع الله بلا علاقة • وقال معروف الكرخي التصوف الاخذ بالحقائق
واليأس مما في ايدي الخلائق • فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف • سئل
الشبلي عن حقيقة الفقر فقال ان لا تستغني بشي دون الحق • وقال ابو
الحسين النوري نعت الفقير السكون عند العدم • والبذل والايثار عند
الوجود • قال بعضهم ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرا ان يدخل
عليه الغنى فيفسد عليه فقره كما ان الغني يحترز من الفقر حذرا ان يدخل
عليه الفقر فيفسد عليه غناه • وبالاسناد الذي سبق الى ابي عبد الرحمن
قال سمعت ابا عبد الله الرازي يقول سمعت مظفرا القرميسيني يقول الفقير
الذي لا يكون له الى الله حاجة • قال وسمعته يقول سالت ابا بكر المصري عن
الفقير فقال الذي لا يملك ولا يملك • قوله لا يكون له الى الله حاجة معناه انه
مشغول بوظايف عبوديته تام الثقة بربه عالم بحسن كلائه لا يحوجه الى

رفع

مطلب تعريف التصوف والفقر

رفع الحاجة لعلمه بعلم الله بحاله فيرى السؤال في البين زيادة • واقوال المشايخ
تتنوع معانيها لا بفهم اشاراتهم وافيها الى احوال في اوقات دون اوقات ويحتاج في
تفصيل بعضها من البعض الى الضوابط فقد تذكر اشياء في معنى التصوف ذكر
مثلها في معنى الفقر وتذكر اشياء في معنى الفقر ذكر ذكر مثلها في معنى التصوف
وحيث وقع الاشتباه فلا بد من بيان فاصل • تشتبه الاشارات في الفقر بمعاني
الزهد تارة وبمعنى التصوف تارة ولا يتبين للمسترشد بعضها من البعض فنقول
التصوف غير الفقر والزهد غير الفقر والتصوف غير الزهد فالتصوف اسم
جامع لمعاني الفقر ومعاني الزهد مع مزيد واضافات لا يكون بدونها الرجل صوفيا
وان كان زاهدا او فقيرا • قال ابو حفص التصوف كله اداب لكل وقت ادب ولكل
حال ادب ولكل مقام ادب فمن لزم ادب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع
الاداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول وقال
ايضا حسن ادب الظاهر عنوان حسن ادب الباطن لان النبي عليه الصلاة والسلام
قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه • اخبرنا الشيخ رضي الدين احمد بن اسمعيل اجازة
قال انا الشيخ ابو المظفر عبد المنعم قال اخبرني والدي ابو القسم القشيري
قال سمعت محمد بن احمد بن يحيى الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سئل ابو محمد
الجريري عن التصوف فقال الدخول في كل خلق سني والخروج عن كل خلق دني •
فاذا عرف هذا المعنى في التصوف من حصول الاخلاق وتبديلها واعتبر حقيقته يعلم
ان التصوف فوق الزهد وفوق الفقر • وقيل نهاية الفقر مع شرفه بداية التصوف
واهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر يقولون قال الله تعالى للفقراء الذين احصروا
في سبيل الله هذا وصف الصوفية والله تعالى سماهم فقراء وسا وضح معنى يفترق
الحال به من التصوف والفقر • نقول الفقير في فقره متمسك به متحقق بفضله
يؤثره على الغنى متطلع الى ما تحقق به من العوض عند الله حيث يقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدخل فقراء امتي الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام
فمهما لاحظ العوض الباقي امسك عن الحاصل الفاني وعانق الفقر والقلة وخشي زوال
الفقر لفوات الفضيلة والعوض وهذا عين الاعتلال في طريق الصوفي لانه تطلع الى

الأعواض وترك لاجلها والصوفي يترك الاشيا لا للاعواض الموعودة بل للاحوال الموجودة فانه ابن وقته • وايضا ترك الفقير الحظ العاجل واغتنامه الفقر اختيار منه وارادة والاختيار والارادة علة في حال الصوفي لان الصوفي صار قايما في الاشيا بارادة الله لا بارادة نفسه فلا يرى فضيلة في صورة فقر ولا في صورة غنى وانما يرى الفضيلة فيما يوقفه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الاذن من الله في الدخول في الشي • وقد يدخل في صورة سعة مباينة للفقر باذن من الله ويرى الفضيلة حينئذ في السعة لمكان اذن من الله فيه ولا يفسح في السعة والاحوال فيها للصادقين الا بعد احكامهم علم الاذن وفي هذا مزلة الاقدام وباب دعوى المدعين وما من حال يحققه صاحب الحال الا وقد يحكيه راكب المحال ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة • فاذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتصوف وعلم ان الفقر اساس التصوف وبه قوامه على معنى ان الوصول الى رتب التصوف طريقه الفقر لا على معنى انه يلزم من وجود التصوف وجود الفقر • قال الجنيد التصوف ان يميتك الحق عنك ويحييك به وهذا المعنى هو الذي ذكرناه من كونه في الاشيا قايما بالله لا بنفسه والفقير والزاهد يكونان في الاشيا بنفوسهم وافقين مع ارادتهم مجتهدين مبلغ علمهم والصوفي متهم لنفسه مستقبل لعلمه غير راكن الى معلومه قايم بمراد الله لا بمراد نفسه • قال ذو النون الصوفي من لا يتعبه طلب ولا يزعجه سلب • وقال ايضا الصوفية اثروا الله على كل شي فاثرهم على كل شي فكان من اثارهم ان اثروا اعلام الله على علم نفوسهم وارادة الله على ارادة نفوسهم • قيل لبعضهم من اصحب من الطوايف قال الصوفية فان للقبيح عندهم وجها من المعاذير وليس للكثير من العمل عندهم وقع يرفعونك به فيعجبك نفسك وهذا علم لا يوجد عند الفقير والزاهد لان الزاهد يستعظم الترك ويستقبح الاخذ وهكذا الفقير وذلك لضيق علمهم ووقوفهم على حد علمهم • وقال بعضهم الصوفي من اذا استقبله حالان حسنان او خلقان حسنان يكون مع الاحسن والفقير والزاهد لا يميزان اهل التمييز بين الخلقين الحسنين بل يختاران ايضا من الاخلاق ما هو الادعى الى الترك والخروج

من

من شواغل الدنيا حاكما في ذلك بعلمه فالصوفي هو المستبين الاحسن من عند الله بصدق التجائه وحسن انابته وحفظ قربه ولطيف ولوجه وخروجه الى الله الكريم لعلمه بربه وحظه من محادثته ومطالبته • قال رويم التصوف استرسال النفس مع الله على ما يريد • وقال عمرو بن عثمان المكي التصوف ان يكون العبد في كل وقت بما هو اولى في الوقت • وقال بعضهم التصوف اوله علم واوسطه عمل واخره موهبة • وقيل التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع وقال سهل بن عبد الله الصوفي من صفا من الكدر وامتلا من الفكر وانقطع الى الله من البشر • واستوى عنده الذهب والمدر • وسيل بعضهم عن التصوف فقال تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الاخلاق الطبيعية واخماد صفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة • قال ذو النون رايت ببعض سواحل الشام امراة فقلت من اين اقبلت قالت من عند اقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت واين تريدين قالت الى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فقلت صفيهم لي فانشات تقول • • • •

قوم همومهم بالله قد علقت فما لهم همم تسمو الى احد فمطلب القوم مولاهم وسيدهم يا حسن مطلبهم للواحد الصمد

ما ان تنازعهم دنيا ولا شرف من المطاعم واللذات والولد • ولا للبس ثياب فايق انق ولا لروح سرور حل في بلد

الا مسارعة في اثر منزلة قد قارب الخطو فيها باعد الامد • فهم رهاين غدران واودية وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد

وقال الجنيد ايضا الصوفي كالارض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها الا كل مليح • وقال هو كالارض يطوها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شي وكالقطر يسقي كل شي • واقوال المشايخ رحمهم الله في ماهية التصوف تزيد على الف قول ويطول نقلها ونذكر ضابطا يجمع جمل معانيها فان الالفاظ وان اختلفت متقاربة المعاني • فنقول الصوفي هو الذي يكون دايم التصفية لا يزال يصفي الاوقات عن شوب الاكدار بتصفية القلب عن شوب النفس ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره الى مولاه فبدوام الافتقار يتفطن للكدر وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها ادركها ببصيرته النافذة وفر منها الى ربه فبدوام تصفيته جمعيته

وتحركه نفسه تفرقته وكدره فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه قال
الله تعالى كونوا قوامين لله شهداء بالقسط وهذه القوامية لله على النفس هو
التحقق بالتصوف • قال بعضهم التصوف كله اضطراب واذا وقع السكون
فلا تصوف والسر فيه ان الروح مجذوبة الى الحضرة الالهية • يعني روح
الصوفي متطلعة منجذبة الى مواطن القرب وللنفس بوصفها رسوب الى عالمها وانقلاب
على عقبها ولا بد للصوفي من دوام الحركة بدوام الافتقار ودوام الفرار وخشية
التقيد لمواقع اصابات القبس ومن وقف على هذا المعنى يجد في معنى التصوف جميع
المتفرق في الاشارات

الباب السادس

في ذكر تسميتهم بهذا الاسم
اخبرنا الشيخ ابو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال اخبرني والدي قال انا ابو علي الشافعي
بمكة حرسها الله تعالى قال اخبرنا احمد بن ابراهيم قال انا ابو جعفر محمد بن ابراهيم
قال انا ابو عبد الله المخزومي قال حدثنا سفين عن مسلم انه سمع انس بن مالك يقول
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف
فمن هذا الوجه ذهب قوم الى انهم سموا صوفية نسبة لهم الى ظاهر اللبسة لانهم
لانهم اختاروا لبس الصوف لكونه ارفق ولكونه كان لباس الانبياء عليهم السلام
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مر بالصخرة من الروحاء
سبعون نبيا حفاة عليهم العباء يؤمون البيت الحرام • وقيل ان عيسى كان
يلبس الصوف والشعر وياكل من الشجر ويبيت حيث امسى • وقال الحسن البصري
لقد ادركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف • ووصفهم ابو هريرة وفضالة
ابن عبيد فقالا كانوا يخرون من الجوع حتى يحسبهم الاعراب مجانين وكان لباسهم
الصوف حتى ان بعضهم كان يعرق في ثوبه فيوجد منه رائحة الضان اذا اصابه
الغيث • وقال بعضهم انه ليؤذيني ريح هؤلاء اما يؤذيك بحضرتهم خاطب رسول انه
الله صلى الله عليه وسلم بذلك وكان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا
وقناعتهم بسد الجوعة وستر العورة واستغراقهم في امر الآخرة فلم يتفرغوا
لملاذ النفوس وراحتها لشدة شغلهم بخدمة مولاهم وانصراف همهم الى امر
الآخرة • وهذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق لانه يقال تصوف

اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص ولما كان حالهم بين سير وطير
بتقلبهم في الاحوال وارتقائهم من عال الى اعلى منه لا تقيدهم وصف ولا يحبسهم
نعت ابواب المزيد علما وحالا عليهم مفتوحة بواطنهم معدن الحقايق ومجمع العلوم
فلما تعذر تقييدهم بحال لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدهم نسبوا الى ظاهر اللبسة
فكان ذلك ابين في الاشارة اليهم وادعى الى حصر وصفهم لان لبس الصوف كان
غالبا على المتقدمين من سلفهم وايضا لان حالهم حال المقربين كما سبق ذكره
ولما كان الاعتزاء الى القرب وعظم الاشارة الى قرب الله تعالى امر صعب يعز كشفه
والاشارة اليه وقعت الاشارة الى زيهم سترا لحالهم وغيرة على عزيز مقامهم
ان تكثر الاشارة اليه • وتتداوله الالسنة فكان هذا اقرب الى الادب والادب
في الظاهر والباطن والقول والفعل عماد امر الصوفية وفيه معنى آخر
وهو ان نسبتهم الى اللبسة تنبئ عن تقللهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس
اليه بالهوى من الملبوس الناعم حتى ان المبتدي المريد الذي يؤثر طريقهم ويحب
الدخول في امرهم يوطن نفسه على التقشف والتقلل ويعلم ان المألوف ايضا من
جنس الملبوس فيدخل في طريقهم على بصيرة وهذا امر مفهوم معلوم عند المبتدي
والاشارة الى شيء من حالهم • وتسميتهم بذلك ابعد من فهم ارباب البدايات فكان
تسميتهم بهذا انفع واولى • وايضا غير هذا المعنى مما يقال انهم سموا صوفية
لذلك يتضمن دعوى واذا قيل سموا صوفية للبسهم الصوف كان ابعد من الدعوى
وكلما كان ابعد من الدعوى كان اليق بحالهم وايضا لان لبس الصوف حكم ظاهر على
الظاهر من امرهم ونسبتهم الى امر آخر من حال او مقام امر باطن والحكم بالظاهر
اوفق واولى فالقول بانهم سموا صوفية للبسهم الصوف اليق واقرب الى التواضع
ويقرب ان يقال لما آثروا الذبول والخمول والتواضع والانكسار والتخفي والتواري
كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية التي لا يرغب فيها ولا يلتفت اليها فيقال
صوفي نسبة الى الصوفة كما يقال كوفي نسبة الى الكوفة وهذا ذكره بعض
اهل العلم والمعنى المقصود به قريب ويلائم الاشتقاق ولم يزل لبس الصوف
اختيار الصالحين والزهاد والعباد والمتقشفين • اخبرنا ابو زرعة طاهر عن ابيه

قال انا عبد الرزاق بن عبد الكريم قال انا ابو الحسن محمد بن محمد قال ثنا الحسن
ابن عرفة قال ثنا خلف بن خليفة عن حميد الاعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كلم الله تعالى موسى عليه السلام
كان عليه جبة صوف وسراويل من صوف وكساء من صوف وكمة من صوف ونعلاه
من جلد حمار غير ذكي وقيل سموا صوفية لانهم في الصف الاول بين يدي الله عز وجل
بارتفاع هممهم واقبالهم على الله بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه وقيل
كان هذا الاسم في الاصل صفوي فاستثقل ذلك وجعل صوفيا • وقيل سموا صوفية
نسبة الى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذين قال الله تعالى فيهم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا
في الارض الاية • وهذا وان كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكن
صحيح من حيث المعنى لان الصوفية يشابه حالهم حال اوليك لكونهم مجتمعين متألفين
متصاحبين لله وفي الله كاصحاب الصفة وكانوا نحوا من اربعماية رجل لم تكن لهم
مساكن بالمدينة ولا عشاير جعلوا انفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديما
وحديثا في الزوايا والربط وكانوا لا يرجعون الى زرع ولا الى ضرع ولا الى تجارة كانوا
يحتطبون ويرضخون النوى بالنهار وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القران
وتلاوته • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسيهم ويحث الناس على
مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم وفيهم نزل قوله تعالى ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي وقوله واصبر نفسك الاية ونزل في ابن ام مكتوم
عبس وتولى ان جاءه الاعمى وكان من اهل الصفة فعوتب النبي عليه الصلاة والسلام
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافحهم لا ينزع يده من ايديهم وكان
يفرقهم على اهل الجدة والسعة يبعث مع واحد ثلاثة ومع الاخر اربعة وكان
سعد بن معاذ يحمل الى بيته منهم ثمانين رجلا يطعمهم • وقال ابو هريرة لقد
رايت سبعين من اهل الصفة يصلون في ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبتيه
فاذا ركع احدهم قبض بيديه مخافة ان تبدو عورته وقال بعض اهل الصفة
جئنا جماعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يا رسول الله احرق بطوننا

التمر

التمر فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم قال ما بال
اقوام يقولون احرق بطوننا التمر اما علمتم ان هذا التمر هو طعام اهل المدينة
وقد واسونا به وواسيناكم مما واسونا به والذي نفس محمد بيده ان منذ شهر
لم يرتفع من بيت رسول الله دخان للخبز وليس لهم الا الاسودان اي الماء والتمر
اخبرنا الشيخ ابو الفتح محمد بن عبد الباقي في كتابه قال انا الشيخ ابو بكر بن زكريا
الطريثيثي قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي قال ثنا محمد بن محمد بن سعيد
الانماطي قال ثنا الحسن بن يحيى بن سلام قال ثنا محمد بن علي الترمذي قال ثني
سعيد بن حاتم البلخي قال ثنا سهل بن اسلم عن خلاد بن محمد عن ابي عبد الرحمن السكري
عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال وقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما على اهل الصفة فراى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم
فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي منكم على النعت الذي انتم عليه اليوم
راضيا بما فيه فانه من رفقاي يوم القيمة • وقيل كانت منهم طايفة
في خراسان ياوون الى الكهوف والمغارات ولا يسكنون القرى والمدن يسميهم
في خراسان شكفتية لان شكفت اسم الغار ينسبونهم الى الماوي والمستقر
واهل الشام يسمونهم جوعية • والله تعالى ذكر في القران طوايف الخير والصلاح
فسمى قوما ابرارا واخرين مقربين ومنهم الصابرين والصادقين والذاكرين
والمحبين واسم الصوفي يشمل جميع المتفرق في هذه الاسماء المذكورة وهذا الاسم
لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان في زمن التابعين • ونقل عن
الحسن البصري انه قال رايت صوفيا في الطواف فاعطيته شيا فلم ياخذ وقال
معي اربعة دوانيق يكفيني ما معي • ويشيد هذا ما روي عن سفين انه قال لولا
ابو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الريا وهذا يدل على ان هذا الاسم كان يعرف
قديما • وقيل لم يعرف هذا الاسم الى المايتين من الهجرة العربية لان في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمون الرجل صحابيا لشرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الاشارة
اليها اولى من كل اشارة وبعد انقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجهدهم

من اخذ منهم العلم سمي تابعيًا ثم لما تقادم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة
وانقطع الوحي السماوي وتوارى النور المصطفوي واختلفت الآراء وتنوعت
الانحاء وتفرد كل ذي راي برايه وكدر شرب العلوم شوب الاهوية
وتزعزعت ابنية المتقين واضطربت عزايم الزاهدين وغلبت الجهالات
وكثف حجابها وكثرت العادات وتملكت اربابها وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها
تفردت طايفة باعمال صالحة واحوال سنية وصدق في العزيمة وقوة في الدين
وزهد في الدنيا واغتنموا العزلة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة
وينفردون اخرى اسوة باهل الصفة تاركين للاسباب متبتلين الى رب
الارباب فاثمر لهم صالح الاعمال سني الاحوال وتهيا لهم صفاء الفهوم لقبول
العلوم وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الايمان
ايمان كما قال حارثة اصبحت مومنًا حقًا حيث كوشف برتبة في الايمان غير ما
يتعاهدها فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها واشارات يتعاهدونها
فحرروا لنفوسهم اصطلاحات تشير الى معان يعرفونها وتعرب عن احوال
يجدونها فاخذ ذلك الخلف عن السلف حتى صار ذلك رسمًا مستمرًا وخيرًا
مستقرًا في كل عصر وزمان فظهر هذا الاسم بينهم وتسموا به وسموا به
فالاسم سمتهم والعلم بالله صفتهم والعبادة حليتهم والتقوى شعارهم
وحقايق الحقيقة اسرارهم نزاع القبايل واصحاب الفضايل سكان قباب الغيرة
وقطان ديار الحيرة لهم مع الساعات من امداد فضل الله مزيد ولهيب شوقهم
يتاجج ويقول هل من مزيد

الباب السابع

في ذكر المتصوف والمتشبه به اخبرنا شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب
السهروردي رحمه الله عليه اجازة قال انا الشيخ ابو منصور بن خيرون قال انا
ابو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال انا محمد بن العباس بن زكريا قال انا
يحيى بن محمد بن صاعد قال ثنا الحسين بن الحسين المروزي قال انا عبد الله بن المبارك
قال انا المعتمر بن سليمان قال ثنا حميد الطويل عن انس بن مالك قال جاء رجل الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى قيام الساعة فقام رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة فلما قضى الصلاة قال اين السايل عن الساعة
فقال الرجل انا يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها كبير صلاة
ولا صيام او قال ما اعددت لها كبير عمل الا اني احب الله ورسوله فقال النبي
صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب او انت مع من احببت قال انس فما رايت المسلمين
فرحوا بشي بعد الاسلام فرحهم بها فالمتشبه بالصوفية ما اختار التشبه بهم
دون غيرهم من الطوايف الا لمحبته اياهم وهو مع تقصيره عن القيام بما هم فيه
يكون معهم لموضع ارادته ومحبته • وقد ورد بلفظ اخر اوضح من الخبر الذي
رويناه في المعنى روى عبادة بن الصامت عن ابي ذر الغفاري قال قلت يا
رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع ان يعمل كعملهم قال انت يا ابا ذر مع من
احببت قال قلت فاني احب الله ورسوله قال فانك مع من احببت قال فاعادها
ابو ذر فاعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمحبة المتشبه اياهم لا تكون
الا لتنبه روحه لما تنبهت له ارواح الصوفية لان محبة الله محبة امر الله وما
يقرب اليه ومن يقرب منه تكون بجاذب الروح غير ان المتشبه تعوق بظلمة
النفس والصوفي تخلص من ذلك والمتصوف متطلع الى حال الصوفي وهو مشارك
بقايا شي من صفات نفسه عليه للمتشبه • وطريق الصوفية اوله ايمان ثم
علم ثم ذوق فالمتشبه صاحب ايمان والايمان بطريق الصوفية اصل كبير
قال الجنيد الايمان بطريقنا هذا ولاية ووجه ذلك ان الصوفية تميزوا باحوال
عزيزة واثار مستغربة عند اكثر الخلق لانهم مكاشفون بالقدر وغرايب العلوم
واشاراتهم الى عظيم امر الله والقرب منه والايمان بذلك ايمان بالقدرة ولهم
علوم من هذا القبيل ولا يومن بطريقهم الا من خصه الله تعالى بمزيد عناية فالمتشبه
صاحب ايمان والمتصوف صاحب علم لانه بعد الايمان اكتسب مزيد
علم بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد يستدل بها على سايرها والصوفي
صاحب ذوق فللمتصوف الصادق نصيب من حال الصوفي وللمتشبه نصيب
من حال المتصوف وهكذا سنة الله جارية ان كل صاحب حال له ذوق
فيه لا بد ان يكشف له علم حال اعلى مما هو فيه فيكون في الحالة الاولى صاحب

وقد انكر قوم من اهل
الملة كرامات الاوليا

ذوق وفي الحال الذي كوشف به صاحب علم وحال فوق ذلك صاحب اعلى
حتى لا يزال طريق الطلب مسلوكا فيكون في حال الذوق صاحب قدم • وفي حال
العلم صاحب نظر وفي حال فوق ذلك صاحب ايمان قال الله تعالى ان الابرار
لفي نعيم على الارائك ينظرون • وصف الابرار ووصف شرابهم • ثم قال سبحانه
وتعالى ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فكان لشراب الابرار
مزج من شراب المقربين وللمقربين ذلك صرف فللصوفي شراب صرف وللمتصوف
من ذلك مزج في شرابه وللمتشبه مزج من شراب المتصوف فالصوفي سبق الى
مقار الروح من بساط القرب والمتصوف بالنسبة الى الصوفي كالمتزهد
بالنسبة الى الزاهد لانه تفعل وتعمل وتسبب اشارة الى ما بقي عليه من وصفه
مجتهد في طريقه ساير الى ربه • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيروا سبق المفردون قيل من المفردون يا رسول الله قال المستهترون
بذكر الله وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا فالصوفي
في مقام المفردين والمتصوف في مقام السايرين واصل في سيره الى مقار القلب
من ذكر الله ومراقبته بقلبه وتلذذه بنظره الى نظر الله اليه فالصوفي في
مقار الروح صاحب مشاهدة • والمتصوف في مقار القلب صاحب مراقبة
والمتشبه في مقاومة النفس صاحب مجاهدة وصاحب محاسبة فتلوين
الصوفي بوجود قلبه وتلوين المتصوف بوجود نفسه • والمتشبه لا تلوين له
لان التلوين لارباب الاحوال والمتشبه مجتهد سالك لم يتصل بعد الى الاحوال
والكل يجمعهم دايرة الاصطفاء • قال الله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن
الله • قال بعضهم الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب
وقال بعضهم الظالم الذي يجزع من البلا والمقتصد الذي يصبر عند البلاء
والسابق يتلذذ بالبلا • وقال بعضهم الظالم يعبد على الغفلة والعادة
والمقتصد يعبد على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهيبة والمنة
وقال بعضهم الظالم يذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لا ينسى

وفي صحيح مسلم
المفردون [illegible]

ربه

ربه • وقال احمد بن عاصم الانطاكي الظالم صاحب الاقوال والمقتصد صاحب
الافعال والسابق صاحب الاحوال وكل هذه الاقوال قريبة التناسب
من حال الصوفي والمتصوف والمتشبه • وكلهم من اهل الفلاح والنجاح
يجمعهم دايرة الاصطفا وتولف بينهم نسبة التخصيص بالمنح والعطاء
اخبرنا الشيخ العالم رضي الدين ابو الخير احمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال انا
ابو سعيد محمد بن ابي العباس قال انا القاضي محمد بن سعيد قال انا ابو اسحق
احمد بن محمد بن ابراهيم قال اخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال ثنا احمد بن
محمد بن رزمة قال ثنا يوسف بن عاصم الرازي قال ثنا ابو ايوب سليمن بن
داود قال ثنا حصين بن نمير عن ابي ليلى عن اخيه عن اسامة بن زيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله كلهم في الجنة • قال ابن عطا الظالم
الذي يحب الله من اجل الدنيا والمقتصد الذي يحب الله من اجل العقبى والسابق
هو الذي اسقط مراده بمراد الحق فيه وهذا هو حال الصوفي والمتشبه
يعرض لشي من امر العزم ويوجب له ذلك القرب منهم والقرب منهم مقدمة
كل خير • سمعت شيخنا يقول جاء بعض ابنا الدنيا الى الشيخ احمد الغزالي رحمه
الله ونحن باصفهان يريد منه الخرقة فقال له الشيخ اذهب الى فلان يشير
الي حتى يكلمك في معنى الخرقة ثم احضر حتى البسك الخرقة قال فجا الي فذكرت
له حقوق الخرقة وما يجب من رعاية حقها واداب من يلبسها ومن يوهل للبسها
فاستعظم الرجل حقوق الخرقة وجبن ان يلبسها فاخبر الشيخ بما تجدد عنده
الطالب من قولي له فاستحضرني وعاتبني على قولي له ذلك وقال بعثته اليك
حتى تكلمه بما يزيد رغبته في الخرقة فكلمته بما فترت عزيمته ثم الذي ذكرته
كله صحيح وهو الذي يجب من حقوق الخرقة ولكن اذا الزمنا المبتدي بذلك نفر
وعجز عن القيام به فنحن نلبسه الخرقة حتى يتشبه بالقوم ويتزيا بزيهم فيقربه
ذلك من مجالسهم ومحافلهم وببركة مخالطته معهم ونظره الى احوال القوم
وسيرهم يحب ان يسلك مسلكهم ويصل بذلك الى شي من احوالهم ويوافق هذا

القول من الشيخ احمد الغزالي ما اخبرنا به شيخنا رحمة الله عليه قال انا
عصام الدين عمر بن احمد الصفار قال انا ابو بكر احمد بن علي بن خلف قال انا
الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفرا
يقول سمعت ابا القسم الجنيد يقول اذا لقيت الفقير فلا تبتداه بالعلم
وابداه بالرفق فان العلم يوحشه والرفق يونسه ويرفق الصوفية بالمتشبهين
بهم ينتفع المبتدي الطالب • وكل من كان منهم اكمل حالا واوفر علما كان اكثر
رفقا بالمبتدي الطالب • حكي عن بعضهم انه صحبه طالب فكان ياخذ نفسه
بكثرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك الا نظر المبتدي اليه والتادب
بادبه والاقتداء به في عمله وهذا هو الرفق الذي ما دخل في شي الا زانه فالمتشبه
الحقيقي له ايمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واحتهاد على ما دل زناه انه
صاحب مجاهدة ومحاسبة لم يصير متصوفا صاحب مراقبة لم يصير صوفيا
صاحب مشاهدة فاما من لم يتطلع الى حال المتصوف والصوفي بالتشبه ولا
يقصد اوايل مقاصدهم بل هو على مجرد تشبه ظاهر من ظاهر اللبسة والمشاركة
في الزي والصورة دون السيرة والصفة فليس بمتشبه بالصوفية لانه غير
محال لهم بالدخول في بدايا تهم فاذا هو متشبه بالمتشبه يعتزي الى القوم
بمجرد لبسة ومع ذلك هم القوم لا يشقى بهم جليسهم وقد ورد من تشبه بقوم
فهو منهم اخبرنا الشيخ ابو الفتح محمد بن سليمان قال انا ابو الفضل حمد قال انا
الحافظ ابو نعيم الاصفهاني قال نا عبد الله بن محمد بن جعفر نا احمد بن عمرو بن
ابي عاصم نا ابراهيم بن محمد الشافعي نا علي بن احمد بن علي المقدسي نا محمد بن عبد بن
علي نا ابراهيم بن الاشعث قال نا فضيل بن عياض عن سليمان الاعمش عن ابي
صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله
ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون بالطرق ويتبعون الذكر فاذا راوا قوما
يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم باجنحتهم الى عنان السما فيقول الله
وهو اعلم ما يقول عبادي قالوا يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل
راوني فيقولون لا فيقول كيف ولو راوني قالوا لو راوك كانوا اشد تسبيحا

وتحميدا

وتحميدا وتمجيدا فيقول ما يسالوني قالوا يسالونك الجنة فيقول فهل راوها
قالوا لا فيقول كيف ولو راوها قالوا لو راوها كانوا لها اشد طلبا وعليها
حرصا قالوا ويتعوذون من النار فيقول هل راوها قالوا لا فيقول كيف ولو راوها
قالوا لو راوها كانوا اشد منها تعوذا واشد فرارا فيقول اشهدكم اني
غفرت لهم فيقول الملك فيهم فلان ليس منهم انما جا لحاجة فيقول تبارك
وتعالى هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم فلا يشقى جليس الصوفية والمتشبه
بهم والمحب لهم والله تعالى المستعان والموفق للحق والخير بمنه وكرمه

الباب الثامن في ذكر الملامتي وشرح حاله

قال بعضهم
الملامتي هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا وشرح هذا ان الملامتي تشربت
عروقه طعم الاخلاص وتحقق بالصدق فلا يحب ان يطلع احد على حاله واعماله
اخبرنا الشيخ ابو زرعة طاهر بن ابي الفضل المقدسي اجازة قال انا ابو بكر
احمد بن علي بن خلف الشيرازي اجازة قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي
قال سمعت علي بن سعيد وسالته عن الاخلاص ما هو قال سمعت علي بن ابراهيم
وسالته عن الاخلاص ما هو قال سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسالته عن
الاخلاص ما هو قال سمعت احمد بن بشار وسالته عن الاخلاص ما هو قال
سمعت ابا يعقوب الشروطي عن الاخلاص ما هو قال سالت احمد بن غسان
عن الاخلاص ما هو قال سالت احمد بن علي الجهني عن الاخلاص ما هو قال
سالت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ما هو قال سالت الحسن عن الاخلاص
ما هو قال سالت حذيفة عن الاخلاص ما هو قال سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الاخلاص ما هو قال سالت جبريل عليه السلام عن الاخلاص
ما هو قال سالت رب العزة عن الاخلاص ما هو قال هو سر من سري استودعته
قلب من احببت من عبادي • فالملامتية لهم مزيد اختصاص بالتمسك بالاخلاص
يرون كتم الاحوال والاعمال ويتلذذون بكتمها حتى لو ظهرت اعمالهم واحوالهم
لاحد استوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصي من ظهور معصيته فالملامتي
عظم وقع الاخلاص وموضعه وتمسك به معتمدا به والصوفي غاب في اخلاصه

قال ابو الفضل العلائي [illegible] حديث ان لله ملائكة
اخرجه البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] موضوع [illegible] الامام الحافظ [illegible]
السيوطي [illegible] وذكره [illegible]

عن اخلاصه • قال ابو يعقوب السوسي متى شهدوا في اخلاصهم الاخلاص
احتاج اخلاصهم الى اخلاص • وقال ذو النون ثلاث من علامات الاخلاص
استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الاعمال في الاعمال وعدم اقتضاء
ثواب العمل في الاخرة اخبرنا ابو زرعة اجازة قال انا ابو بكر احمد بن علي بن خلف
اجازة قال انا ابو عبد الرحمن قال سمعت ابا عثمان المغربي يقول الاخلاص ما
لا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا اخلاص العوام واخلاص الخواص ما يجري
عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل • ولا يقع لهم عليها رؤية
ولا بها اعتداد فذلك اخلاص الخواص وهذا الذي فصله الشيخ ابو عثمان المغربي
يفرق بين الصوفي والملامتي لان الملامتي اخرج الخلق عن عمله وحاله ولكن اثبت
نفسه فهو مخلِص والصوفي اخرج نفسه عن عمله وحاله كما اخرج غيره
فهو مخلَص وشتان ما بين المخلِص والمخلَص • قال ابو بكر الزقاق نقصان كل
مخلص في اخلاصه رؤية اخلاصه فاذا اراد الله ان يخلص اخلاصه اسقط عن
اخلاصه رؤيته لاخلاصه فيكون مخلَصا لا مخلِصا • قال ابو سعيد الخراز
رياء العارفين افضل من اخلاص المريدين ومعنى قوله لان الاخلاص معلول برؤية
الاخلاص والعارف منزه عن الرياء الذي يبطل العمل ولكن لعله يظهر شيئا
من حاله وعمله بعلم كامل عنده فيه لجذب مريد او معاناة خلق من اخلاق
النفس في اظهاره الحال والعمل وللعارفين في ذلك علم دقيق لا يعرفه غيرهم
فيرى ناقص العلم صورة رياء وليس برياء وانما هو صريح العلم لله بالله من
غير حضور نفس ووجود آفة فيه • قال رويم الاخلاص ان لا يرضى صاحبه
عليه عوضا في الدارين ولا حظا من الملكين • وقال بعضهم صدق الاخلاص
نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الحق • والملامتي يرى الخلق فيخفي عمله وحاله
وكل ما ذكرناه من قبل وصف اخلاق الصوفي ولهذا قال الزقاق لا بد
لكل مخلص من رؤية اخلاصه وهو نقصان عن كمال الاخلاص والاخلاص هو
الذي يتولى الله حفظ صاحبه حتى ياتي به على التمام • قال جعفر الخلدي سالت
ابا القسم الجنيد قلت بين الاخلاص والصدق فرق قال نعم الصدق اصل وهو

الاول

الاول والاخلاص فرع وهو تابع وقال بينهما فرق لان الاخلاص لا يكون
الا بعد الدخول في العمل ثم قال انما هو اخلاص ومخالصة الاخلاص وخالصة
كاينة في الخالصة فعلى هذا الاخلاص حال الملامتي ومخالصة الاخلاص حال
الصوفي والخالصة الكاينة في المخالصة ثمرة مخالصة الاخلاص وهو فناء
العبد عن رسومه برؤية قيامه بقيومه بل غيبته عن رؤية قيامه وهو
الاستغراق في العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستتار وهو نقد حال الصوفي
والملامتي مقيم في اوطان اخلاصه غير متطلع الى حقيقة خلاصه وهذا فرق
واضح بين الملامتي والصوفي • ولم يزل في خراسان منهم طايفة ولهم مشايخ
يمهدون اساسهم ويعرفونهم شروط حالهم وقد رأينا في العراق من يسلك هذا
المسلك ولكن لم يشتهر بهذا الاسم • وقلما تتداول السنة اهل العراق هذا الاسم
حكي ان بعض الملامتية استدعي الى سماع فامتنع فقيل له في ذلك قال لاني
ان حضرت يظهر علي وجد ولا اوثر ان يعلم احد حالي • وقيل ان احمد بن ابي الحواري
قال لسليمان الداراني اني اذا كنت في الخلوة اجد لمعاملتي لذة لا اجدها بين الناس
فقال له انك اذا لضعيف • فالملامتي وان كان متمسكا بعروة الاخلاص
مستفرشا بساط الصدق ولكن عليه بقية رؤية الخلق • وما احسنها من بقية
تحقق الاخلاص والصدق • والصوفي صفي من هذه البقية في طرفي العمل والترك
للخلق وعزلهم بالكلية ورآهم بعين الفنا والزوال ولاح له ناصية التوحيد
وعاين سر قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه كما قال بعضهم في بعض غلباته ليس في
الدارين غير الله • وقد يكون اخفاء الملامتي الحال على وجهين فاحد الوجهين لتحقيق
الاخلاص والصدق والوجه الاخر وهو الاتم لستر الحال عن غيره بنوع غيره
فان من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ في صدق المحبة ان يكره اطلاع
احد على حبه لمحبوبه وهذا وان علا في طريق الصوفية علة ونقص • فعلى هذا يتقدم
الملامتي على المتصوف ويتاخر عن الصوفي • وقيل ان من اصول الملامتية ان الذكر
على اربعة اقسام ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالسر وذكر بالروح
فاذا صح ذكر الروح سكت السر والقلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر المشاهدة

واذا صح ذكر السر سكت القلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر الهيبة واذا صح ذكر القلب فتر اللسان عن الذكر وذلك ذكر الآلاء والنعماء واذا غفل القلب عن الذكر اقبل اللسان على الذكر وذلك ذكر العادة ولكل واحد من هذه الاذكار عندهم آفة فآفة ذكر الروح اطلاع السر عليه • وآفة ذكر السر اطلاع القلب عليه • وآفة ذكر القلب اطلاع النفس عليه • وآفة ذكر النفس رؤية ذلك وتعظيمه او طلب ثواب به او ظن انه يصل الى شيء من المقامات واقل الناس قيمة عندهم من يريد اظهاره واقبال الخلق عليه بذلك وسر هذا الاصل الذي بنوا عليه ان ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر ذكر الصفات بزعمهم • وذكر القلب من الآلاء والنعماء ذكر آثار الصفات وذكر النفس متعرض للعلات فمعنى قولهم اطلاع السر على الروح يشير الى التحقق بالفناء عند ذكر الذات • وذكر الهيبة في ذلك الوقت ذكر الصفات مشعر بنصيب الهيبة وهو وجود الهيبة ووجود الهيبة يستدعي وجودا وبقية وذلك يناقض حال الفناء • وهكذا ذكر السر وجود هيبة وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب • وذكر القلب الذي هو ذكر الآلاء والنعماء مشعر ببعد ما لانه اشتغال بذكر النعمة وذهول عن المنعم والاشتغال برؤية العطاء عن رؤية المعطي ضرب من بعد المنزلة واطلاع النفس نظرا الى الاعواض اعتداد بوجود العمل وذلك عين الاعتلال حقيقة وهذه اقسام هذه الطايفة وبعضها اعلى من بعض • • • • • •

الباب التاسع في ذكر من انتمى الى الصوفية وليس منهم

فمن اولئك قوم يسمون انفسهم قلندرية تارة وملامتية اخرى وقد ذكرنا حال الملامتي وانه حال شريف ومقام عزيز وتمسك بالسنن والآثار وتحقق بالاخلاص والصدق • وليس مما يزعم المفتونون بشيء فاما القلندري فهو اشارة الى اقوام ملكهم سكر طيبة القلوب حتى خربوا العادات وطرحوا التقييد باداب المجالسات والمخالطات وساحوا في ميادين طيبة قلوبهم فقلت اعمالهم من الصوم والصلاة الا الفرايض ولم يبالوا بتناول شيء من لذات الدنيا

من

من كل ما كان مباحا برخصة الشرع وربما اقتصروا على رعاية الرخصة ولم يطلبوا حقايق العزيمة ومع ذلك هم متمسكون بترك الادخار وترك الجمع والاستكثار لا يترسمون بمراسم المتقشفين والمتزهدين والمتعبدين وقنعوا بطيبة قلوبهم مع الله تعالى واقتصروا على ذلك وليس عندهم تطلع الى طلب مزيد سوى ما هم عليه من طيبة القلوب والفرق بين الملامتي والقلندري ان الملامتي يعمل في كتم العبادات والقلندري يعمل في تخريب العادات والملامتي يتمسك بكل ابواب البر والخير ويرى الفضل فيه ولكن يخفي الاعمال والاحوال ويوقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه وحركاته واموره سترا للحال لئلا يفطن له وهو مع ذلك متطلع الى طلب المزيد باذل مجهوده في كل ما يتقرب به العبيد والقلندري لا يتقيد بهيئة ولا يبالي بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينعطف الا على طيبة القلوب وهو راس ماله والصوفي يضع الاشيا مواضعها ويدبر الاوقات والاحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامهم ويقيم امر الحق مقامه ويستر ما ينبغي ان يستر ويظهر ما ينبغي ان يظهر وياتي بالامور في مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص • فقوم من المفتونين سموا نفوسهم ملامتية ولبسوا لبسة الصوفية لينسبوا الى الصوفية وما هم من الصوفية بشيء بل هم في غرور وغلط يتسترون بلبسة الصوفية توقيا تارة ودعوى اخرى وينتهجون مناهج اهل الاباحة ويزعمون ان ضمايرهم خلصت الى الله تعالى وهذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام والقاصري الافهام المنحصرين في مضيق الاقتدا تقليدا وهذا هو عين الالحاد والزندقة والابعاد وكل حقيقة ردتها الشريعة زندقة • وجهل هولاء المغرورون ان الشريعة حق العبودية • والحقيقة هي حقيقة العبودية • ومن صار من اهل الحقيقة تقيد بحقوق العبودية وحقيقة العبودية وصار مطالبا بامور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل الى ذلك لانه يخلع عن عنقه ربقة التكلف ويخامر باطنه الزيغ والتحريف • اخبرنا ابو زرعة عن ابيه الحافظ المقدسي قال انا ابو محمد الخطيب قال ثنا ابو بكر محمد بن عمر قال ثنا ابو بكر بن ابي داود قال ثنا

عيينة
احمد بن صالح قال ثنا عنبسة قال ثنا يونس بن يزيد قال قال محمد يعني الزهري
اخبرني حميد بن عبد الرحمن ان عبد الله بن عتبة بن مسعود حدثه قال سمعت عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه يقول ان اناسا كانوا يوخذون بالوحي على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الوحي قد انقطع وانما ناخذكم الان بما
ظهر من اعمالكم فمن اظهر لنا خيرا امناه وقربناه وليس الينا من سريرته شيء
الله تعالى يحاسبه في سريرته ومن اظهر لنا سوى ذلك لم نامنه وان قال
سريرتي حسنة • وعنه ايضا رضوان الله عليه قال من عرض نفسه للتهم
فلا يلومن من اساء به الظن فاذا راينا منها ونا بحدود الشرع مهملا للصلوات المفروضات
لا يعتد علاوة التلاوة والصوم والصلاة ويدخل في المداخل المكروهة المحرمة
نرده ولا نقبله ولا نقبل دعواه ان له سريرة صالحة • اخبرنا شيخنا ضياء الدين
ابو النجيب السهروردي رحمة الله عليه اجازة عن عمر بن احمد عن ابن خلف عن السلمي
قال سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت ابا محمد الجريري يقول سمعت الجنيد
يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل اهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات
من باب البر والتقوى الى الله تعالى فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط
الاعمال وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويزني احسن حالا من الذي يقول
هذا وان العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله تعالى واليه يرجعون فيها ولو بقيت
الف عام لم انقص من اعمال البر ذرة الا ان يحال بي دونها وانها لآكد في معرفتي
واقوى لحالي • ومن جملة اولئك قوم يقولون بالحلول ويزعمون ان الله تعالى حل
فيهم ويحل في اجسام يصطفيها ويسبق الى فهومهم معنى من قول النصارى في اللاهوت
والناسوت • ومنهم من يستبيح النظر الى المستحسنات اشارة الى هذا الوهم
ويتخايل له ان من قال كلمات في بعض غلباتهم كان مضمرا لشيء مما زعموه مثل قول
الحلاج انا الحق وما يحكى عن ابي يزيد قوله سبحاني حاشا ان يعتقد في ابي يزيد انه يقول
ذلك الا على معنى الحكاية عن الله • وهكذا ينبغي ان يعتقد في الحلاج قوله ذلك ولو
علمنا انه ذكر ذلك القول مضمرا لشيء من الحلول رددناه كما نردهم وقد اتانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريعة بيضاء نقية يستقيم بها كل معوج

وقد دلتنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز والله تعالى منزه
ان يحل به شيء او يحل بشيء حتى لعل بعض المفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية
ويكون فيه سمع كلمات تعلقت بباطنه فيتولف له في فكره كلمات ينسبها الى
الله وانها مكالمة الله اياه مثل ان يقول قال لي وقلت له وهذا اما رجل جاهل
وحديثها جاهل بربه وبكيفية المكالمة والمحادثة واما عالم ببطلان ما يقول يحمله
هواه على الدعوى بذلك ليوهم انه ظفر بشيء وكل هذا ضلال • ويكون سبب
تجريه على هذا ما سمع من كلام بعض المحققين مخاطبات وردت عليهم بعد طول
معاملات لهم ظاهرة وباطنة وتمسكهم باصول القوم من صدق التقوى
وكمال الزهد في الدنيا فلما صفت اسرارهم تشكلت في سرائرهم مخاطبات
موافقة للكتاب والسنة نزلت بهم تلك المخاطبات عند استغراق السرائر
ولا يكون ذلك كلاما يسمعونه بل حديث في النفس يجدونه برؤية موافقة للكتاب
والسنة مفهوما عند اهله موافقا للعلم ويكون ذلك مناجاة لسرائرهم
اياهم فيثبتون لنفوسهم مقام العبودية ولمولاهم الربوبية فيضيفون ما
يجدونه الى نفوسهم والى مولاهم وهم مع ذلك عالمون ان ذلك ليس كلام
الله وانما هو علم حادث احدثه الله تعالى في بواطنهم فطريق الاصحاء في ذلك
الفرار الى الله تعالى من كل ما تحدث نفوسهم به حتى اذا برئت ساحتهم من
الهوى والهموا في بواطنهم شيئا ينسبونه الى الله تعالى نسبة الحادث الى
المحدث لا نسبة الكلام الى المتكلم لينصانوا عن الزيغ والتحريف • ومن اولئك
قوم يغرقون في بحر التوحيد ولا يثبتون ويسقطون لانفسهم حركة ويغلون يزعمون
انهم مجبورون على الاشياء وان لا فعل لهم مع فعل الله سبحانه ويسترسلون
في المعاصي وكلما تدعوا النفس اليه ويركنون الى البطالة ودوام الغفلة
والاغترار بالله والخروج من الملة وترك الحدود والاحكام والحلال والحرام
وقد سئل سهل عن رجل يقول انا كالباب لا اتحرك الا اذا حركت قال هذا
لا يقوله الا احد رجلين اما صديق او زنديق لان الصديق يقول هذا القول
اشارة الى ان قوام الاشياء بالله سبحانه وتعالى مع احكام الاصول ورعاية

حدود العبودية ۔ والزنديق يقول ذلك إحالة للاشيا على الله تعالى واسقاط
اللايمة عن نفسه وانخلاعًا عن الدين ورسمه ۔ فاما من كان معتقدًا للحلال
والحرام والحدود والاحكام معترفا بالمعصية اذا صدرت منه معتقدًا
وجوب التوبة منها فهو سليم صحيح وان كان تحت القصور بما يركن اليه من
البطالة ويستروح بهوى النفس الى الاسفار والتلذذ في البلاد متوسلا
الى تناول اللذايذ والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذبه ويبصره
بعيب نفسه ما هو فيه والله الموفق ۔

الباب العاشر في شرح رتبة المشيخة

ورد في الخبر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لئن شئتم لاقسمن
لكم ان احب عباد الله الى الله الذين يحببون الله الى عباده ويحببون عباد الله
الى الله ويمشون في الارض بالنصيحة وهذا الذي ذكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو رتبة المشيخة والدعوة الى الله تعالى لان الشيخ يحبب الله
الى عباده حقيقة ويحبب عباد الله الى الله ورتبة المشيخة من اعلى الرتب
في طريق الصوفية ونيابة النبوة في الدعا الى الله فاما وجه كون الشيخ يحبب
عباد الله الى الله لان الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتدا برسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن صح اقتداؤه واتباعه احبه الله قال الله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ووجه كونه يحبب الله تعالى الى عباده
لانه يسلك بالمريد طريق التزكية والتحلية واذا تزكت النفس انجلت مرآة
القلب وانعكس فيه انوار العظمة الالهية ولاح فيه جمال التوحيد
وانجذبت احداق البصيرة الى مطالعة جلال القدم ورؤية الكمال الازلي
فاحب العبد ربه لا محالة وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى قد افلح من
زكاها وفلاحها بالظفر بمعرفة الله ۔ وايضا فان مرآة القلب اذا انجلت لاحت
فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها وماهيتها ولاحت الآخرة ونفايسها بكنهها وغايتها
فتنكشف للبصيرة حقيقة الدارين وحاصل المنزلين فيحب العبد الباقي ويزهد
في الفاني فتظهر فايدة التزكية وجدوى المشيخة والتربية فالشيخ من

جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدي به الطالبين ۔ اخبرنا ابو زرعة
عن ابيه الحافظ المقدسي قال انا ابو الفضل عبد الواحد بن علي بهمدان قال انا
ابو بكر محمد بن علي بن احمد الطوسي قال ثنا ابو العباس محمد بن يعقوب قال ثنا ابو
عتبة قال ثنا بقية قال ثنا صفوان بن عمرو قال حدثني الازهر بن عبد الله
قال سمعت عبد الله بن بسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كان يقال اذا اجتمع عشرون رجلا او اكثر فان لم يكن فيهم من يهاب لله
عز وجل فقد خطر الامر فعلى المشايخ وقار الله وبهم تتادب المريدون ظاهرا
وباطنا قال الله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فالمشايخ
لما اهتدوا اهلوا للاقتدا بهم وجعلوا ايمة المتقين قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حاكيا عن ربه اذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همته
ولذته في ذكري فاذا جعلت همته ولذته في ذكري عشقني وعشقته ورفعت
الحجاب فيما بيني وبينه لا يسهوا اذا سها الناس اولئك كلامهم كلام الانبيا
اولئك الابطال حقا اولئك الذين اذا اردت باهل الارض عقوبة او عذابا
ذكرتهم فصرفته بهم عنهم ۔ والسر في وصول السالك الى رتبة المشيخة
ان السالك مامور بسياسة النفس مبتلى بصفاتها لا يزال يسلك بصدق
المعاملة حتى تطمين نفسه وبطمانينتها تنتزع عنها البرودة واليبوسة التي
استصحبتها من اصل خلقتها وبها تستعصي على الطاعة والانقياد للعبودية
فاذا زالت اليبوسة عنها ولانت بحرارة الروح الواصل اليها ۔ وهذا اللين هو
الذي ذكره الله تعالى في القرآن ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله تجيب
الى العبادة وتلين للطاعة عند ذلك ۔ وقلب العبد متوسط بين الروح
والنفس ذو وجهين احد وجهي القلب الى النفس والآخر الى الروح يستمد من
الروح بوجهه الذي يليه ويمد النفس بوجهه الذي يليه حتى تطمين النفس
فاذا اطمانت نفس السالك وفرغ من سياستها انتهى سلوكه وتمكن من سياسة
النفس وانقادت نفسه وفات الى امر الله ثم القلب يتشرئب الى السياسة لما
فيه من التوجه الى النفس فتقوم نفوس المريدين والطالبين والصادقين عنده

الوجه ٢

مقام نفسه لوجود الجنسية في عين النفسية من وجه ولوجود التألف
بين الشيخ والمريد من وجه بالتألف الالهي قال الله تعالى لو انفقت ما في
الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم • فيسوس نفوس المريدين
كما كان يسوس نفسه من قبل ويكون في الشيخ حينئذ معنى التخلق باخلاق
الله من معنى قول الله تعالى الا طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد
شوقا وبما هيأ الله تعالى من حسن التأليف بين الصاحب والمصحوب يصير
المريد جزء الشيخ كما الولد جزء الوالد في الولادة الطبيعية وتصير هذه الولادة
انفا ولادة معنوية كما ورد عن عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السما من
لم يولد مرتين فبالولادة الاولى له ارتباط بعالم الملك وبهذه الولادة يصير له
ارتباط بالملكوت قال الله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض
وليكون من الموقنين وصرف اليقين على الكمال يحصل في هذه الولادة • وبهذه
الولادة يستحق ميراث الانبيا ومن لم يصله ميراث الانبيا ما ولد وان كان على كمال
من الفطنة والذكا لان الفطنة والذكا نتيجة العقل والعقل اذا كان نايسا من
نور الشرع لا يدخل الملكوت ولا يزال مترددا في الملك ولهذا وقف على برهان من العلوم
الرياضية لانه تصرف في الملك ولم يرتق الى الملكوت • والملك ظاهر الكون
والملكوت باطن الكون والعقل لسان الروح • والبصيرة التي منها تنبعث اشعة
الهداية قلب الروح • واللسان ترجمان القلب فكلما ينطق به الترجمان معلوم عند
من يترجم عنه • وليس كل ما عند من يترجم عنه يبرز الى الترجمان ولهذا المعنى
حرم الواقفون مع مجرد العقول العرية عن نور الهداية الذي هو موهبة الله
تعالى عند الانبيا واتباعهم الصواب واسبل دونهم الحجاب لوقوفهم مع الترجمان
وحرمانهم غاية التبيان وكما ان في الولادة الطبيعية ذرات الاولاد في صلب
الاب مودعة تنتقل الى اصلاب الاولاد بعدد كل ولد ذرة وهي الذرات التي
خاطبها الله تعالى يوم الميثاق بالست بربكم قالوا بلى حيث مسح ظهر ادم وهو
ملقى ببطن نعمان بين مكة والطائف فسالت الذرات من مسام جسده كما
يسيل العرق بعدد كل ولد من ولد ادم ذرة ثم لما خوطبت واجابت ردت

الى

الى ظهر ادم فمن الاباء من تنقل الذرات في صلبه ومنهم من لم تودع في صلبه
فينقطع نسله وهكذا في المشايخ من كثر اولاده ويأخذون منه العلوم والاحوال
ويودعونها غيرهم كما وصلت اليهم من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الصحبة
ومنهم من يقل اولاده ومنهم من ينقطع نسله وهذا النسل هو الذي رد الله على
الكفار حيث قالوا محمد ابتر لا نسل له قال الله تعالى ان شانئك هو الابتر ورسول
الله صلى الله عليه وسلم نسله باق الى ان تقوم الساعة وبالنسبة المعنوية
يصل ميراث العلم الى اهل العلم • حدثنا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي
رحمه الله املاء قال انا ابو عبد الرحمن المالكيني قال انا ابو الحسن الداودي انا ابو
محمد الحموي انا ابو عمران السمرقندي انا ابو محمد الدارمي انا نصر بن علي انا عبد الله
ابن داود عن عاصم عن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس قال كنت
جالسا مع ابي الدردا في مسجد دمشق فاتاه رجل فقال يا ابا الدردا اني اتيتك من
المدينة مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام لحديث بلغني عنك انك تحدثه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما جاء بك تجارة قال لا قال ولا جاء بك غيره
قال لا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يلتمس
به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها رضى لطالب
العلم وان طالب العلم يستغفر له من في السموات والارض حتى الحيتان في الماء
وان فضل العالم على العابد كفضل القمر على ساير النجوم ان العلماء هم ورثة الانبيا
وان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن اخذ به اخذ بحظه او
بحظ وافر فاول ما اودعت الحكمة والعلم عند ادم ابي البشر عليه السلام • ثم
انتقل منه كما انتقل منه النسيان والعصيان وما دعوا اليه النفس والشيطان
كما ورد ان الله عز وجل امر جبريل حتى اخذ قبضة من اجزا الارض والله تعالى
نظر الى الاجزا الارضية التي كونها من الجوهرة التي خلقها اولا فصار من مواقع نظر
الله اليها فيها خاصية السماع من الله والجواب حيث خاطب السموات والارض
بقوله ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فحملت اجزاء الارض بهذا الحظ
خاصية ثم انتزعت هذه الخاصية منها باخذ اجزائها لتركيب صورة ادم

فركّب جسد آدم من اجزاء أرضية محتوية على هذه الخاصية فمن حيث نسبة
أجزاء الارض تركّب فيه الهوى حتى مدّ يده الى شجرة الفناء وهي شجرة الحنطة في
اكثر الاقاويل فطرق الى قالبه الفناء وباكرام الله تعالى اياه بنفخ الروح الذي
[بقوله تعالى] أخبر عنه فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي نال العلم والحكمة فبالتسوية
صار ذا نفس منفوسة وبنفخ الروح فيه صار ذا روح روحاني وشرح هذا
يطول فصار قلبه معدن الحكمة وقالبه معدن الهوى فانتقل منه العلم والهوى
وصار ميراثه في ولده فصار من طريق الولادة ابا بواسطة الطبايع التي هي محتد
الهوى ● ومن طريق الولادة المعنوية ابا بواسطة العلم فالولادة الظاهرة
تطرّق اليها الفناء والولادة المعنوية محمية من الفنا لانها وجدت من شجرة الخلد
وهي شجرة العلم لا شجرة الحنطة التي سماها ابليس شجرة الخلد فابليس يرى الشيء بضده
فتبين أن الشيخ هو الاب معنى ● وكثيرا كان شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب
السهروردي رحمه الله يقول ولدي من سلك طريقي واهتدى بهديي ● فالشيخ
الذي تكتسب بطريقه الاحوال قد يكون ماخوذا في ابتدايه في طريق المحبين وقد
يكون ماخوذا في طريق المحبوبين وذلك أن امر الصالحين والسالكين ينقسم اربعة
اقسام سالك مجرد ومجذوب مجرد وسالك متدارك بالجذبة ومجذوب متدارك بالسلوك
فالسالك المجرد لا يؤهل للمشيخة ولا يبلغها لبقاء صفات نفسه عليه فيقف عند
حظه من رحمة الله في مقام المعاملة والرياضة ولا يرتقي الى حال يروح بها عن وهج
المكابدة والمجذوب المجرد من غير سلوك تبادئه الحق بآيات اليقين ويرفع عن
قلبه شيئا من الحجاب ولا يؤخذ في طريق المعاملة ● وللمعاملة اثر تام سوف نشرح
في موضعه ان شاء الله تعالى هذا ايضا لا يؤهل للمشيخة ويقف عند حظه من
الله مروحا بحاله غير ماخوذ في طريق اعماله ما عدا الفريضة والسالك الذي
تدورك بالجذبة هو الذي كانت بدايته المجاهدة والمكابدة والمعاملة بالاخلاص
والوفا بالشروط ثم اخرج من وهج المكابدة الى روح الحال فوجد العسل بعد
العلقم وتروح بنسمات الفضل وبرز من مضيق المكابدة الى متسع المساهلة ٥
واونس بنفحات القرب وفتح له باب من المشاهدة فوجد دواءه وفاض وعاوده

وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت اليه القلوب وتوالى عليه فتوح الغيوب
وصار ظاهره مسددا وباطنه مشاهدا وصلح للجلوة وصار له في جلوته خلوة
فيغلب ولا يغلب ويفترس ولا يفترس يؤهل مثل هذا للمشيخة لانه اخذ في طريق
المحبين ومنح حالا من احوال المقربين بعد ما دخل من طريق اعمال الابرار الصالحين
ويكون له اتباع ينتقل منه اليهم علوم ويظهر بطريقه بركة ولكن قد يكون محبوسا
في حاله محكما حاله فيه لا يطلق من وثاق الحال ولا يبلغ حد النوال يقف عند حظه
وهو حظ وافر سني والذين اوتوا العلم درجات ولكن المقام الاتم في المشيخة
القسم الرابع وهو المجذوب المتدارك بالسلوك يبادئه الحق بالكشوف وانوار
اليقين ويرفع عن قلبه الحجب ويستنير بانوار المشاهدة وينشرح وينفسح قلبه
ويتجافى من دار الغرور وينيب الى دار الخلود ويرتوي من بحر الحال ويتخلص من الاغلال
والاغلال ويقول معلنا لا اعبد ربا لم اره ثم يفيض من باطنه على ظاهره ويجري
عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعنا بل لذاذة وهنا ويصير قالبه
بصفة قلبه لامتلاء قلبه بحب ربه ويلين جلده كما لان قلبه وعلامة لين جلده اجابة
قالبه للعمل كاجابة قلبه فيريده الله تعالى ارادة خاصة ويرزق محبة خاصة من
محبة المحبوبين المرادين يقطع فيواصل ويعرض فيراسل يذهب عنه جمود النفس وتصطلي
بحرارة الروح وينكمش عن قلبه عروق النفس قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث
كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله ● اخبر أن الجلود تلين كما ان القلوب تلين ولا يكون هذا الا لك المحبوب
المراد ● وقد ورد في الخبر ان ابليس سال السبيل الى القلب فقيل له يحرم عليك ولكن
السبيل لك في مجاري العروق المشتبكة بالنفس الى حد القلب فاذا دخلت العروق
عرقت فيها من ضيق مجاريها وامتزج عرقك بماء الرحمة المترشح من جانب القلب في مجرى
واحد ويصل بذلك سلطانك الى القلب ومن جعلته نبيا او وليا قلعت تلك العروق
من باطن قلبه فيصير القلب سليما فاذا دخلت العروق لم تتصل الى المشتبكة بالقلب
فلا يصل الى القلب سلطانك ● فالمحبوب المراد الذي اهل للمشيخة سلم قلبه وانشرح
صدره ولان جلده فصار قلبه بطبع الروح ونفسه بطبع القلب ولانت النفس بعد

ان كانت امارة بالسوء مستعصية ولان الجلد للين النفس ورد الى صور الاعمال
بعد وجدان الحال ولا يزال روحه تنجذب الى الحضرة الالهية فيستتبع
الروح القلب ويستتبع القلب النفس ويستتبع النفس القالب فامتزجت
الاعمال القلبية والقالبية وانخرق الظاهر الى الباطن والباطن الى الظاهر
والقدرة الى الحكمة والحكمة الى القدرة والدنيا الى الاخرة والاخرة الى الدنيا
ويصح له ان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فعند ذلك يطلق من وثاق
الحال ويكون مسيطرا على الحال لا الحال مسيطرا عليه ويصير حرا من حاله
وحبه والشيخ الاول الذي اخذ في طريق المحبين حر من رق النفس ولكن ربما
كان باقيا في رق القلب وهذا الشيخ في طريق المحبوبين حر من رق القلب
كما هو حر من رق النفس وذلك ان النفس حجاب ظلماني ارضي اعتق منه الاول
والقلب حجاب نوراني سماوي اعتق منه الاخر فصار لربه لا لقلبه ولموقته لا
لوقته فعبد الله حقا وآمن به صدقا ويسجد لله سواده وخياله ويؤمن به
فؤاده ويقربه لسانه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
سجوده ولا يتخلف عن العبودية منه شعرة وتصير عبادته مشاكلة لعبادة
الملائكة ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال
فالقوالب هي الظلال الساجدة ظلال الارواح المقربة في عالم الشهادة والاصل
كثيف والظل لطيف ۔ وفي عالم الغيب الاصل لطيف والظل كثيف فيسجد لطيف
العبد وكثيفه وليس هذا لمن اخذ في طريق المحبين لانه يستنشئ صور الاعمال
ويمتلئ مما انيل من وجدان الحال وذلك لقصوره في العلم وقلة في الحظ ۔ ولو كثر
العلم راى ارتباط الاعمال بالاحوال كارتباط الروح بالجسد وراى ان لا غنى
عن الاعمال كما لا غنى في عالم الشهادة عن القوالب فما دامت القوالب باقية
فالعمل باق ومن صح في المقام الذي وصفناه هو الشيخ المطلق والعارف المحقق
والمحبوب المعتق نظره دواء وكلامه دواء بالله ينطق وبالله يسكت كما ورد
لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا
ويدا ومؤيدا اي بي ينطق وبي يبصر الحديث ۔ فالشيخ يعطي بالله ويمنع بالله فلا

رغبة

رغبة له في عطاء ومنع لعينه بعينه بل هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده
فيكون في الاشيا بمراد الله تعالى لا بمراد نفسه فان علم ان الله يريد منه الدخول
في صورة محمودة دخل فيها لمراد الله تعالى لا لكون الصورة محمودة بخلاف الخادم
القايم بواجب خدمة عباد الله تعالى

الباب الحادي عشر في شرح حال الخادم ومن يتشبه به

اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام وقال يا داود اذا رايت لي طالبا فكن له
خادما الخادم يدخل في الخدمة راغبا في الثواب وفيما اعد الله تعالى للعباد
ويتصدى لايصال الراحة ويفرغ خاطر المقبلين على الله عن مهام معاشهم
ويفعل ما يفعله لله بنية صالحة فالشيخ واقف مع مراد الله والخادم واقف
مع نيته فالخادم يفعل الشي لله والشيخ يفعل الشي بالله فالشيخ في مقام
المقربين والخادم في مقام الابرار فيختار الخادم البذل والايثار والانفاق من الاغيار
للاغيار ۔ ووظيفة وقته تصديه لخدمة عباد الله تعالى وفيه يعرف الفضل
ويرجحه على نوافله واعماله وقد يقيم من لا يعرف الخادم مقام الشيخ ۔ وربما جهل
الخادم ايضا حال نفسه فيحسب نفسه شيخا لقلة العلم واندراس علوم
القوم في هذا الزمان وقناعة كثير من الفقرا من المشايخ باللقمة دون العلم والحال
فكل من كان اكثر اطعاما هو عندهم احق بالمشيخة ولا يعلمون انه خادم وليس
بشيخ والخادم في مقام حسن وحظ صالح من الله تعالى ۔ وقد ورد ما يدل
على فضل الخادم فيما اخبرنا به الشيخ ابو زرعة بن الحافظ ابي الفضل محمد بن طاهر
المقدسي عن ابيه قال انا ابو الفضل محمد بن عبد الله المقرئ قال ثنا ابو الحسين محمد
ابن الحسين بن داود العلوي قال ثنا ابو حامد الحافظ قال ثنا العباس بن محمد
الدوري وابو الازهر قالا ثنا ابو داود قال ثنا سفين عن الاوزاعي عن يحيى
ابن ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بطعام وهو
بمر الظهران فقال لابي بكر وعمر كلا فقالا انا صايمان فقال ارحلوا لصاحبيكم
اعملوا لصاحبيكم ادنوا فكلا يعني انكما ضعفتما بالصوم عن الخدمة واحتجتما الى من
يخدمكما فكلا واخدما انفسكما ۔ فالخادم يحرص على حيازة الفضل فيتوصل

بالكسب تارةً وبالاسترفاق والدريوزة تارةً وباستجلاب الوقف الى نفسه
تارةً لعلمه انه قيّم بذلك صالح لايصاله على الموقوف عليهم ولا يبالي ان يدخل في
كل مدخل لا يذمه الشرع لحيازة الفضل بالخدمة • ويرى الشيخ بنفوذ البصيرة
وقوة العلم ان الانفاق يحتاج الى علم تام ومعاناة في تخليص النية عن شوايب
النفس والشهوة الخفية ولو خلصت نيته ما رغب في ذلك لوجود مراده فيه
وحاله ترك المراد واقامة مراد الحق • اخبرنا ابو زرعة اجازةً قال انا
ابو بكر احمد بن علي بن خلف اجازةً قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي يقول
سمعت محمد بن الحسين بن الخشاب يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد
يقول سمعت السري يقول اعرف طريقاً مختصراً قصداً الى الجنة فقلت له
ما هو قال لا تسئل احداً شيئاً ولا تاخذ من احد شيئا ولا يكن معك شيء تعطي منه
احداً شيئا • والخادم يرى ان من طريق الجنة الخدمة والبذل والايثار ويقدم
الخدمة على النوافل ويرى فضلها وللخدمة فضل على النافلة التي ياتي بها العبد
طالبا بها الثواب غير النافلة التي تتوخى بها صحة حاله مع الله لوجود نقد قبل
وغد • ومما يدل على فضل الخدمة على النافلة ما اخبرنا به ابو زرعة قال
اخبرني والدي الحافظ المقدسي قال انا ابو بكر محمد بن احمد الشمسار باصفهان
قال انا ابراهيم بن عبد الله بن خرشيذ قوله قال ثنا الحسين بن اسمعيل المحاملي
قال ثنا ابو السايب قال ثنا ابو معوية قال ثنا عاصم عن مورق العجلي عن انس قال
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنا الصائم ومنا المفطر فنزلنا منزلا
في يوم حار شديد الحر فمنا من يتقي الشمس بيده واكثرنا ظلا صاحب الكساء
يستظل به فنام الصائمون وقام المفطرون فضربوا الابنية وسقوا
الركاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب المفطرون اليوم
بالاجر • وهذا حديث يدل على فضل الخدمة على النافلة والخادم له
مقام عزيز يرغب فيه فاما من لم يعرف تخليص النية من شوايب النفس
ويتشبه بالخدام ويتصدى لخدمة الفقراء ويدخل في مداخل الخدام
بحسن الارادة يطلب التاسي بالخدام تكون خدمته مشوبة منها ما يصيب

فيها الموضع ايمانه وحسن ارادته في خدمة القوم ومنها ما لا يصيب فيها
لما فيه من مزج الهوى فيضع الشيء في غير موضعه وقد يخدم بهواه في بعض
تصاريفه ويخدم من لا يستحق الخدمة في بعض اوقاته ويحب المحمدة والثناء
من الخلق مع ما يحب من الثواب ورضى الله تعالى وربما خدم للثنا وربما امتنع
من الخدمة لوجود هوى يخامره في حق من يلقاه بمكروه ولا يراعي واجب الخدمة
في طرفي الرضا والغضب لانحراف مزاج قلبه ووجود الهوى • والخادم لا
يتبع الهوى في الخدمة في الرضا والغضب ولا تاخذه في الله لومة لايم ويضع
الشيء مواضعه فاذا الشخص الذي وصفناه انفا متخادم وليس بخادم ولا
يميز بين الخادم والمتخادم الا من له علم بصحة النيات وتخليصها من شوايب الهوى
والمتخادم المحجوب يبلغ ثواب الخادم في كثير من تصاريفه ولا يبلغ رتبته لتخلفه
عن حاله بوجود مزج هواه فاما من اقيم لخدمة الفقرا بتسليم وقف اليه
او توفير رفق عليه وهو يخدم لمنال نصيبه او حظ عاجل يدركه فهو في الخدمة
لنفسه لا لغيره فلو انقطع رفقه ما خدم وربما استخدم من يخدم فهو مع حظ
نفسه يخدم من يخدمه ويحتاج اليه في المحافل يتكثر بهم ويقيم جاه نفسه بكثرة
الاتباع والاشياع فهو خادم هواه وطالب دنياه يحرص ليله ونهاره في تحصيل
ما يقيم به جاهه ويرضي نفسه واهله وولده فيتسع في الدنيا ويتزيا بغير
زي الخدام والفقرا وتنتشر نفسه بطلب الحظوظ ويستولي عليه حب الرياسة
وكلما كثر رفقه كثر مواد هواه واستطال على الفقرا ويحوج الفقراء الى
التملق المفرط له تطلبا لرضاه وتوقيا لضيمه وميله عليهم بقطع ما ينوبهم
من الوقف فهذا احسن حاله ان يسمى مستخدما فليس بخادم ولا متخادم ومع
ذلك فربما نال بركتهم باختياره خدمتهم على خدمة غيرهم وبانتمايه اليهم
وقد اوردنا الخبر المسند الذي في سياقه هم القوم لا يشقى بهم جليسهم والله الموفق للصواب

الباب الثاني عشر

في شرح خرقة مشايخ الصوفية • لبس الخرقة
ارتباط بين الشيخ وبين المريد وتحكيم من المريد الشيخ في نفسه والتحكيم سايغ في
الشرع لمصالح دنياوية فما ذا ينكر المنكر للبس الخرقة على طالب صادق في طلبه

يقصد شيخاً بحسن ظن وعقيدة يحكّمه في نفسه لمصالح دينه يرشده
ويهديه ويعرّفه طريق المواجيد ويبصّره بآفات النفوس وفساد الاحوال
ومداخل العدو فيسلّم نفسه اليه ويستسلم لرايه واستصوابه في جميع
تصاريفه فيلبسه الخرقة اظهاراً للتصرف فيه فيكون لبس الخرقة علامة
التفويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ دخوله في حكم الله تعالى وحكم رسوله
صلى الله عليه وسلم واحياء سنة المبايعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبرنا ابو زرعة قال اخبرني والدي الحافظ المقدسي قال انا ابو الحسين احمد بن محمد
البزاز قال انا احمد بن محمد بن اسحق ميثمي قال ثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال ثنا عمر بن علي
ابن حفطة قال سمعت عبد الوهاب الثقفي يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول حدثني حفصة
عبادة ابن الوليد بن عبادة بن الصامت قال اخبرني ابي عن ابيه قال بايعنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره
وان لا ننازع الامر اهله وان نقول بالحق حيث كنا وان لا نخاف في الله لومة لائم
ففي الخرقة معنى المبايعة والخرقة عتبة الدخول في الصحبة والمقصود الكلي
هو الصحبة وبالصحبة يرجى للمريد كل خير وروي عن ابي يزيد انه قال من لم يكن له
استاذ فامامه الشيطان وحكى الاستاذ ابو القسم القشيري عن شيخه
ابي علي الدقاق انه قال الشجرة اذا نبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق ولا
تثمر وهو كما قال ويجوز انها تثمر كالاشجار التي في الاودية والجبال ولكن لا يكون
لفاكهتها طعم فاكهة البساتين والغرس اذا نقل من موضع الى موضع آخر يكون احسن
واكثر ثمرة لدخول التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود التعليم في الكلب
المعلّم واحلّ ما يقتله بخلاف غير المعلّم وسمعت كثيراً من المشايخ يقولون
من لم ير مفلحاً لا يفلح ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة
حسنة فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقّوا العلوم والآداب
من رسول الله عليه الصلاة والسلام كما روي عن بعض اصحابه علّمنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة فالمريد الصادق اذا دخل تحت حكم
الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه يسري من باطن الشيخ حال الى باطن المريد

كسراج

كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقّح باطن المريد ويكون مقال الشيخ
مستودعاً نفائس الحال وينتقل الحال الى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال
ولا يكون هذا الا لمريد حصر نفسه مع الشيخ وانسلخ من ارادة نفسه وفني
في الشيخ بترك اختيار نفسه فبالتأليف الالهي بين الصاحب والمصحوب
امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة الفطرية ثم لا يزال المريد مع
الشيخ كذلك متأدباً بترك الاختيار حتى يرتقي من ترك الاختيار مع الشيخ الى ترك
الاختيار مع الله سبحانه ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ هذا
الخير كله الصحبة والملازمة للشيوخ والخرقة مقدمة ذلك ووجه لبس
الخرقة من السنة ما اخبرنا به ابو زرعة عن ابيه ابي الفضل الحافظ المقدسي الشيخ
قال انا ابو بكر احمد بن علي بن خلف الاديب بنيسابور قال انا الحاكم ابو عبد الله
محمد بن عبد الله الحافظ قال انا محمد بن اسحق قال انا ابو مسلم ابرهيم بن عبد الله
البصري قال ثنا ابو الوليد قال ثنا اسحق بن سعيد قال ثنا ابي قال حدثتني
ام خالد بنت خالد قالت اتي النبي صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة
سوداء صغيرة فقال من ترون اكسو هذه فسكت القوم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ائتوني بام خالد قالت فاتي بي فالبسنيها بيده وقال
ابلي واخلقي يقولها مرتين وجعل ينظر الى علم في الخميصة اصفر واحمر ويقول
يا ام خالد هذا سنا والسنا هو الحسن بلسان الحبشة ولا خفاء ان لبس الخرقة
على الهيئة التي تعتمدها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الحديث
الشيوخ واصله من السنة ما رويناه والشاهد لذلك ايضاً التحكيم الذي
ذكرناه واي اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم اتم وآكد من الاقتداء
به في دعاء الخلق الى الحق وقد ذكر الله تعالى في كلامه القديم تحكيم الامة رسول
الله وتحكيم المريد شيخه احياء سنة ذلك التحكيم قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا
تسليماً وسبب نزول الآية ان الزبير بن العوام رضي الله عنه اختصم هو وآخر

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سراج من الحرة والسراج مسيل الماء
كانا يسقيان به النخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الماء
الى جارك فغضب الرجل وقال فقضى رسول الله لابن عمته فانزل الله تعالى هذه
الاية يعلم فيها الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط في الاية التسليم
وهو الانقياد ظاهرا ونفي الحرج وهو الانقياد باطنا وهذا شرط المريد مع
الشيخ بعد التحكيم بلبس الخرقة بريل انما م الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه
ويحذر الاعتراض على الشيخ فانه السم القاتل للمريدين وقل ان يكون مريد يعترض
على الشيخ بباطنه فيفلح ويذكر المريد في كلما اشكل عليه من تصاريف الشيخ
قصة موسى مع الخضر عليهما السلم كيف كان يصدر من الخضر تصاريف ينكرها
موسى ثم لما كشف له عن معناها بان لموسى وجه الصواب في ذلك هكذا ينبغي
للمريد ان يعلم ان كل تصريف اشكل عليه صحته من الشيخ عند الشيخ فيه
بيان وبرهان للصحة ويد الشيخ في لبس الخرقة تنوب يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتسليم المريد للشيخ تسليم لله ورسوله قال الله تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه •
ويأخذ الشيخ على المريد عهد الوفا بشرايط الخرقة ويعرفه حقوق الخرقة
فالشيخ للمريد صورة يستشف المريد من ورا هذه الصورة المطالبات الالهية
والمراضي النبوية ويعتقد المريد ان الشيخ باب فتح الله تعالى الى جنات كرمه منه
يدخل واليه يرجع ويترك بالشيخ سوانحه ومهامته الدينية والدنياوية
ويعتقد ان الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المريد به ويرجع في ذلك الى الله
للمريد كما يرجع المريد اليه وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة في
النوم واليقظة فلا يتصرف الشيخ في المريد بهواه فهو امانة الله عنده ويستغيث
الى الله تعالى لحوايج المريد كما يستغيث لحوايج نفسه ومما هو دينه ودنياه
قال الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل
رسولا فارسال الرسول يختص بالانبيا والوحي كذلك والكلام من ورا حجاب
بالالهام والهواتف والمنام وغير ذلك للشيوخ الراسخين في العلم واعلم ان

للمريدين

للمريدين مع الشيوخ اوان ارتضاع واوان فطام وقد سبق شرح الولادة
المعنوية فاوان الارتضاع اوان لزوم الصحبة والشيخ يعلم وقت ذلك فلا
ينبغي للمريد ان يفارق الشيخ الا باذنه قال الله تعالى تاديبا للامة انما المومنون
الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى
يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اوليك الذين يومنون بالله ورسوله فاذا
استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شيت منهم • واي امر جامع اعظم من امر
الدين فلا ياذن الشيخ للمريد في المفارقة الا بعد علمه بان له اوان الفطام وانه
يقدر ان يستقل بنفسه واستقلاله بنفسه ان ينفتح له باب الفهم من الله فاذا
بلغ المريد رتبة انزال الحوايج والمهام بالله والفهم من الله بتعريفاته وتنبيهاته
سبحانه وتعالى لعبده السايل المحتاج فقد بلغ اوان فطامه ومتى فارق قبل اوان
الفطام يناله من الاعتلال في الطريق بالرجوع الى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال
المفطوم لغير اوانه في الولادة الطبيعية وهذا التلازم بصحبة المشايخ للمريد
الحقيقي والمريد الحقيقي يلبس خرقة الارادة • واعلم ان الخرقة خرقتان خرقة
الارادة وخرقة التبرك والاصل الذي قصده المشايخ للمريدين خرقة الارادة
وخرقة التبرك تشبه بخرقة الارادة فخرقة الارادة للمريد الحقيقي وخرقة
التبرك للمتشبه ومن تشبه بقوم فهو منهم وسر الخرقة ان الطالب الصادق
اذا دخل في صحبة الشيخ وسلم نفسه اليه وصار كالولد الصغير مع الوالد
يربيه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقار وحسن الاستقامة
ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته الاشراف على البواطن فقد يكون المريد يلبس الخشن
كثياب المتقشفين المتزهدين وله في تلك الهيئة من الملبوس هوى كامن في نفسه
ليرى بعين الزهادة فاشد ما على هذا لبس الناعم وللنفس هوى واختيار
في هيئة مخصوصة من الملبوس في قصر الكم والذيل وطوله وخشونته ونعومته
على قدر حسبانها وهواها فيلبس الشيخ لمثل هذا الراكن الى تلك الهيئة ثوبا
يكسر بذلك على نفسه هواها وغرضها وقد يكون على المريد ملبوس ناعم او هيئة
في الملبوس تشرئب النفس لتلك الهيئة بالعادة فيلبسه الشيخ ما تخرج النفس

من عادتها وهواها فتصرف الشيخ في الملبوس كتصرفه في المطعوم وكتصرفه
في صوم المريد وافطاره وكتصرفه في امر دينه الى ما يرى له من المصلحة من دوام
الذكر او دوام التنفل بالصلاة او دوام التلاوة او دوام الخدمة وكتصرفه
فيه برده الى الكسب او الفتوح او غير ذلك فللشيخ اشراف على البواطن وتنوع
الاستعدادات فيامر كل مريد من امر معاشه ومعاده بما يصلح له ولتنوع
الاستعدادات تنوعت مراتب الدعوة قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فالحكمة رتبة في الدعوة
والموعظة كذلك والمجادلة كذلك فمن يدعى بالحكمة لا يدعى بالموعظة ومن يدعى
بالموعظة لا تصلح دعوته بالحكمة فهكذا الشيخ يعلم من هو على وضع الابرار
ومن هو على وضع المقربين • ومن يصلح لدوام الذكر • ومن يصلح لدوام الصلاة •
ومن لا يصلح • ومن له هوى في التخشن او في التنعم فيخلع المريد من عادته ويخرجه
من مضيق هوى نفسه ويطعمه باختياره ويلبسه باختياره ثوبا يصلح
له وهيئة تصلح له يداوي بالخرقة المخصوصة والهيئة المخصوصة داء هواه
ويتوخى بذلك تقربه الى رضا مولاه فالمريد الصادق الملتهب باطنه بنار الارادة
في بدء امره وجدة ارادته كالملسوع الحريص على من يرقيه ويداويه فاذا
صادف شيخا انبعث من باطن الشيخ صدق العناية به لاطلاعه عليه
من باطن المريد صدق المحبة بتالف القلوب وتشام الارواح وظهور سر السابقة
فيما باجتماعهما لله في الله بالله فيكون القميص الذي يلبس المريد خرقة تبشر
المريد بحسن عناية الشيخ به فيعمل عند المريد عمل قميص يوسف عند يعقوب
عليهما السلام وقد نقل ان ابراهيم الخليل عليه السلام حين القي في النار جرد
من ثيابه وقذف في النار عريانا فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة والبسه اياه
وكان ذلك عند ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب
فجعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وجعله في عنق يوسف فكان لا يفارقه فلما
القي في البئر عريانا جاءه جبريل وكان عليه التعويذ فاخرج القميص منه والبسه
اياه • اخبرنا الشيخ العالم رضي الدين احمد بن اسمعيل القزويني رحمة الله عليه اجازة

قال انا

مخلد

قال انا ابو سعيد محمد بن ابي العباس انا القاضي محمد بن سعيد قال انا ابو اسحق احمد
ابن محمد قال اخبرني ابن فنجويه الحسين بن محمد قال ثنا مخلدة بن جعفر قال ثنا الحسين
ابن علويه قال ثنا اسمعيل بن عيسى قال ثنا اسحق بن بشر عن ابن السدي عن ابيه عن
مجاهد قال كان يوسف اعلم بالله عز وجل من ان لا يعلم ان قميصه لا يرد على
يعقوب بصره ولكن ذلك كان قميص ابراهيم وذكر ما ذكرناه قال فامره جبريل
ان ارسل بقميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى او سقيم الا صح وعوفي فتكون
الخرقة عند المريد الصادق متحملة اليه عرف الجنة لما عنده من الاعتداد بالصحبة
ويرى لبس الخرقة من عناية الله به وفضل الله عليه فاما خرقة التبرك فيطلبها
من مقصوده التبرك بزي القوم ومثل هذا لا يطالب بشرائط الصحبة بل يوصى
بلزوم حدود الشرع ومخالطة هذه الطائفة لتعود عليه بركتهم ويتادب بادابهم
فسوف يرقيه ذلك الى الاهلية لخرقة الارادة فعلى هذا خرقة التبرك مبذولة
لكل طالب وخرقة الارادة ممنوعة الا من الصادق الراغب ولبس الازرق من استحسان
الشيوخ في الخرقة فان راى شيخ ان يلبس مريدا غير الازرق فليس لاحد ان يعترض عليه
لان المشايخ اراهم فيما يفعلون بحكم الوقت وكان شيخنا يقول لطف الفقير بلبس
قصير الاكمام ليكون اعون على الخدمة ويجوز للشيخ ان يلبس المريد خرقا في دفعات على
قدر ما يرى من المصلحة للمريد في ذلك على ما اسلفناه من تداوي هواه بالملبوس
واما من الملون فيختار الازرق لانه ارفق للفقير لكونه يحمل الوسخ ولا يحوج الى زيادة
الغسل لهذا المعنى فحسب وما عدا هذا من الوجوه التي يذكرها بعض المتصوفة
في ذلك كلام اقناعي من كلام المتصنعين ليس من الدين والحقيقة بشيء سمعت
الشيخ سديد الدين ابا الفخر الهمداني رحمة الله عليه قال كنت ببغداد عند
ابي بكر الشروطي فخرج الينا فقير من زاويته عليه ثوب وسخ فقال له بعض الفقراء
لم لا تغسل ثوبك فقال يا اخي ما اتفرغ فقال الشيخ ابو الفخر لا ازال اذكر حلاوة
قول الفقير لا اتفرغ لانه كان صادقا في ذلك واجد لذة لقوله وبركته بعد
ذلك فاختاروا الملون لهذا المعنى لانهم من رعاية وقتهم في شغل شاغل والاناي
ثوب لبس الشيخ المريد من ابيض وغيره ذلك فللشيخ ولايته ذلك بحسن مقصده

ويوفون عليه وقد راينا من المشايخ من لا يلبس الخرقة ويسلك باقوام من غير لبس الخرقة وتوخذ منه العلوم والاداب وقد كانت طبقة من السلف الصالحين لا يعرفون الخرقة ولا يلبسونها المريدين فمن يلبسها فله مقصد صحيح واصل من السنة وشاهد من الشرع ومن لا يلبسها فله رايه وله في ذلك مقصد صحيح وكل تصاريف المشايخ محمولة على السداد والصواب ولا تخلوا عن نية صالحة فيه والله تعالى ينفع بهم وباثارهم ان شا الله تعالى

الباب الثالث عشر في فضيلة سكان الربط

قال الله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار قيل ان هذه البيوت هي المساجد وقيل بيوت المدينة وقيل بيوت النبي عليه الصلاة والسلام • وقيل لما نزلت هذه الاية قام ابو بكر رضي الله عنه وقال يا رسول الله هذا البيت منها بيت علي وفاطمة قال نعم من افاضلها • وقال الحسن هي بقاع الارض كلها جعلت مسجدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى هذا الاعتبار بالرجال الذاكرين لا بصور البقاع واي بقعة حوت رجالا بهذا الوصف فهي البيوت التي اذن الله ان ترفع • روى انس بن مالك رضي الله عنه قال ما من صباح ولا رواح الا وبقاع الارض ينادي بعضها بعضا هل مر بك اليوم احد صلى عليك او ذكر الله عليك فمن قايلة نعم ومن قايلة لا فاذا قالت نعم علمت ان لها عليها بذلك فضلا وما من عبد ذكر الله على بقعة من الارض او صلى عليها الا شهدت له بذلك يوم القيمة عند ربه وبكت عليه يوم يموت وقيل في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض تنبيه على فضيلة اهل الله تعالى من اهل طاعته لان الارض تبكي عليهم ولا تبكي على من ركن الى الدنيا واتبع الهوى فسكان الرباط هم الرجال لانهم ربطوا انفسهم على طاعة الله وانقطعوا الى الله فاقام الله لهم الدنيا خادمة • روى عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله مونته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها • واصل الرباط ما يربط فيه الخيول ثم قيل لكل ثغر يدفع

اهله

اهله عمن وراهم رباط فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراه والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعايه البلاء عن العباد والبلاد اخبرنا الشيخ العالم رضي الدين ابو الخير احمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال انا ابو سعيد محمد بن ابي العباس الخليلي قال انا القاضي محمد بن سعيد الفرخزادي قال انا ابو اسحق احمد بن محمد قال انا الحسين بن محمد قال ثنا ابو بكر بن خرجة قال ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل قال حدثني ابو حميد الحمصي قال ثنا يحيى بن سعيد القطان قال ثنا حفص بن سليمن عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليدفع بالمسلم الصالح عن ماية من اهل بيته ومن جيرانه البلا • وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لولا عباد لله ركع وصبية رضع وبهايم رتع لصب عليكم العذاب صبا ثم رض رضا • وروى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده واهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم • وروى داود بن صالح قال قال لي ابو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن اخي هل تدري في اي شي نزلت هذه الاية اصبروا وصابروا ورابطوا قلت لا قال يا ابن اخي لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط لجهاد النفس والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه قال الله تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده • قال عبد الله بن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر على ما روي في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رجع من بعض غزواته رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر • وقيل ان بعض الصالحين كتب الى اخ له يستدعيه الى الغزو فكتب اليه يا اخي كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد والباب علي مردود فكتب اليه اخوه لو كان الناس كلهم لزموا ما لزمته اختلت امور المسلمين وغلبت الكفار ولا بد من الغزو والجهاد • فكتب اليه يا اخي لو لزم الناس ما انا عليه لقالوا في زواياهم على سجاداتهم الله اكبر انهدم سور قسطنطينية • وقال بعض الحكما ارتفاع الاصوات في بيوت العبادات بحسن النيات وصفا الطويات تحل ما عقدته الافلاك الدايرات فاجتماع

أهل الربط اذا صح على الوجه الموضوع له الربط وتحقق أهل الربط بحسن المعاملة
ورعاية الاوقات وتوقي ما يفسد الاعمال واعتماد ما يصحح الاحوال عادت البركة
على العباد والبلاد • وقال سري السقطي في قوله اصبروا وصابروا ورابطوا
اصبروا عن الدنيا رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة
ورابطوا اهواء النفس اللوامة واتقوا ما تعقب لكم من الندامة لعلكم تفلحون
غدا على بساط الكرامة • وقيل اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا في دار
اعدائي واتقوا محبة من سواي لعلكم تفلحون غدا بلقائي وهذه شرائط ساكن
الرباط قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب اكتفاء بكفالة
مسبب الاسباب وحبس النفس عن المخالطات واجتناب التبعات وعانق ليله ونهاره
العبادة متعوضا بها عن كل مألوف وعادة • شغله حفظ الاوقات وملازمة
الاوراد وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطا مجاهدا
حدثنا شيخنا ابو النجيب السهروردي قال انا ابو نبهان محمد الكاتب قال انا الحسن
ابن شاذان قال انا دعلج قال انا البغوي عن ابي عبيد القسم بن سلام قال ثنا صفوان
عن الحارث عن سعيد بن المسيب عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسباغ الوضوء في المكاره واعمال الاقدام الى المساجد
وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلا • وفي رواية الا اخبركم بما يمحوا
الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء في
المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ••

الباب الرابع عشر في مشابهة اهل الرباط باهل الصفة •

قال الله
تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان
يتطهروا والله يحب المطهرين وصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قيل لهم ماذا كنتم تصنعون حتى اثنى الله عليكم بهذا الثناء قالوا كنا نتبع الما الحجر وهذا
واشباهه من الاداب وظيفة صوفية الربط يلازمونه ويتعاهدونه والرباط
بيتهم ومنزلهم ولكل قوم دار والرباط دارهم وقد شابهوا اهل الصفة في ذلك على
ما اخبرنا ابو زرعة عن ابيه الحافظ المقدسي قال اخبرنا احمد بن محمد البزار قال انا علي

ابن علي

ابن علي الوزير قال ثنا عبد الله البغوي قال ثنا وهبان بن بقية قال ثنا خالد بن عبد الله
عن داود بن ابي هند عن ابي حرب بن ابي الاسود عن طلحة رضي الله عنه قال كان الرجل
اذا قدم المدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه فان لم يكن له بها عريف نزل
الصفة وكنت فيمن نزل الصفة فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد
واحد وعزم واحد واحوال متناسبة ووضع الرباط لهذا المعنى ان يكون سكانه
بوصف ما قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
والمقابلة باستواء السر والعلانية ومن اضمر لاخيه غلا فليس بمقابله وان كان
وجهه اليه فاهل الصفة هكذا كانوا لان مثار الغل والحقد وجود الدنيا وحب
الدنيا راس كل خطيئة فاهل الصفة رفضوا الدنيا فكانوا لا يرجعون الى ضرع
ولا الى زرع فزالت الاحقاد والغل عن بواطنهم وهكذا اهل الرباط متقابلون
بظواهرهم وبواطنهم مجتمعون على الالفة والمودة يجتمعون للكلام ويجتمعون
للطعام ويتعرفون بركة الاجتماع • روى وحشي بن حرب عن ابيه عن جده انهم
قالوا يا رسول الله انا ناكل ولا نشبع قال لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا
واذكروا الله تعالى يبارك لكم فيه • وروى انس بن مالك رضي الله عنه قال ما
اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق
فقيل فعلى اي شيء كانوا ياكلون قال على السفر • فالعباد والزهاد طلبوا
الانفراد لدخول الافات عليهم بالاجتماع وكون نفوسهم تتفق للاهوية والخوض
فيما لا يعني فراوا السلامة في الوحدة • والصوفية لقوة علمهم وصحة حالهم نزع
عنهم ذلك فراوا الاجتماع في بيوت الجماعة على السجادة فسجادة كل واحد زاويته
وهم كل واحد منهم • ولعل الواحد منهم لا يتخطى همه سجادته ولهم في اتخاذ السجا
وجه من السنة • روى ابو سلمة بن عبد الرحمن عن عايشة رضي الله عنها قالت كنت
اجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل • وروت ميمونة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسط
له الخمرة في المسجد حتى يصلي عليها والرباط يحتوي على شبان وشيوخ واصحاب
خدمة وارباب خلوة فالمشايخ بالزوايا التي نظرا الى ما تدعوا اليه النفس من

النوم والراحة والاستبداد بالحركات والسكنات فللنفس شوق الى التفرد
والاسترسال في وجوه الرفق والشاب يضيق عليه مجال النفس بالقعود في
بيت الجماعة والانكشاف لنظر الاغيار لكثرة العيون عليه فيتقيد ويتأدب
ولا يكون هذا الا اذا كان جمع الرباط في بيت الجماعة مهتمين بحفظ الاوقات
وضبط الانفاس وحراسة الخواطر كما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه كان عندهم من هم الآخرة ما يشغلهم عن
اشتغال البعض بالبعض وهكذا ينبغي لاهل الصدق والصوفية ان يكون اجتماعهم
غير مضر بوقتهم فاذا تخلل اوقات الشبان اللغو واللغط فالاولى ان يلزم الشاب
الطالب الوحدة والعزلة ويؤثر الشيخ الشاب بزاويته وموضع خلوته ليحبس الشاب
فيها نفسه عن دواعي الهوى والخوض فيما لا يعني ويكون الشيخ في بيت الجماعة لقوة
حاله وصبره على مداراة الناس وتخلصه من تبعات المخالطة وحضوره ووقاره بين الجمع
فينضبط به الغير ولا يتكدر هو   واما الخدمة فشأن من دخل الرباط مبتدئا
ولم يذق طعم المعاملة ولا تنبه لنفائس الاحوال فيتقرب بالخدمة لتكون عبادته
خدمته ويجذب بحسن الخدمة قلوب اهل الله اليه فتشمله بركة ذلك ويعين
الاخوان المشتغلين بالعبادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنون
اخوة يطلب بعضهم الى بعض الحوائج فيقضي بعضهم لبعض الحوائج يقضي الله لهم
حاجاتهم يوم القيامة فيتحفظ بالخدمة عن البطالة التي تميت القلب والخدمة
عند القوم من جملة العمل الصالح وهي طريق من طرق المواجيد تكسبهم الاوصاف
الجميلة والاحوال الحسنة ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا متطلعا
الى الاهتداء بهديهم ● اخبرنا الشيخ الثقة ابو الفتح قال اخبرنا ابو الفضل حمد
بن احمد قال انا ابو نعيم الحافظ قال ثنا سليمان بن احمد قال ثنا علي بن عبد العزيز
قال ثنا ابو عبيد قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شريك عن ابي هلال الطائي
عن وسق الرومي قال كنت مملوكا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان يقول لي اسلم
فانك ان اسلمت استعنت بك على امانة المسلمين فانه لا ينبغي ان استعين على
امانتهم بمن ليس منهم قال فابيت فقال لا اكراه في الدين فلما حضرته الوفاة اعتقني

فقال

فقال اذهب حيث شئت فالقوم يكرهون خدمة الاغيار ويأبون مخالطتهم
ايضا فان من لا يحب طريقهم ربما استضر بالنظر اليهم اكثر مما ينتفع فانهم
بشر وربما تبدو منهم امور بمقتضى طبع البشر وينكرها الغير لقلة علمه
بمقاصدهم فيكون اباؤهم لموضع الشفقة على الخلق لا من طريق التعزز
والترفع على احد من المسلمين والشاب الطالب اذا خدم اهل الله والمشغولين
بطاعته يشاركهم في الثواب وحيث لم يؤهل لاحوالهم السنية يخدم من
أهل لها فخدمته لاهل القرب علامة حب الله تعالى ● اخبرنا الثقة ابو
الفتح محمد بن سليمان قال انا ابو الفضل حمد قال انا الحافظ ابو نعيم قال ثنا ابو بكر
بن خلاد قال ثنا الحارث بن ابي اسامة قال ثنا معاوية بن عمرو قال ثنا ابو اسحق
عن حميد عن انس بن مالك قال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من
تبوك قال حين دنا من المدينة ان بالمدينة اقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم
واديا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر فالقائم
بخدمة القوم تعوق عن بلوغ درجتهم بعذر القصور وعدم الاهلية لحال من حول
الحمى بادلا مجهوده في الخدمة يتعلل بالاثر حيث منع النظر فجزاه الله تعالى على ذلك
احسن الجزاء وانا له من جزيل العطاء وهكذا كان اهل الصفة يتعاونون على
البر والتقوى ويجتمعون على المصالح الدينية ومواساة الاخوان بالمال والبدن
والله الموفق والمعين

الباب الخامس عشر في خصائص اهل الربط والصوفية فيما يتعاهدونه ويختصون به

اعلم ان تأسيس هذه الربط من زينة هذه الملة
الهادية المهدية ولسكان الربط احوال تميزوا بها على غيرهم من الطوائف وهم
على هدى من ربهم قال الله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وما
نرى من التقصير في حق البعض من اهل زماننا والتخلف عن طريق سلفهم لا يقدح في
اصل امرهم وصحة طريقهم وهذا القدر الباقي من الاثر واجتماع المتصوفة في الربط
وما هيأه الله تعالى لهم من الرفق بركة جمعية بواطن المشايخ الماضين واثر من اثار
نتائج الحق في حقهم وصورة الاجتماع في الربط الآن على طاعة الله تعالى والتزيي
بظاهر الاداب عكس نور الجمعية من بواطن الماضين وسلوك الخلف في منهاج

السلف فهم في الربط كجسد واحد بقلوب متفقة وعزايم متحدة ولا يوجد
هذا في غيرهم من الطوايف قال الله تعالى في وصف المومنين كانهم بنيان مرصوص
وبعكس ذلك وصف الاعدا فقال تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى روى النعمن بن
بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما المومنون كرجل واحد
اذا اشتكى عضو من اعضايه اشتكى جسده اجمع واذا اشتكى مومن اشتكى
المومنون فالصوفية من وظيفتهم اللازمة حفظ اجتماع البواطن وازالة
التفرقة بازالة شعث البواطن لانهم بنسبة الارواح اجتمعوا وبرابطة التا‌لف
الالهي اتفقوا وبمشابهة القلوب تواطوا ولتهذيب النفوس وتصفية القلوب في
الرباط رابطوا فلا بد لهم من التالف والتودد والنصح • روى ابو هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المومن يالف ويولف ولا خير فيمن لا يالف
ولا يولف • واخبرنا ابو زرعة طاهر بن الحافظ ابي الفضل المقدسي عن ابيه قال انا
ابو القسم الفضل بن ابي حرب قال انا احمد بن الحسن الحيري قال انا ابو سهل بن زياد
القطان قال نا الحسن بن مكرم قال نا يزيد بن هرون الواسطي قال نا محمد بن عمرو
عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارواح
جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف فهم باجتماعهم يجمع
بواطنهم وتتقيد نفوسهم لان بعضهم عين على البعض على ما ورد المومن مراة
المومن فاي وقت ظهر من احدهم اثر التفرقة تنافروه لان التفرقة تظهر بظهور	تنافروه
النفوس وظهور النفوس من تضييع حق الوقت فاي وقت ظهرت نفس الفقير علموا
منه خروجه من دايرة الجمعية وحملوا له بتضييع حكم الوقت واهمال السياسة
وحسن الرعاية فيقاد بالمنافرة الى دايرة الجمعية • اخبرنا شيخنا ضياء الدين عبد	بالمنافره
القادر السهروردي اجازة قال انا الشيخ العالم عصام الدين ابو حفص عمر بن احمد
ابن منصور الصفار قال انا ابو بكر احمد بن خلف الشيرازي قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن
محمد بن الحسين السلمي قال سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت رويما يقول لا تزال الصوفية
بخير ما تنافروا فاذا اصطلحوا هلكوا وهذه اشارة من رويم الى حسن تفقد بعضهم
احوال البعض اشفاقا من ظهور النفوس يقول اذا اصطلحوا ورفعوا المنافرة من بينهم

تخاف

تخاف ان تخامر البواطن المساهلة والمراياة ومسامحة البعض للبعض في اهمال دقيق
ادابهم وبذلك تظهر النفوس وتستولي • وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول
رحم الله امرا اهدى الي عيوبي • واخبرنا ابو زرعة عن ابيه الحافظ المقدسي
قال انا ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز الهروي قال انا عبد الرحمن بن ابي شريح قال
انا ابو القسم البغوي قال نا مصعب بن عبد الله الزبيري قال حدثني ابراهيم بن
سعد عن صالح عن ابن شهاب ان محمد بن النعمان اخبره ان عمر رضوان الله عليه قال في
مجلس فيه المهاجرون والانصار ارايتم لو ترخصت في بعض الامور ما ذا كنتم فاعلين
قال فسكتوا قال فقال ذلك مرتين او ثلاثا ارايتم لو ترخصت في بعض الامور ما
ذا كنتم فاعلين قال بشير بن سعد لو فعلت ذلك قومناك تقويم القدح فقال
عمر انتم اذا انتم • واذا ظهرت نفس الصوفي بغضب وخصومة مع بعض الاخوان
فشرط اخيه ان يقابل نفسه بالقلب فان النفس اذا قوبلت بالقلب انحسمت مادة
الشر واذا قوبلت النفس بالنفس ثارت الفتنة وذهبت العصمة قال الله تعالى
ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا
الذين صبروا • ثم الشيخ او الخادم اذا شكا اليه فقير من اخيه فله ان يعاتب ايهما شاء
فيقول للمتعدي لم تعديت وللمتعدى عليه ما الذي اذنبت حتى تعدى عليك وسلط
عليك وهلا قابلت نفسه بالقلب رفقا باخيك واعطاء الفتوة والصحبة حقها
فكل منهما جان وخارج عن دايرة الجمعية فيرد الى الدايرة بالانكار فيعود الى الاستغفار
ولا يسلك طريق الاصرار • روت عايشة رضي الله عنها قالت كان يقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساوا
استغفروا فيكون الاستغفار ظاهرا مع الاخوان وباطنا مع الله تعالى ويرون الله في
استغفارهم فلهذا المعنى يقفون في صف النعال على اقدامهم تواضعا وانكسارا
وسمعت شيخنا رحمة الله عليه يقول للفقير اذا جرى بينه وبين اصحابه وحشة قم
واستغفر فيقول الفقير ما ارى باطني صافيا ولا اوثر القيام للاستغفار ظاهرا
من غير صفاء الباطن فيقول انت قم فببركة سعيك وقيامك ترزق الصفاء فكان يجد
ذلك ويرى اثره عند الفقير وترق القلوب وترتفع الوحشة وهذا من خاصية هذه

الطايفة لا يبيتون والبواطن منطوية على وحشة ولا يجتمعون للطعام والبواطن تضمر وحشة ولا يرون الاجتماع ظاهرًا في شيء من امورهم الا بعد الاجتماع بالبواطن وذهاب التفرقة والشعث واذا قام الفقير للاستغفار لا يجوز رد استغفاره بحال • روى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم • وللصوفية في تقبيلهم الشيخ بعد الاستغفار اصل من السنة وهو ما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنت في سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ثم قلنا لو دخلنا المدينة فبتنا فيها ثم قلنا لو عرضنا انفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان لنا توبة والا ذهبنا فاتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال من القوم قلنا نحن الفرارون قال لا بل انتم العكارون انا فئتكم انا فئة المسلمين يقال عكر الرجل اذا تولى ثم كر راجعًا والعكار العطاف والرجاع قال فاتيناه حتى قبلنا يده وروي ان ابا عبيدة بن الجراح قبل يد عمر عند قدومه • وروى عن ابي مرثد الغنوي انه قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت اليه فقبلت يده فهذا رخصة في جواز تقبيل اليد ولكن ادب الصوفي انه متى راى نفسه تتعزز بذلك او تتطلع بوصفها ان يمتنع من ذلك فان سلم من ذلك فلا باس بتقبيل اليد ومعانقتهم الاخوان عقيب الاستغفار لرجوعهم الى الالفة بعد الوحشة وقدومهم من سفرة الهجرة بالتفرقة الى اوطان الجمعية فبظهور النفس تغربوا وبعدوا وبغيبة النفس وبالاستغفار قدموا ورجعوا ومن استغفر واعتذر الى اخيه ولم يقبله فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وعيد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اعتذر الى اخيه معذرة فلم يقبلها كان عليه مثل خطية صاحب المكوس • وروى جابر ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تنصل اليه فلم يقبل لم يرد الحوض ومن السنة ان يقدم للاخوان شيئا بعد الاستغفار • روي ان كعب بن مالك قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من توبتي ان انخلع من مالي كله واهجر دار قومي التي اذنبت فيها فقال له النبي عليه الصلاة والسلام

تجزيك

تجزيك من ذلك الثلث فصارت سنة الصوفية المطالبة بالغرامة بعد الاستغفار والمنافرة وكل قصدهم رعاية التالف حتى تكون بواطنهم على الاجتماع كما ان ظواهرهم على الاجتماع وهذا امر تفردوا به من بين طوايف الاسلام ثم شرط الفقير الصادق اذا سكن الرباط ويأكل من وقفه او مما يطلب لسكانه بالدريوزة ان يكون عنده من الشغل بالله ما لا يسعه الكسب والا اذا كان للبطالة والخوض فيما لا يعني عنده مجال ولا يقوم بشرط اهل الارادة من الجد والاجتهاد لا ينبغي له ان يأكل من مال الرباط ويكتسب ويأكل من كسبه لان طعام الرباط لاقوام اهل شغلهم بالله تخدمهم الدنيا لشغلهم بخدمة مولاهم الا ان يكون تحت سياسة شيخ عالم بالطريق ينتفع بصحبته ويهتدي بهديه فيرى الشيخ ان يطعمه من مال الرباط ولا يجوز تصرف الشيخ الا بصحة وبصيرة ومن جملة ما يكون للشيخ في ذلك من النية ان يشغله بخدمة الفقرا فيكون ما ياكله في مقابلة خدمته • روى عن ابي عمرو الزجاجي قال اقمت عند الجنيد مدة فما راني قط الا وانا مشتغل بنوع من العبادة فما كلمني حتى كان يوم من الايام خلا الموضع من الجماعة فقمت ونزعت ثيابي وكنست الموضع ونظفته ورششته وغسلت موضع الطهارة فرجع الشيخ وراى على اثر الغبار فدعا لي ورحب بي وقال احسنت عليك بها ثلاث مرات ولا يزال مشايخ الصوفية يندبون الشبان الى الخدمة حفظا لهم عن البطالة وكل واحد يكون له حظ من المعاملة وحظ من الخدمة • روى ابو محذورة قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا الاذان • والسقاية لبني هاشم والحجابة لبني عبد الدار • وبهذا تقتدي مشايخ الصوفية في تفريق الخدم على الفقراء ولا يعذر في ترك نوع من الخدمة الا من الشغل بوقته ولا نعني بكامل الشغل شغل الجوارح ولكنا نعني به دوام الرعاية والمحاسبة والشغل بالقلب والقالب وقتا وبالقلب دون القالب وقتا ونفقد الزيادة من النقصان • فان قيام الفقير بحقوق الوقت شغل تام وبذلك يؤدي شكر نعمة الفراغ ونعمة الكفاية وفي البطالة كفران نعمة الفراغ والكفاية • اخبرنا شيخنا ضياء الدين عبد القاهر بن عبد الله اجازة قال انا عمر بن احمد بن منصور قال انا احمد بن خلف قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين قال

سمعت ابا الفضل بن حمدون يقول سمعت علي بن عبد الحميد الغضايري يقول سمعت
السري يقول من لا يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم • وقد يعذر الشيخ
العاجز عن الكسب في تناول طعام الرباط ولا يعذر الشاب هذا في شرط طريق القوم
على الاطلاق فاما من حيث فتوى الشرع فان كان شرط الواقف على المتصوفة
وعلى من تزيا بزيهم ولبس خرقتهم فيجوز اكل ذلك لهم على الاطلاق فتوى وفي ذلك
القناعة بالرخصة دون العزيمة التي هي شغل اهل الارادة • وان كان شرط
الواقف على من يسلك طريق الصوفية علما وحالا فلا يجوز اكله لاهل البطالات
والراغبين الى تضييع الاوقات • وطرايق اهل الارادة عند مشايخ الصوفية مشهورة
معروفة • اخبرنا الشيخ الثقة ابو الفتح قال انا ابو الفضل حمد قال انا الحافظ
ابو نعيم قال ثنا ابو العباس احمد بن محمد بن يوسف قال ثنا جعفر الفريابي قال
ثنا محمد بن الحسين البلخي بسمرقند قال ثنا عبد الله بن المبارك قال ثنا سعيد بن ابي
ثور الخزاعي قال ثنا عبد الله بن الوليد عن ابي سليمن الليثي عن ابي سعيد الخدري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل المومن كمثل الفرس في آخيته يجول
ويرجع الى آخيته وان المومن يسهو ثم يرجع الى الايمان فاطعموا طعامكم الاتقياء
واولوا معروفكم المومنين

الباب السادس عشر في ذكر اختلاف

احوال مشايخهم بالسفر والمقام • اختلفت احوال مشايخ الصوفية فمنهم
من سافر في بدايته واقام في نهايته ومنهم من اقام في بدايته وسافر في نهايته
ومنهم من اقام ولم يسافر ومنهم من استدام السفر ولم يوثر الاقامة ولكل
حال واحد منهم ومقصده فيما رام • فاما الذي سافر في بدايته واقام في
نهايته فقصده بالسفر لمعان منها تعلم شي من العلم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال بعضهم لو سافر رجل من الشام
الى اقصى اليمن في كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى ما كان سفره ضايعا • ونقل ان جابر بن
عبد الله رحل من المدينة الى مصر في شهر لحديث بلغه ان عبد الله بن انيس يحدث به
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه الصلاة والسلام من خرج
من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع • وقيل في تفسير قوله

تعالى

تعالى السايحون انهم طلاب العلم • حدثنا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي
املا قال انا ابو الفتح عبد الملك الهروي قال انا ابو نصر الترياقي قال انا الجراحي
قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي قال ثنا وكيع قال ثنا ابو
داود عن سفيان عن ابي هريرة قال كنا ناتي ابا سعيد فيقول مرحبا بوصية رسول
الله ان النبي عليه الصلاة والسلام قال ان الناس لكم تبع وان رجالا ياتونكم من
اقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا • وقال عليه الصلاة
والسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم • وروت عايشة رضي الله
عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل اوحي الي
انه من سلك مسلكا في طلب العلم سهلت له طريقا الى الجنة • ومن جملة مقاصدهم
في البداية لقاء المشايخ والاخوان الصادقين فللمريد بلقاء كل صادق مزيد • وقد ينفعه
لحظ الرجال كما ينفعه لفظ الرجال • وقد قيل من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه
وهذا القول فيه وجهان احدهما ان الرجل الصديق يتكلم الصادق في لسان فعله اكثر
مما يتكلم بلسان قوله فاذا نظر الصادق الى تصاريفه في مورده ومصدره وخلوته
وجلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر اليه فهو نفع اللحظ ومن لا يكون افعاله
هكذا فلفظه ايضا لا ينفع لانه يتكلم بهواه ونورانية القول على قدر نورانية القلب
ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق العبودية وحقيقتها
والوجه الثاني ان نظر العلماء الراسخين والرجال البالغين ترياق نافع ينظر احدهم
الى الرجل الصادق فيستكشف بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستيهاله
مواهب الله الخاصة فيقع في قلبه محبة الصادق المريد وينظر اليه نظر محبة عن
بصيرة • وهم من جنود الله تعالى فيكسبون بنظرهم الاحوال السنية ويهبون آثارا
مرضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله ان الله سبحانه كما جعل في بعض الافاعي من الخاصية
انه اذا نظر الى الانسان يهلكه بنظره ان يجعل في نظر بعض خواص عباده انه اذا نظر
الى طالب صادق يكسبه حالا وحيوة • وقد كان شيخنا رحمه الله يطوف في مسجد
الخيف بمنى يتصفح وجوه الناس فقيل له في ذلك فقال لله عباد اذا نظروا الى الشخص
اكسبوه سعادة فانا اطلب ذلك • ومن جملة المقاصد في السفر ابتداء قطع المالوفات

والانسلاخ من ركون النفس الى معهود ومعلوم والتحامل على النفس بتجرع مرارة فرقة
الالاف والخلان والاهل والاوطان فمن صبر عن تلك المالوفات محتسبا عند الله تعالى
اجرا فقد حاز فضلا عظيما • اخبرنا ابو زرعة بن ابي الفضل الحافظ المقدسي عن ابيه
قال انا القاضي ابو منصور محمد بن احمد الفقيه الاصفهاني قال انا ابو اسحق ابراهيم
بن عبد الله بن خرشيذ قوله قال ثنا ابو بكر محمد بن زياد النيسابوري قال ثنا يونس
بن عبد الاعلى قال ثنا ابن وهب قال حدثني حيي بن عبد الله عن ابي عبد الرحمن عن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ليته مات بغير مولده قالوا ولم ذلك يا رسول
الله قال ان الرجل اذا مات بغير مولده قيس له من مولده الى منقطع اثره من الجنة
ومن جملة المقاصد في السفر استكشاف دفائن النفوس واستخراج رعوناتها
ودعاويها لانه يكاد يتبين حقائق ذلك بغير السفر وسمي السفر سفرا
لانه يسفر عن الاخلاق فاذا وقف على دائه يتشمر لدوائه وقد تكون اثار السفر
في نفس المبتدي كاثار النوافل من الصلاة والصوم والتهجد وغير ذلك • وذلك
ان المتنفل سائح سائر الى الله من اوطان الغفلات الى محال القربات والمسافر يقطع
المسافات والتقلب في المفاوز والفلوات بحسن النية لله سائرا الى الله تعالى بمراغمة
الهوى ومهاجرة ملاذ الدنيا • اخبرنا شيخنا اجازة قال انا عمر بن احمد قال انا
احمد بن محمد بن خلف قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت عبد الواحد بن بكر يقول
سمعت علي بن عبد الرحيم يقول سمعت النوري يقول التصوف ترك كل حظ للنفس
فاذا سافر المبتدي تاركا حظ النفس يطمين النفس كتليين دوام النافلة
ويكون لها بالسفر دباغ يذهب عنها الخشونة واليبوسة الجبلية والعفونة
الطبيعية وكالجلد يعود من هيئة الجلود الى هيئة الثياب تعود النفس من
طبيعة الطغيان الى طبيعة الايمان • ومن جملة المقاصد في السفر رؤية الاثار
والعبر وتسريح النظر في مسارح الفكر ومطالعة اجزاء الارض والجبال وموطئ
اقدام الرجال واستماع التسبيح من ذرات الجمادات والفهم من لسان حال
القطع المتجاورات فقد تجدد له اليقظة بتجدد مستودع العبر والايات وتتوفر

بمطالعة

بمطالعة المشاهد والمواقف الشواهد والدلالات قال الله تعالى سنريهم
اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق • وقد كان السري يقول
للصوفية اذا خرج الشتاء فقد خرج آذار واورقت الاشجار وطاب الانتشار
ومن جملة المقاصد بالسفر ايثار الخمول وترك حظ القبول فصدق الصادق
يتيسر على حسن الحال ويرزق من الخلق حسن الاقبال وقل ما يكون صادق متمسك
بعروة الاخلاص ذو قلب عامر الا ويرزق قبول الخلق حتى سمعت بعض المشايخ
يحكي عن بعضهم انه قال اريد اقبال الخلق علي لا لاني ابلغ نفسي حظها من الهوى
فاني لا ابالي اقبلوا ام ادبروا ولكن لكون قبول الخلق علامة تدل على صحة الحال
فاذا ابتلي المريد بذلك لا يامن نفسه ان تدخل عليه بطريق الركون الى الخلق
وربما ينفتح عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق البر والدخول
في الاسباب المحمودة وترى وجه المصلحة والفضيلة في خدمة عباد الله وبذل
الموجود ولا تزال النفس والشيطان حتى يجرانه الى السكون الى الاسباب
واستحلاء قبول الخلق وربما قويا عليه فجراه الى التصنع والتجمل ويتسع الخرق على
الراقع • وسمعت ان بعض الصالحين قال لمريد له انت الان وصلت الى مقام لا يدخل
عليك الشيطان من طريق الشر ولكن يدخل عليك من طريق الخير وهذا مزلة عظيمة
للاقدام فالله تعالى يدرك الصادق واذا ابتلي بشيء من ذلك ويزعجه بالعناية السابقة
والمعونة اللاحقة الى السفر فيفارق المعارف والموضع الذي فتح الله عليه هذا
الباب فيه ويتجرد لله تعالى بالخروج الى السفر وهذا من احسن المقاصد في الاسفار
للصادقين فهذه جمل المقاصد المطلوبة للمشايخ في بداياتهم ما عدا الحج والغزو وزيارة
بيت المقدس فقد نقل ان ابن عمر خرج من المدينة قاصدا الى بيت المقدس وصلى فيه
الصلوات الخمس ثم اسرع راجعا الى المدينة من الغد ثم اذا من الله تعالى على الصادق
باحكام اموره ابتداء وقلبه في الاسفار ومنحه الحظ من الاعتبار واخذ نصيبه من
العلم بقدر حاجته واستفاد من مجاورة الصالحين وانتقش في قلبه فوائد النظر
الى حال المتقين • وتعطر باطنه باستنشاق عرف معارف المقربين • وتحقق بحماية
نظر اهل الله وخاصته وسبر احوال النفس واسفر السفر عن دفائن اخلاقها

وشهواتها الخفية وسقط عن باطنه نظر الخلق وصار يَغلِب ولا يُغلَب كما قال
الله تعالى اخبارا عن موسى ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من
المرسلين فعند ذلك يرده الحق الى مقامه ويمده بجزيل انعامه ويجعله اماما للمتقين
به يقتدي • وعلما للمؤمنين به يهتدي • واما الذي اقام في بدايته وسافر في نهايته
فيكون ذلك شخصا يسّر الله تعالى له في بداية امره صحبة صحيحة وقيض له شيخا عالما
يسلك به الطريق ويدرجه الى منازل التحقيق فيلازم موضع ارادته ويلزم صحبة
من يرده من عادته • وقد كان الشبلي يقول للحصري في ابتداء امره ان خطر ببالك
من الجمعة الى الجمعة غير الله فحرام عليك ان تحضرني فمن رزق مثل هذه الصحبة حرم
عليه السفر فالصحبة خير له من كل سفر وفضيلة يقصدها • اخبرنا رضي الدين
ابو الخير احمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال انا ابو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم
بن هوازن القشيري عن والده الاستاذ ابي القسم قال سمعت محمد بن عبد الله
الصوفي يقول سمعت عياش بن ابي الصخر يقول سمعت ابا بكر الزقاق يقول لا يكون
المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا عشرين سنة فمن رزق صحبة
من ينتدبه الى مثل هذه الاحوال السنية والعزايم القوية حرم عليه المفارقة
واختيار السفر ثم اذا احكم امره في الابتداء بلزوم الصحبة وحسن الاقتداء
وارتوى من الاحوال وبلغ مبلغ الرجال وانحسم من قلبه عروق ما الحيوة وصارت
نفسه مكتسبة للسعادات يستنشق نفس الرحمن من صدور الصادقين من
الاخوان في اقطار الارض وشاسع البلدان تشرئب الى التلاق وتنبعث الى التطواف
في الآفاق • ليسيره الله تعالى في البلاد لفوايد العباد ويستخرج بمغناطيس حاله
خبء اهل الصدق • والمتطلعين الى من يخبر عن الحق ويبذر في اراضي القلوب بذر
الفلاح ويكثر ببركته ونفسه وصحبته اهل الصلاح وهذا مثل هذه الامة
الهادية في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه
تعود بركة البعض على البعض • وتسري الاحوال من البعض الى البعض ويكون
طريق الوراثة معمورا وعلم الافادة منشورا • اخبرنا شيخنا قال انا الامام عبد
الجبار البيهقي في كتابه قال انا ابو بكر البيهقي انا ابو علي الروذباري قال حدثنا ابو بكر

ابن داسة قال ثنا ابو داود قال ثنا يحيى بن ايوب قال ثنا اسمعيل بن جعفر قال اخبرني
العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه لا ينقص ذلك
من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص
ذلك من آثامهم شيئا • فاما من اقام ولم يسافر فيكون ذلك شخصا رباه الحق
سبحانه وتولاه وفتح له ابواب الخير وجذبه بعنايته • وقد ورد جذبة من جذبات
الحق توازي عمل الثقلين • ثم لما علم منه الصدق ورأى حاجته الى من ينتفع به ساق
اليه بعض الصديقين حتى ايده بلفظه وتداركه بلحظه ولقحه بقوة حاله وكفاه
تيسير الصحبة بكمال الاهلية في الصاحب والمصحوب واجرى سنة الله في اعطاء
الاسباب حقها لاقامة رسم الحكمة يحوج الى تيسير الصحبة فينتبه بالقليل
للكثير • ويغنيه اليسير من الصحبة للحظ الكبير ويكتفي بوافر حظ الاستبصار
عن الاسفار • ويتعوض باشعة الانوار عن مطالعة العبر والآثار كما قال بعضهم
الناس يقولون افتحوا اعينكم وابصروا وانا اقول غمضوا اعينكم وابصروا وسمعت
بعض الصالحين يقول لله عباد طور سينا هم ركبهم تكون رؤوسهم على ركبهم
وهم في محال القرب فمن نبع له معين الحياة في ظلمة خلوته ماذا يصنع بجول الظلمات
ومن اندرجت اطباق السموات في طي شهوده ماذا يصنع بتقلب طرفه في السموات
ومن جمعت احداق بصيرته متفرقات الكاينات ماذا يستفيد من طي الفلوات
ومن خلص بخاصية فطرته الى مجمع الارواح ماذا تفيده زيادة الاشباح قيل
ارسل ذو النون المصري الى ابي يزيد رجلا وقال قل له الى متى النوم والراحة وقد
سارت القافلة فقال للرسول قل لاخي الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل
قبل القافلة فقال ذو النون هنيئا له هذا كلام لا تبلغه احوالنا وكان بشر
يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر مكثه في موضع تغير
وقيل قال بعضهم عند هذا الكلام صر بحرا حتى لا تتغير • فاذا دام المريد سير
الباطن يقطع مسافة النفس الامارة بالسوء حتى قطع منازل آفاتها وبدل اخلاقها
المذمومة بالمحمودة وعانق الاقبال على الله تعالى بالصدق والاخلاص اجتمع له

المتفرقات واستفاد في حضره اكثر من سفره لكون السفر لا يخلو من عناء
وكلف ومشوشات وطوارق ونوازل تتجدد يضعف عن سياستها بالعلم
الضعفاء ولا يقدر على تسليط العلم على متجددات السفر وطوارقه الا الاقويا
قال عمر بن الخطاب للذي زكى عنده رجلا هل صحبته في السفر الذي يستدل
به على مكارم الاخلاق قال لا قال ما اراك تعرفه فاذا حفظ الله تعالى عبده في
بداية امره من تشويش السفر ومنعه تجمع الهم وحسن الاقبال في الحضر وساق
اليه من الرجال من اكتسب به صلاح الحال فقد احسن اليه • وقيل في تفسير
قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب هو الرجل
المنقطع الى الله يشكل عليه شيء من امر الدين فيبعث الله تعالى اليه من يحل اشكاله
فاذا ثبتت قدمه على شروط البداية رزق وهو في المقام من غير سفر ثمرات
النهاية فيستقر في الحضر ابتداء وانتهاء واقام في هذا المقام جمع من الصالحين
فاما الذي ادام السفر وراى صلاح قلبه وصحة حاله في ذلك فيقول بعضهم
اجتهد ان تكون كل ليلة ضيف مسجد ولا تموت الا بين منزلين • وكان من هذه
الطبقة ابراهيم الخواص ما كان يقيم في بلد اكثر من اربعين يوما وكان يرى
ان اقام اكثر من اربعين يفسد عليه توكله فكان علم الناس ومعرفتهم اياه
يراه سببا ومعلوما • ويحكى عنه انه قال مكثت في البادية احد عشر يوما لم
آكل وتطلعت نفسي ان آكل من حشيش البر فرايت الخضر مقبلا نحوي فهربت منه
ثم التفت فاذا هو رجع عني فقيل له لم هربت منه قال تشوفت نفسي ان يغيثني
فهؤلاء الفرارون بدينهم • اخبرنا ابو زرعة طاهر بن الحافظ ابي الفضل المقدسي
عن ابيه قال انا ابو بكر احمد بن علي قال انا عبد الله بن يوسف بن بامويه قال ثنا
ابو محمد الزهري القاضي قال ثنا محمد بن عبد الله بن اسباط ثنا ابو نعيم ثنا محمد يعني
بن مسلم عن عثمان بن عبد الله بن اوس عن سليمان بن هرمز عن عبد الله عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال احب شيء الى الله الغربا قيل ومن الغرباء قال
الفرارون بدينهم يجتمعون الى عيسى بن مريم يوم القيمة وهذه كلها احوال انتفعت
واتبع اربابها الصحة وحسن النية مع الله • وحسن النية يقتضيه الصدق

والصدق

والصدق لعينه محمود كيف تقلبت الاحوال فمن سافر ينبغي ان يتفقد حاله ويصحح
نيته ولا يقدر على تخليص النية من شوايب النفس الا كثير العلم تام التقوى وافر
الحظ من الزهد في الدنيا ومن انطوى على هوى كامن ولم يستقص في الزهد لا يقدر
على تصحيح النية فقد يدعوه الى السفر نشاط جبلي نفساني وهو يظن ان ذلك داعية
الحق ولا يميز بين داعي الحق وداعي النفس ويحتاج الشخص في علم صحة النية الى العلم
بمعرفة الخواطر وشرح الخواطر وعلمها يحتاج الى باب مفرد لنفسه ونومي الان
الى ذلك برمز يدركه من نازله شيء من ذلك فاكثر الفقرا من علم ذلك ومعرفته
على بعد • اعلم ان ما ذكرناه من نشاط النفس واقع للفقير في كثير من الامور فقد
يجد الفقير الروح بالخروج الى بعض الصحارى والبساتين ويكون ذلك الروح
مضرا له في ثاني الحال وان كان يتراءى له طيبة القلب في الوقت وسبب طيبة
قلبه في الوقت ان النفس تنفسح وتتسع ببلوغ غرضها وتيسير هواها بالخروج
الى الصحراء والتنزه واذا اتسعت بعدت عن القلب وتحت عنه متشوفة الى
متعلق هواها فيتروح القلب لا بالصحرا بل ببعد النفس منه كشخص تباعد عنه
قرين يستثقله ثم اذا عاد الفقير الى زاويته واستفتح ديوان معاملته وميز دستو
حالته يجد النفس مقارنة للقلب بمزيد ثقل لتبرمها بها وكلما ازداد ثقلها تكدر القلب موجب صح
وسبب زيادة ثقلها استرسالها في تناول هواها فيصير الخروج الى الصحراء عين الداء
ويظن الفقير انه تروح ودواء فلو صبر على الوحدة والخلوة ازدادت النفس ذوبانا
وخفت ولطفت وصارت قرينا صالحا للقلب لا يستثقلها وعلى هذا يقاس التروح بالا سفار
فللنفس وثبات الى توهم التروحات فمن فطن لهذه الدقيقة لا يغتر بالتروحات
المستعارة التي لا تحمد عاقبتها ولا تؤمن غايلتها ويتثبت عند ظهور خاطر السفر ولا
يغتر بالخاطر بل يطرحه بعدم الالتفات مسيئا ظنه بالنفس وتسويلاتها ومن هذا
القبيل والله اعلم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع من بين قرني الشيطا
فيكون للنفس عند طلوع الشمس وثبات تستبد تلك الوثبة والنهضة من النفس الى المزاج
والطبايع ويطول شرح ذلك وتحقيقه ومن ذلك القبيل خفة مرض المريض غدوة وغلاب
العشيات فيتشكل اهتزاز النفوس بنهضات القلب ويدخل على الفقير من هذا القبيل

آفات كثيرة ويدخل في مداخل باهتزاز نفسه ظنا منه ان ذلك حكم نهوض قلبه
وربما يتراءى له انه بالله يصول وبالله يقول وبالله يتحرك وقد ابتلي بنهضة النفس
ووثوبها ولا يقع هذا الاشتباه الا لارباب القلوب وارباب الاحوال وغير ارباب
القلب والحال عن هذا بمعزل وهذا مزلة قدم مختصة بالخواص دون العوام فاعلم
ذلك فانه عزيز علمه واقل مراتب الفقراء في مبادي الحركة للسفر لتصحيح وجه الحركة
ان يقدموا صلاة الاستخارة وصلاة الاستخارة لا تهمل وان تبين للفقير صحة خاطره او
تبين له وجه المصلحة في السفر ببيان اوضح من الخاطر فللقوم مراتب في التبيان من العلم
بصحة الخاطر وبما فوق ذلك ففي ذلك كله لا تهمل صلاة الاستخارة اتباعا للسنة
ففي ذلك البركة وهو من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما حدثنا به شيخنا
ضياء الدين ابو النجيب املاء قال انا ابو القسم بن ابي عبد الرحمن في كتابه ان ابا سعيد
الكنجرودي اخبرهم قال انا ابو عمرو بن حمدان قال ثنا احمد بن الحسن الصوفي قال
ثنا منصور بن ابي مزاحم قال ثنا عبد الرحمن بن ابي الموال عن محمد بن المنكدر
عن جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة
كما يعلمنا السورة من القران قال اذا هم احدكم بالامر او اراد الامر فليصل ركعتين
من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك
واسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب
اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر ليسميه بعينه خير لي في ديني ومعاشي ومعادي
وعاقبة امري او قال عاجل امري وآجله فاقدره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم
انه شر لي مثل ذلك فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم
رضني به

الباب السابع عشر

فيما يحتاج اليه الصوفي في سفره من الفرائض والفضائل فاما من الفقه وان كان هذا لا بد له في كتب
الفقه وهذا الكتاب غير موضوع لذلك ولكن نقول على سبيل الايجاز تيمنا بذكر
الاحكام الشرعية التي هي الاساس الذي يبنى عليه لا بد للصوفي المسافر
من علم التيمم والمسح على الخفين والقصر والجمع في الصلاة اما التيمم فجائز للمريض
والمسافر في الجنابة والحدث عند عدم الماء وخوف استعماله تلفا في النفس او

الما

الماء او زيادة في المرض على القول الصحيح من المذهب او عند حاجته الى الماء
الموجود لعطشه او عطش دابته او رفيقه ففي هذه الاحوال كلها يصلي بالتيمم
ولا اعادة عليه والخايف من البرد يصلي بالتيمم ويعيد الصلاة على الاصح ولا يجوز
التيمم الا بشرط الطلب للماء في مواضع الطلب ومواضع الطلب مواضع تردد
المسافر في منزله للاحتشاش والاحتطاب ويكون الطلب بعد دخول الوقت والسفر
القصير في ذلك كالطويل وان صلى بالتيمم مع تيقن الماء في آخر الوقت جاز على الاصح ولا
يعيد مهما صلى بالتيمم وان كان الوقت باقيا ومهما توهم وجود الماء بطل تيممه كما
اذا اطلع ركب او غير ذلك وان راى الماء في اثناء الصلاة لا تبطل صلاته ولا تلزمه الاعادة
ويستحب له الخروج منها واستينافها بالوضوء على الاصح ولا يتيمم للفرض قبل
دخول الوقت ويتيمم لكل فريضة ويصلي بها ما شاء من النوافل بتيمم واحد ولا يجوز اداء
الفرض بتيمم النافلة ومن لم يجد ماء ولا ترابا يصلي ويعيد عند وجود احدهما ولكن ان
كان محدثا لا يمس المصحف وان كان جنبا لا يقرا القران في الصلاة بل يذكر الله
تعالى عوض القراءة ولا يتيمم الا بتراب طاهر غير مخالط الرمل والجص ونحو ربا الغبار على
ظهر الحيوان والثوب ويسمي الله تعالى عند التيمم وينوي استباحة الصلاة قبل ضرب
اليد على التراب ويضم اصابعه لضربه الوجه ويمسح جميع الوجه ولو بقي شي من محل
الفرض غير ممسوح لا يصح التيمم ويضرب ضربة لليدين مبسوطة الاصابع ويعم
التراب محل الفرض وان لم يقدر الا بضربتين فصاعدا ليمكنه لا بد ان يعم التراب
محل الفرض ويمسح اذا فرغ احدى الراحتين بالاخرى حتى تصيرا ممسوحتين ويمر اليد
على ما نزل من اللحية من غير ايصال التراب الى المنابت فاما المسح فيمسح على الخف ثلاثة
ايام ولياليهن في السفر والمقيم يوما وليلة وابتداء المدة من حين الحدث بعد لبس
الخف لا من حين لبس الخف ولا حاجة الى النية عند لبس الخف بل يحتاج الى كمال الطهارة
حتى لو لبس احد الخفين قبل غسل الرجل الاخرى لا يصح ان يمسح على الخف ويشترط في
الخف امكان متابعة المشي عليه وستر محل الفرض ويكفي مسح يسير من اعلى الخف والاولى
مسح اعلاه واسفله من غير تكرار ومتى ارتفع حكم المسح بانقضاء المدة او ظهور شي من
محل الفرض وان كان عليه لفافة وهو على الطهارة يغسل القدمين دون استيناف

الوضوء على الاصح والماسح في السفر اذا اقام يمسح للمقيم وهكذا المقيم اذا سافر
يمسح للمقيم والابد اذا لبس جوربا ونعل يجوز المسح عليه ويجوز على المشرج اذا ستر
محل الفرض ولا يجوز على المنسوج وجهه الذي يستر بعض القدم به والباقي باللفافة
فاما القصر والجمع فيجمع بين الظهر والعصر في وقت احداهما ويتيمم لكل واحدة ولا
يفصل بينهما بكلام وغيره وهكذا الجمع بين المغرب والعشاء ولا قصر في المغرب والصبح
كهيئتها من غير قصر وجمع والسنن الرواتب يصليها يجمع بين السنتين قبل الفريضتين
للظهر والعصر وبعد الفراغ من الفريضتين يصلي ما يصلي بعد الفريضة من الظهر
ركعتين او اربعا وبعد الفراغ من المغرب والعشاء يؤدي السنن الرواتب لهما ويوتر
بعدها ولا يجوز اداء الفرض على الدابة بحال الا عند التحام القتال للغازي ويجوز ذلك
في السنن الرواتب والنوافل وكيفيه للصلاة على ظهر الدابة في الركوع والسجود الايماء
ويكون ايماء الركوع الا ان يكون قادرا على التمكن مثل ان يكون في كجاوة وغير ذلك
السجود اخفض من ايماء صح
ويقوم توجهه الى الطريق مقام استقبال القبلة فيصلي كيف توجه في الطريق واما
ان يكون لا مستقبل القبلة ولا متوجها الى الطريق فلا حتى لو حرف دابته عن الصوب
المتوجه اليه لا الى نحو القبلة بطلت صلاته والماشي يتنفل في السفر ويقنعه استقبال
القبلة عند الاحرام لا عزيمة في الاحرام الا الاستقبال ويقنعه الايماء للركوع والسجود
وراكب الدابة لا يحتاج الى استقبال القبلة للاحرام ايضا • واذا اصبح المسافر مقيما
ثم سافر فعليه اتمام ذلك اليوم في الصوم وهكذا ان اصبح مسافرا ثم اقام والصوم
في السفر افضل من الفطر وفي الصلاة القصر افضل من الاتمام هذا القدر كاف
للصوفي ان يعلم من حكم الشرع في مهام سفره واما المندوب والمستحب فينبغي
ان يطلب لنفسه رفيقا في الطريق يعينه على امر الدين فقد قيل الرفيق ثم الطريق ونهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيت الرجل وحده الا ان يكون صوفيا عالما
بآفة نفسه يختار الوحدة على بصيرة من امره فلا بأس بالوحدة • واذا كانوا جماعة
ينبغي ان يكون فيهم مقدم امير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة
في سفر فأمروا احدكم والذي يسمونه الصوفية بيشرو وهو الامير ينبغي ان يكون الامير
ازهد الجماعة في الدنيا واوفرهم حظا من التقوى واتمهم مروة وسخاوة واكثرهم شفقة

روى

روى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الاصحاب عند الله
خيرهم لصاحبه ونقل عن عبد الله المروزي ان ابا علي الرباطي صحبه فقال على ان اكون
انا الامير او انت قال بل انت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولابي علي على ظهره وامطرت
السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على راس رفيقه يغطيه بكساء عن المطر
وكلما قال لا تفعل يقول الست الامير وعليك الانقياد والطاعة فاما ان يكون الامير
يستصحب الفقراء لمحبة الاستتباع وطلب الرياسة والتعزز ليتسلط على الخدام
في الرباط ويبلغ نفسه هواها فهذا طريق ارباب الهوى الجهال المباينين لطريق
الصوفية وهو سبيل من يريد جمع الدنيا فيتخذ لنفسه رفقاء مائلين الى الدنيا يجمعون
لتحصيل اغراض النفس والدخول على ابناء الدنيا والظلمة للتوصل الى مآرب النفس ولا يخلو
اجتماعهم هذا عن الخوض في الغيبة والدخول في المداخل المكروهة والتنقل في الربط
والاستمتاع والنزهة وكلما كثر معلومهم في الرباط اطالوا المقام وان تعذرت اسباب
الدنيا وليس هذا طريق الصوفية • ومن المستحب ان يودع اخوانه اذا اراد السفر ويغتنم
لهم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم صحبت عبد الله بن عمر من مكة
الى المدينة فلما اردت مفارقته شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال لقمان ان الله اذا استودع شيئا حفظه واني استودع الله دينك وامانتك
وخواتيم عملك • وروى زيد بن ارقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
اراد احدكم سفرا فليودع اخوانه فان الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة • وروى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا انه كان اذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى
وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث ما توجهت وينبغي ان يعتقد اخوانه انه اذا دعا لهم ودعوا له
الله سبحانه ان الله يستجيب دعاءهم • فقد روي ان عمر رضي الله عنه كان يعطي الناس
عطاياهم اذ جاء رجل معه ابن له فقال له عمر ما رايت احدا اشبه باحد من هذا بك
فقال الرجل احدثك عنه يا امير المؤمنين اني اردت ان اخرج الى سفر وامه حامل به
فقالت تخرج وتدعني على هذه الحالة فقلت استودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت
واذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه النار فقالوا
هذا من قبر فلانة نراه كل ليلة فقلت والله انها كانت صوامة قوامة فاخذت المعول

حتى انتهينا الى القبر فحفرنا فاذا اسراج واذا هذا الغلام يدب فقيل ان هذه ودىعة
ولو كنت استودعتنا امه لوجدتنا فقال عمر رضى الله عنه لهو اشبه بك من الغراب
بالغراب • وينبغى ان يودع كل منزل يرحل عنه بركعتين ويقول اللهم زودنى التقوى
واغفر لى ذنوبى ووجهنى للخير اينما توجهت • وروى انس بن مالك رضى الله عنه
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينزل منزلا الا ودعه بركعتين فينبغى
ان يودع كل منزل ورباط يرحل عنه بركعتين • واذا ركب الدابة فليقل سبحان الذى
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين بسم الله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا
قوة الا بالله العلى العظيم اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور •
والسنة ان يرحل من المنازل بكرة ويبتدئ بيوم الخميس • روى كعب بن مالك قال
قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى سفر الا يوم الخميس وكان اذا
اراد ان يبعث سرية بعثها اول النهار • ويستحب كلما اشرف على منزل ان يقول اللهم
رب السموات وما اظللن ورب الارضين وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب
الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسئلك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ
بك من شر هذا المنزل وشر اهله واذا نزل فليصل ركعتين ومما ينبغى للمسافر ان يصحبه
آلة الطهارة • قيل كان ابراهيم الخواص رحمه الله لا تفارقه اربعة اشياء فى الحضر
والسفر الركوة والحبل والابرة وخيوطها والمقراض • وروت عايشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سافر حمل معه خمسة اشياء المراة والمكحلة والمدرى
والسواك والمشط وفى رواية المقراض • والصوفية لا تفارقهم العصا وهو ايضا
من السنة • روى معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اتخذ منبرا فقد اتخذه ابراهيم وان اتخذ العصا فقد اتخذها موسى • وروى عن
عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال التوكؤ على العصا من اخلاق الانبياء كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عصا يتوكأ عليها ويامر بالتوكؤ على العصا واتخاذ
الركوة ايضا من السنة • روى جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال بينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتوضأ من ركوة اذ جهش الناس نحوه اى اسرعوا نحوه والاصل فيه
البكاء كالصبى يلتزم بالام ويسرع اليها عند البكاء قال فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ما لكم قالوا يا رسول الله ما نجد ماء نشرب ولا نتوضأ الا من بين يديك
فوضع يده الكريمة فى الركوة فنظرت وهو يفور من بين اصابعه مثل العيون قالت
فتوضأ القوم منه قلت كم كنتم قال لو كان مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة فى
غزوة الحديبية ومن سنة الصوفية شد الوسط وهو من السنة روى ابو سعيد
رضى الله عنه قال حج رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مشاة من المدينة الى
مكة وقال اربطوا على اوساطكم بازركم ومشينا خلط الهرولة • ومن ظاهر آداب
الصوفية عند خروجهم من الربط ان يصلى ركعتين فى اول النهار يوم السفر بكرة
كما ذكرنا يودع البقعة بالركعتين ويقدم الخف وينفضه ويشمر الكم اليمنى ثم
اليسرى ثم ياخذ الميزر الذى يشد به وسطه وياخذ خريطة المداس وينفضها ويأتى
الموضع الذى يريد ان يلبس الخف فيه فيفرش السجادة طاقين ويحك نعل احد المداسين
بالآخر وياخذ المداس باليسار والخريطة باليمين ويضع المداس فى الخريطة اعقابهما الى
اسفل ويشد راس الخريطة ويدخل المداس بيده اليسرى من كمه اليسرى ويضع خلف
ظهره ثم يقعد على السجادة ويقدم الخف بيساره وينفضه ويبتدئ باليمين فيلبس
ولا يدع شيئا من الرمل او المنطقة يقع على الارض • ثم يغسل يديه ويجعل وجهه الى الموضع
الذى يخرج منه ويودع الحاضرين فان اخذ بعض الاخوان زاويته الى خارج الرباط لا يمنعه
وهكذا العصا والابريق ويودع من يشيعه ثم يشد الزاوية يرفع يده اليمنى ويخرج يده
اليسرى من تحت ابطه الايمن ويشد الزاوية على الجانب الايسر ويكون كتفه اليمنى
خاليا وعقده الزاوية من جانب اليمنى واذا وصل فى طريقه الى موضع شريف واستقبله
جمع من الاخوان او شيخ من الطائفة يحل الزاوية ويحطها ويستقبلهم ويسلم عليهم ثم
اذا جاوزوه يشد الزاوية واذا قرب من المنزل رباطا كان او غيره يحل الزاوية
ويحملها تحت ابطه الايسر وهكذا العصا والابريق يمسك بيساره وهذه الرسوم
استحسنها فقراء خراسان والجبل ولا يعتمدها اكثر فقراء العراق والشام والمغرب
ويجرى بين الفقراء مشاحنة فى رعايتها فمن لا يرعاها فهذها يقول هذه رسوم لا نلتزم والتزم
بها وقوف مع الصور وغفلة عن الحقائق • ومن يرعاها فهذها يقول هذه اداب وضعها
المتقدمون وادارها من يخل بها او بشى منها ينظرون اليه نظر الازدراء والحقارة ويقال

هذا اللبس بصوفي وكلا الطايفتين في الانكار يتعدون الواجب والصحيح من ذلك ان
من يتعاهدها لا ينكر عليه فليس بمنكر في الشرع وهو ادب حسن ومن لم يلتزم
بذلك فلا ينكر عليه فليس بواجب في الشرع ولا مندوب اليه وكثيرا ما بالغ فقرا
خراسان والجبل في رعاية هذه الرسوم الى حد يخرج عن الافراط وكثيرا ما اخل بها فقرا
العراق والشام والمغاربة الى حد يخرج الى التفريط والاليق ان ما لا ينكره الشرع
لا ينكر ويجعل لتقاريب الاخوان اعذار ما لم ير فيه منكرا او اخلالا بمندوب اليه
والله الموفق

الباب الثامن عشر في القدوم

من السفر ودخول الرباط ينبغي للفقير اذا رجع من السفر ان يستعيذ بالله تعالى
من آفات المقام كما يستعيذ به من وعثاء السفر ومن الدعا الماثور اللهم اني اعوذ بك
من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والولد واذا اشرف
على بلدة يريد المقام بها يشير بالسلام على من بها من الاحيا والاموات ويقرا من
القران ما تيسر ويجعله هدية للاحيا والاموات ويكبر فقد روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اقفل من غزو او حج يكبر على كل شرف من الارض ثلاث
مرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي
قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده ويقول اذا راى البلد اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا
حسنا ولو اغتسل كان حسنا اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
اغتسل لدخول مكة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب
الاحزاب ونزل المدينة نزع لامته واغتسل واستحم ٥ والا فليجدد الوضوء ويتنظف
ويستعد للقاء الاخوان بذلك وينوي التبرك بمن هنالك من الاحيا والاموات ويزورهم
روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج رجل يزور اخا
له في الله فارصد الله بمدرجته ملكا وقال اين تريد قال ازور فلانا قال لقرابة قال لا
قال لنعمة له عندك تشكرها قال لا قال فلم تزوره قال اني احبه في الله قال فاني
رسول الله اليك بانه يحبك بحبك اياه ٥ وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا عاد الرجل اخاه او زاره في الله قال الله له

طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا ٥ وروى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الاخرة فيحصل
للفقير فايدة الاحيا والاموات بذلك فاذا دخل البلد يبتدي بمسجد من المساجد
يصلي فيه ركعتين وان قصد الجامع كان اكمل وافضل فقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا قدم دخل المسجد اولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت والرباط
للفقير بمنزلة البيت ثم يقصد الرباط فقصد الرباط من السنة على ما روينا عن طلحة
رضي الله عنه قال كان الرجل اذا قدم المدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه
وان لم يكن له بها عريف نزل الصفة ٥ فاذا دخل الرباط يمضي الى الموضع الذي ينزع
نزع الخف فيخرج الخريطة بيساره من كمه اليسار ويحل راس الخريطة باليمين ويخرج
المداس باليسار ثم يضع المداس على الارض ويحل وسطه وهو قايم وياخذ المداس بيده
ويلفها في وسط الخريطة ثم يخرج خفه اليسار ثم اليمنى فان كان على الوضوء
يغسل قدميه بعد نزع الخف من تراب الطريق والعرق واذا قدم على السجادة
يطوي السجادة من جانب اليسار ويمسح قدميه مما انطوى ثم يستقبل القبلة ويصلي
ركعتين ثم يسلم ويحفظ القدم ان يطا به موضع السجود من السجادة وهذه الرسوم
الظاهرة التي استحسنها بعض الصوفية لا ينكر على من يتقيد بذلك لانه من استحسان
الشيوخ وتنبيههم في ذلك تقييد المريد في كل شي بهيئة مخصوصة ليكون ابدا
معتقدا لحركاته غير قادم على حركة بغير قصد وعزيمة وادب ومن اخل من الفقرا
بشي من ذلك لا ينكر عليه ما لم يخل بواجب او مندوب لان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما تقيدوا بكثير من رسوم المتصوفة وكون الشبان
يطالبون الوارد عليهم بهذه الرسوم من غير نظرهم الى النية في الاشيا غلط
ولعل الفقير يدخل الرباط غير مشمر الاكمام وقد كان في السفر لم يشمر الاكمام فنيته
ان لا يتعاطى ذلك لنظر الخلق حيث لم يخل بمندوب اليه شرعا وكون الاخر يشمر
الاكمام بقياس ذلك على شد الوسط وشد الوسط من السنة كما ذكرنا من شد
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوساطهم في سفرهم بين المدينة ومكة
وتشمير الاكمام في معناه من الخفة والارتفاق به في المشي ممن كان مشدود الوسط

مشمرا ان يدخل الرباط لذلك ومن لم يكن في السفر مشد الوسط او كان راكبا
لم يشد وسطه فمن الصدق ان يدخل كذلك ولا يتعمد شد الوسط وتشمير الاكمام
لنظر الخلق فانه تكلف ونظر الى الخلق ومبنى التصوف على الصدق واسقاط نظر
الخلق ومما ينكر على المتصوفة انهم اذا دخلوا الرباط لا يبتدئون بالسلام ويقول
المنكر هذا خلاف المندوب اليه ولا ينبغي للمنكر ان يبادر الى الانكار دون ان يعلم
مقاصدهم فيما اعتمدوه وتركهم السلام يحتمل وجوها احدها ان السلام اسم
من اسماء الله تعالى وقد روى عبد الله بن عمر قال مر رجل على النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه حتى كاد الرجل ان يتوارى فضرب
بيده على الحائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة اخرى فمسح بها ذراعيه ثم
رد على الرجل السلام وقال انه لم يمنعني ان ارد عليك السلام الا اني لم اكن على
طهر وروى عنه انه لم يرد عليه حتى توضا ثم اعتذر اليه وقال اني كرهت
ان اذكر الله الا على طهر وقد يكون جمع من الفقراء مصطحبين في السفر وقد
يتفق لاحدهم حدث فلو سلم المتوضئ وامسك المحدث ظهر حاله فيترك
السلام حتى يتوضا من يتوضا ويغتسل قدمه من يغتسل سترا للحال على من احدث
حتى يكون سلامهم على الطهارة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
يكون بعض المقيمين ايضا على غير طهارة فيستعد لجواب السلم بالطهارة
لان السلام اسم من اسماء الله تعالى وهذا من احسن ما ذكر من الوجوه في ذلك
ومنها انه اذا قدم يعانقه الاخوان وقد يكون معه من اثار السفر والطريق
ما يكره فيستعد بالوضوء والنظافة ثم يسلم ويعانقهم ومنها ان
جمع الرباط ارباب مراقبة واحوال فلو هجم عليهم بالسلام فقد يتزعج منهم
مراقب ويتشوش محافظ والسلم يتقدمه استيناس به دخوله واشتغاله
بغسل القدم والوضوء والصلاة ركعتين فيتاهب الجمع له كما يتاهب لهم بتقدمة
الاستيناس • وقد قال الله تعالى حتى تستانسوا وتسلموا والاستيناس كل
قوم على ما يليق بحالهم • ومنها انه لم يدخل على غيبته ولا هو بغريب منهم بل هم اخوانه
والالفة بالنسبة المعنوية الجامعة لهم في طريق واحد والمنزل منزله والموضع

موضعه

موضعه فيرى البركة في استفتاح المنزل بمعاملة الله قبل معاملة الخلق وكما يمهد
عذرهم في ترك السلام ينبغي لهم ان لا ينكروا على من يدخل ويبتدي بالسلام فان من
ترك السلام له نية فالذي سلم ايضا له نية وللقوم اداب ورد بها الشرع ومنها
اداب استحسنها شيوخهم فما ورد به الشرع ما ذكرنا من شد الوسط والعصا
والركوة والابتدا باليمين في لبس الخف وفي نزعه باليسار • روي ابو هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا انتعلتم فابدوا باليمين واذا خلعتم فابدوا باليسار واخلعهما
جميعا وانعلهما جميعا • وروى جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخلع اليسرى
قبل اليمنى ويلبس اليمنى قبل اليسرى • وبسط السجادة وردت به السنة وقد ذكرناه
واما كون احدهم لا يجلس على سجادة الاخر الا باذنه فمشروع ومسنون وقد ورد في
حديث طويل لا يوم الرجل الرجل في سلطانه ولا في اهله ولا يجلس على تكرمته الا باذنه
واذا سلم على الاخوان يعانقهم ويعانقونه فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال
لما قدم جعفر من ارض الحبشة عانقه النبي عليه الصلاة والسلم وان قبلهم فلا باس
بذلك • روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر قبل بين عينيه وقال
ما انا بفتح خيبر اسر مني بقدوم جعفر • ويصافح اخوانه فقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبلة المسلم اخاه المصافحة • وروى انس بن ملك قال قيل يا رسول
الله الرجل يلقى صاحبه او اخاه اينحني له قال لا قيل يلتزمه ويقبله قال لا قال فيصافحه
قال نعم • ويستحب للفقراء المقيمين في الربط ان يتلقوا الفقير بالترحيب • روي
عكرمة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جئته مرحبا
بالراكب المهاجر مرتين • وان قاموا اليه فلا باس وهو مسنون • روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قام لجعفر يوم قدومه • ويستحب للخادم ان يقدم
له الطعام • روى لقيط بن صبرة قال وفدنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم نصادفه في منزله وصادفنا عايشة رضوان الله عليها فامرت لنا بالخزيرة
فصنعت لنا واتتنا بقناع فيه تمر والقناع الطبق فاكلنا ثم جا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اصبتم شيا فقلنا نعم يا رسول الله • ويستحب للقادم
ان يقدم للفقراء شيا لحق القدوم • روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما قدم المدينة نحر جزورًا • وكراهيتهم لقدوم القادم بعد العصر وجههُ
منع النبي صلى الله عليه وسلم عن طروق الليل • والصوفية بعد العصر ليتفرغوا ان
لاستقبال الليل بالطهارة والانكباب على الاذكار والاستغفار • روى جابر بن
عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم احدكم من سفر فلا
يطرقنّ اهله ليلا وروى كعب بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان لا يقدم من سفر الا نهارا في الضحى فيستحبون القدوم في اول النهار
فان فات من اول النهار فقد يتفق تعويق من ضعف بعضهم في المشي او غير ذلك
فيعذر الفقير بقية النهار الى العصر لاحتمال التعويق فاذا صار العصر نسب الى
تقصيره في الاهتمام بالسنة وقدوم اول النهار فلذلك يكرهون القدوم بعد
العصر والله اعلم فاذا صار العصر يؤخر القدوم الى الغد ليكون عاملا بالسنة
للقدوم ضحوة وايضا فيه معنى اخر ان الصلاة بعد العصر مكروهة ومن الادب
ان يصلي القادم ركعتين فلذلك يكرهون القدوم بعد صلاة العصر وقد يكون من الفقراء
القادمين من يكون قليل الدربة بدخول الرباط وتناله دهشة فمن السنة
التقرب اليه والتودد وطلاقة الوجه حتى ينبسط وتذهب عنه الدهشة ففي
ذلك فضل كبير • روى ابو رفاعة قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يخطب فقلت يا رسول الله رجل غريب جاء يسئل عن دينه لا يدري ما دينه قال
فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم علي وترك خطبته ثم اتي بكرسي قوائمه من حديد
فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثم جعل يعلمني مما علمه الله ثم اتى
خطبته واتم اخرها فاحسن اخلاق الفقراء الرفق بالمسلمين واحتمال المكروه من
المسموع والمرئي • وقد يدخل فقير بعض الربط ويخل بشيء من مراسم المتصوفة ينهر
ويخرج وهذا خطأ كبير فقد يكون خلق من الصالحين والاولياء لا يعرفون هذا الترسم
الظاهر ويقصدون الرباط بنية صالحة فاذا استقبلوا بالمكروه يخشى ان تتشوش
بواطنهم من الاذى ويدخل على المنكر عليهم ضرر في دينه ودنياه فليحذر ذلك ولينظر
الى اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وما كان يعتمده مع الخلق من المداراة والرفق
وقد صح ان اعرابيا دخل المسجد وبال فامر النبي عليه الصلاة والسلام حتى اتي بذنوب

من ماء وصبّ على ذلك الموضع ولم ينهر الاعرابي بل رفق به وعرفه الواجب بالرفق واللين
من المغالطة والغلظ والتسلط على المسلمين بالقول والفعل من النفوس الخبيثة وهو
ضد حال المتصوفة ومن دخل الرباط ممن لا يصلح لمقامهم راسا يصرف من الموضع على
لطف وجه بعد ان يقدم له طعام ويحسن له كلام فهذا الذي يليق بسكان الربط وما
يعتمده الفقراء من تغيير القادم بخلق حسن ومعاملة صالحة وردت بها السنة
روى عمر رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلام له
حبشي يغمز ظهره فقلت يا رسول الله ما شانك فقال ان الناقة اقحمت بي وقد يحسن
الرضا ممن يغمز بذلك في وقت تعبه وقدومه من السفر فاما من يتخذ ذلك عادة ويحب
التغميز ويستجلب به النوم ويتناسى كيته حتى لا يفوته فلا يليق بحال الفقراء وان كان
مباحا في الشرع • وكان بعض الفقراء اذا استرسل في التغميز واستلذه واستدعاه
يحتلم ويرى ذلك الاحتلام عقوبة استرساله في التغميز ولارباب العزائم امور لا
يسعهم فيها الركون الى الرخص • ومن اداب الفقير اذا استقر وقعد بعد قدومه
ان لا يبتدئ بالحمام ودخول السوق ويستحب ان يمكث ثلاثة ايام لا يقصد زيارة ومشهدا
وغير ذلك مما هو مقصوده من المدينة حتى يذهب عنه وعثاء السفر ويعود باطنه
الى هيئته فقد يكون بالسفر وعوارضه تغير باطنه ٧ ويستعد للقاء المشايخ والزيارات
بتنوير الباطن فان باطنه اذا كان منورا يستوفي حظه من الخير من كل شيخ واخ
يزوره وقد كنت اسمع شيخنا رضي الله عنه يوصي الاصحاب ويقول لا تكلموا اهل هذا
الطريق الا في اصفى اوقاتكم وهذا فيه فائدة كبيرة فان نور الكلام على قدر نور
القلب ونور السمع على قدر نور القلب واذا دخل على شيخ او اخ وزاره ينبغي ان
يستاذنه اذا اراد الانصراف • فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زار احدكم اخاه فجلس عنده فلا يقومن حتى
يستاذنه وان نوى ان يقيم اياما وفي وقته سعة وتنفسه الى البطالة وترك العمل
شوق يطلب خدمة يقوم بها وان كان دائم العمل لربه فيكفي بالعبادة شغلا لان
الخدمة لاهل العبادة تقوم مقام العبادة ولا يخرج من الرباط الا باذن المتقدم فيه
ولا يفعل شيئا دون ان ياخذ رايه فيه فهذه جمل اعمال يعتمدها الصوفية وارباب الربط

٧ [illegible]

والله بفضله يزيدهم توفيقا وتاييدا

الباب التاسع عشر

في حال الصوفي المتسبب • اختلفت احوال الصوفية في الوقوف مع الاسباب
والاعراض عن الاسباب فمنهم من كان على الفتوح لا يركن الى معلوم ولا يتسبب بكسب
ولا سوال • ومنهم من كان يكتسب • ومنهم من كان يسال في وقت فاقته ولهم في
ذلك كله ادب وحد يراعونه ولا يتعدونه واذا كان الفقير يسوس نفسه بالعلم
ياتيه الفهم من الله في الذي يدخل فيه من سبب او ترك سبب لا ينبغي للفقير ان
يسال مهما امكن فقد حث النبي عليه الصلاة والسلام على ترك السوال بالترغيب
والترهيب فاما الترغيب فما روى ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يضمن لي واحدة اتقبل له الجنة قال ثوبان فقلت انا يا رسول الله قال لا تسال
الناس شيئا فكان ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يامر احدا يناوله وينزل هو فياخذه
وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم حبلا
فيحتطب على ظهره فياكل ويتصدق خير له من ان ياتي رجلا فيساله اعطاه او منعه
فان اليد العليا خير من اليد السفلى • اخبرنا الشيخ الصالح ابو زرعة طاهر
بن ابي الفضل الحافظ المقدسي قال اخبرني والدي قال انا ابو محمد الصريفيني ببغداد
قال انا ابو القسم عبيد الله بن محمد قال ثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال انا
علي بن الجعد قال انا شعبة عن ابي حمزة قال سمعت هلال بن حصين قال اتيت المدينة
فنزلت دار ابي سعيد فضمني واياه المجلس فحدث انه اصبح ذات يوم وليس عندهم
طعام فاصبح وقد عصب على بطنه حجرا من الجوع فقالت لي امراتي ائت رسول الله
فقد اتاه فلان فاعطاه واتاه فلان فاعطاه فاتيته وقلت التمس شيئا فذهبت
اطلب فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب ويقول من يستعفف
يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن سالنا شيئا فوجدناه اعطيناه وواسيناه
ومن استعف عنه واستغنى فهو احب الينا ممن سالنا قال فرجعت وما سالته
فرزقني الله عز وجل حتى ما اعلم اهل بيت في الانصار اكثر اموالا منا • واما حديث الترهيب
والتحذير فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال المسئلة باحدكم

غير متطلع الى الاغيار ناظرا الى فعل الله تعالى منتظرا لامر الله فتسا والثه الاقسام ونتج
عليه باب الانعام ويكون دوام ملاحظته لفعل الله وترصده ما يحدث من امر الله مكاشفا
له تجليات من الله الكريم بطريق الافعال • والتجلي بطريق الافعال رتبة في القرب
ومنه يرقى الى التجلي بطريق الصفات ومن ذلك يرتقي الى تجلي الذات والاشارة في هذه
التجليات الى رتب في اليقين ومقامات في التوحيد شي فوق شي وشي اصفى من شي
فالتجلي بطريق الافعال يحدث صفو الرضا والتسليم • والتجلي بطريق الصفات
يحسب الهيبة والانس • والتجلي بالذات يحسب الفناء والبقاء • وقد يسمى ترك
الاختيار • والوقوف مع فعل الله تعالى فناء يعنون به فناء الارادة والهوى والارادة
الطف اقسام الهوى • وهذا الفناء هو الفناء الظاهر • فاما الفناء الباطن فهو
محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود يكون في تجلي الذات وهو احد اقسام اليقين
في الدنيا فاما تجلي حكم الذات فلا يكون الا في الآخرة وهو المقام الذي حظي به رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ومنع عنه موسى عليه السلام بلن تراني •
فليعلم ان قولنا في التجلي اشارة الى رتب الحظ من اليقين ورؤية البصيرة فاذا وصل
العبد الى مراتب اقسام والتجلي وهو مطالعة الفعل الالهي مجردا عن فعل سوى الله يكون تناوله
الاقسام من الفتوح روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من وجه اليه
شي من هذا الرزق من غير مسئلة ولا اشراف فلياخذه فليوسع به في رزقه وان
كان عنده غنى فليدفعه الى من هو احوج منه وفي هذا دلالة ظاهرة على ان العبد
يجوز ان ياخذ زيادة على حاجته بنية صرفه الى غيره وكيف لا ياخذه وهو يرى
فعل الله تعالى ثم اذا اخذ فمنهم من يخرجه الى المحتاج ومنهم من يقف في الاخراج ايضا
حتى يرد عليه من الله علم خاص ليكون اخذه بالحق واخراجه بالحق • اخبرنا الشيخ
ابو زرعة طاهر قال انا والدي الحافظ ابو الفضل المقدسي قال انا ابو اسحاق
ابراهيم بن سعيد الحبال قال انا محمد بن عبد الرحمن بن سعيد قال انا ابو طاهر احمد بن
محمد بن عمرو قال انا يونس بن عبد الاعلى قال ثنا ابن وهب قال انا عمرو بن الحارث عن
ابن شهاب عن السايب بن يزيد عن حويطب بن عبد العزى عن عبد الله بن السعدي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني

العطاء فاقول له اعطه يا رسول الله من هو افقر اليه مني فقال رسول الله
الله عليه وسلم خذه فتموله او تصدق به وما جاءك من هذا المال وانت غير مشرف
ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك قال سالم فمن اجل ذلك كان ابن عمر لا يسال
احدا شيا ولا يرد شيا اعطيه • درج رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه
باوامره الى رؤية فعل الله تعالى والخروج من تدبير النفس الى حسن تدبير الله تعالى
سئل سهل بن عبد الله التستري عن علم الحال قال هو ترك التدبير ولو كان زهد هذا
في واحد لكان من اوتاد الارض • وروى زيد بن خالد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من جاءه من اخيه معروف من غير مسالة ولا اشراف نفس فليقبله
فانما هو رزق ساقه الله تعالى اليه • وهذا العبد الواقف مع الله في قبول ما
ساق الحق امن ما يخشى على من يرد لان من يرد لا يامن دخول النفس عليه ان يرى من ح
بعين الزهد ففي اخذه اسقاط نظر الخلق تحققا بالصدق والاخلاص وفي اخراجه
الى الغير اثبات حقيقة الزهد عليه فلا يزال في كلا الحالين زاهدا يراه الغير
بعين الرغبة لقلة العلم بحاله وفي هذا المقام يتحقق الزهد في الزهد • ومن اهل
الفتوح من يعلم دخول الفتوح عليه ومنهم من لا يعلم دخول الفتوح عليه
فمنهم من لا يتناول من الفتوح الا اذا تقدمه علم بتعريف من الله تعالى اياه ومنهم
من ياخذ غير متطلع الى تقدم العلم حيث تجرد له الفعل ومن لا ينتظر تقدمة العلم
فوق من ينتظر تقدمة العلم لتمام صحبته مع الله وانسلاخه من ارادته وعلمه حاله
في ترك الاختيار • ومنهم من يدخل الفتوح عليه لا بتقدمة العلم ولا برؤية
تجرد الفعل من الله سبحانه ولكن يرزق شربا من المحبة بطريق رؤية النعمة وقد
يتكدر شربه هذا بتغير معهود النعمة وهذا حال ضعيف بالاضافة الى الحالين الاولين
لانه علة في المحبة ولجة في الصدق عند الصديقين وقد ينتظر صاحب الفتوح العلم
في الاخراج ايضا كما انتظر في الاخذ لان النفس تظهر في الاخراج كما تظهر في الاخذ وام
من هذا من يكون في اخراجه مختارا وفي اخذه مختارا بعد تحققه بصحة التصرف فان
انتظار العلم انما كان لموضع اتهام النفس بقية هوى موجود فاذا زال الاتهام
بوجود صريح العلم ياخذ غير محتاج الى علم متجدد ويخرج كذلك وهذه حال من

تحقق

تحقق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه فاذا احببته كنت له
سمعا وبصرا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق الحديث • فلما صح تعرفه صح تصرفه وهذا
اعز في الاحوال من الكبريت الاحمر • وكان شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي
رحمة الله عليه يحكي عن الشيخ حماد رحمة الله انه كان يقول انا لا اكل الا من طعام
الفضل فكان يرى الشخص في المنام ان يحمل اليه شيا • وقد كان يعبر للرائي في المنام
ان احمل الى حماد كذا وكذا • وقيل انه بقي زمانا يرى هو في واقعته او منامه انك
احمل على فلان كذا وكذا • وحكي عنه انه كان يقول كل جسم تربى بطعام الفضل
لا يتسلط عليه البلى ويعني بطعام الفضل ما تشهد له صحة الحال من فتوح الحق
سبحانه • ومن كانت هذه حالته فهو غني بالله • قال الواسطي الافتقار الى
الله تعالى اعلا درجة المريدين • والاستغناء بالله اعلا درجة الصادقين •
وقال ابو سعيد الخراز العارف فني تدبيره في تدبير الحق فلو وافق مع الفتوح وا
مع الله ناظرا الى الله واحسن ما حكي في هذا ان بعضهم راى النوري يمد يده ويسال
الناس قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لي
لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسال الناس الا ليعطيهم سالهم ليثيبهم في الاخرة
فيوجرون من حيث لا يضرهم وقول الجنيد ليعطيهم هو قول بعضهم اليد العليا يد الاخذ
لانه يعطي الثواب قال ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم • ثم قبض قبضة
فالقاها على المائة ثم قال احملها اليه • فقلت في نفسي انما يوزن ليعرف مقداره
فكيف خلط المجهول بالموزون وهو رجل حكيم واستحييت ان اساله فذهبت بالصرة
الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك
شيا واخذ ما زاد على المائة قال فزاد تعجبي فسالته عن ذلك فقال الجنيد رجل
حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا للثواب وطرح عليها
قبضة بلا وزن لله تعالى فاخذت ما كان لله ورددت ما جعله لنفسه قال
فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ماله ورد ما لنا • ومن لطايف ما سمعت من
اصحاب شيخنا انه قال ذات يوم لاصحابه ان تحتاجون الى شي من المعلوم فارجعوا
الى خلواتكم واسالوا الله تعالى وما يفتح الله تعالى عليكم ايتوني به ففعلوا ثم جاءوا

من بينهم شخص يعرف باسمعيل البطايحي ومعه كاغد عليه ثلاثون دايرة وقال هذا
الذي فتح الله لي في واقعتي فاخذ الشيخ الكاغد فلم يكن الا ساعة فاذا بشخص دخل
ومعه ذهب فقدمه بين يدي الشيخ ففتح القرطاس فاذا هو ثلاثون صحيحا فترك
كل صحيح على دايرة وقال هذا فتوح الشيخ اسمعيل او كلاما هذا معناه • وسمعت
ان الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه بعث الى شخص وقال لفلان عندك طعام
وذهب ايتني من ذلك كذا ذهبا وكذا طعاما فقال الرجل كيف اتصرف في وديعة
عندي ولو استفتيتك ما افتيتني في التصرف فالزمه الشيخ بذلك فاحسن
الظن بالشيخ وجاء اليه بالذي طلب فلما وقع التصرف منه جاءه مكتوب من صاحب
الوديعة وهو غايب في بعض نواحي العراق ان احمل الى الشيخ عبد القادر القدر
وهو القدر الذي عينه الشيخ عبد القادر فعاتبه الشيخ بعد ذلك على توقفه
وقال ظننت بالفقراء ان اشاراتهم تكون على غير صحة وعلم فالعبد اذا صح مع الله
وامتنع هواه متطلبا رضى الله تعالى رفع الله عن باطنه هموم الدنيا وجعل الغنى في
قلبه ويفتح عليه ابواب الرفق وكل الهموم المتسلطة على بعض الفقراء لكون قلوبهم
ما استحكمت الشغل بالله والاهتمام برعاية حقايق العبودية فعلى قدر ما خلت من
هم الله تعالى ابتليت بهم الدنيا • ولو امتلات من هم الله ما عذبت بهموم الدنيا
ووفقت وارتفقت روي ان عون بن عبد الله المسعودي كان له ثلاثمايه وستون
صديقا وكان يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له ثلاثون صديقا فكان عند كل
واحد يوما وآخر كان له سبعة اخوان فكان كل يوم من الاسبوع عند واحد
فكان اخوانهم معلومهم والمعلوم اذا اقامه الحق للناظر الى الله تعالى الكامل
توحيده يكون نعمة هنية • جاء رجل الى الشيخ ابي السعود رحمة الله عليه
وكان من ارباب الاحوال السنية والواقفين في الاشيا مع فعل الله سبحانه
متمكنا في حاله تاركا لاختياره لعله سبق كثيرا من المتقدمين في تحقيق ترك
الاختيار ورايناه منه وشاهدنا احوالا صحيحة عن قوة وتمكين فقال له الرجل
اريد ان اعين شيا كل يوم من الخبز احمله اليك ولكني قلت الصوفية يقولون المعلوم
شوم قال الشيخ نحن ما نقول المعلوم شوم فان الحق يصفي لنا فعله نرى فعلا

يقيم لنا نراه مباركا ولا نراه شوما • اخبرنا ابو زرعة اجازة قال انبانا ابو بكر
احمد بن خلف الشيرازي قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت ابا بكر بن شاذان
قال سمعت ابا بكر الكتاني قال كنت انا وعمر المكي وعياش المهدي نصطحب ثلاثين
سنة نصلي الغداة على طهر العصر وكنا قعودا بمكة على التجريد ما لنا على الارض ما
يساوي فلسا وربما كان يصيبنا الجوع يوما ويومين وثلاثة واربعة وخمسة ولا
نسال احدا شيا فان ظهر لنا شي عرفنا وجهه من غير سوال ولا تعريض قبلناه
واكلناه والا طوينا فاذا اشتد بنا الامر وخفنا على انفسنا النقصان في الفرايض
قصدنا ابا سعيد الخراز فيتخذ لنا الوانا من الطعام ولا نقصد غيره ولا ننبسط
الا اليه لما نعرف من تقواه وورعه • وقيل لابي يزيد ما نراك تشتغل بكسب
فمن اين معاشك فقال مولاي يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق ابا يزيد قال
السلمي سمعت ابا عبد الله الرازي يقول سمعت مظفرا القرميسيني يقول
الفقير الذي لا يكون له الى الله حاجة • وقيل لبعضهم ما الفقر قال وقوف
الحاجة على القلب • ومحوها من كل احد سوى الرب • قال بعضهم اخذ
الفقير الصدقة ممن يعطيه لا ممن يصل اليه على يده ومن قبل من الوسايط فهو
المترسم بالفقر مع دناءة همته • انبانا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي
قال انا عصام الدين ابو حفص عمر بن احمد بن منصور الصفار قال انا ابو بكر احمد بن خلف
الشيرازي قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت احمد بن علي بن جعفر يقول
سمعت ابا سليمان الداراني كان يقول آخر اقدام الزاهدين اول اقدام المتوكلين
روي ان بعض العارفين زهد فبلغ من زهده ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال
لا اسال احدا شيا حتى ياتيني رزقي فاخذ يسيح فاقام في سفح جبل سبعا لم ياته
شي حتى كاد ان يتلف فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني
اليك فالهمه الله سبحانه وتعالى في قلبه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل
الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة واقام بين ظهراني الناس فجاءه هذا بطعام
وهذا بشراب فاكل وشرب واوجس في نفسه من ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمتي
بزهدك في الدنيا اما علمت انه ان ارزق العباد بايدي العباد احب اليه من ان ارزقه

بأيدي القدرة فالواقف مع الفتوح استوى عنده يد الآدميين وأيدي الملائكة
واستوى عنده القدرة والحكمة وطلب القفار والتوصل إلى قطع الأسباب
للإيقان برؤية الأسباب، وإذا صح التوحيد تلاشت الأسباب في عين الأسباب
أخبرنا شيخنا قال أنا أبو حفص عمر قال أنا أحمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال
أنا محمد بن أحمد بن حمدان العكبري بها قال سمعت أحمد بن محمود بن البشري يقول سمعت
محمد الإسكاف يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول من استفتح باب المعاش
بغير مفتاح الأقدار وكل إلى المخلوقين، قال بعض المنقطعين كنت ذا صنعة
جليلة فأريد مني تركها فجال في صدري من أين المعاش فهتف بي هاتف لا أراه تقطع
إليّ وتتهمني في رزقك علي أن أخدمك وليا من أوليائي أو أسخر لك منافقا من أعدائي، فلما
صح حال الصوفي وانقطعت أطماعه وسكنت عن كل تشرف وتطلع نفسه خدمته
الدنيا وصلحت له الدنيا خادمة وما رضيها مخدومة فصاحب الفتوح يرى حركة
النفس بالتشرف جناية وذنبا، روي أن أحمد بن حنبل رضي الله عنه خرج ذات
يوم إلى شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم يكن في ذلك الموضع من يحمله فوافى
أيوب الحمال فحمله ودفع إليه أحمد أجرته فلما دخل الدار بعد إذنه له اتفق أن أهل
الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير لينشف فرآه
أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحمد لابنه صالح ادفع إلى أيوب من الخبز فدفع إليه
رغيفين فردهما قال أحمد ضعهما ثم صبر قليلا ثم قال خذهما فالحقه بهما فلحقه
فأخذهما فرجع صالح متعجبا فقال له أحمد يا بني عجبت من رده وأخذه قال نعم قال
هذا رجل صالح فرأى الخبز فاستشرفت نفسه إليه فلما أعطيناه مع الاستشراف
رده ثم أيس ودنا إليه بعد الإياس فقبل، فهذا حال أرباب الصدق إن
سألوا سألوا بعلم وإن أمسكوا عن السؤال أمسكوا بحال وإن قبلوا قبلوا بعلم فمن
لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والكسب بشرط العلم فأما السائل
فوق الحاجة ولا في وقت الضرورة فليس من الصوفية بشيء، سمع عمر رضي الله
عنه سائلا يسأل فقال لمن عنده ألم أقل لك عش السائل فقال قد عشيته
فنظر عمر فإذا تحت إبطه مخلاة مملوءة خبزا فقال لست بسائل ولكنك تاجر

ثم نثر مخلاته بين يدي إبل الصدقة وضربه بالدرة، وروي عن علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه قال إن لله في خلقه مثوبات فقر وعقوبات فقر فمن علامة الفقر
إذا كان مثوبة للفقير أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله
تعالى على فقره، ومن علامة الفقر إذا كان عقوبة للفقير أن يسوء خلقه ويعصي
ربه ويكثر الشكاية ويتسخط للقضاء فحال الصوفية حسن الأدب في السؤال والفتوح
والصدق مع الله على كل حال كيف تقلب

الباب الحادي والعشرون

في شرح حال المتجرد والمتأهل من الصوفية وصحة مقاصدهم، الصوفي يتزوج
لله كما يتجرد لله فللتجرد مقصد وأوان وللتأهل مقصد وأوان، والصادق يعلم
أوان التجرد والتأهل لأن الطبع الجموح للصوفي ملجم بلجام العلم فمهما يصلح له
التجرد لا يستعجله الطبع إلى التزوج ولا يقدم على التزوج إلا إذا انصلحت النفس
واستحقت إدخال الرفق عليها وذلك إذا صارت منقادة مطواعة مجيبة
إلى ما يراد منها بمثابة الطفل الذي يتعاهد بما يروقه ويمنع عما يضره فإذا
صارت النفس محكوما عليها مطواعة فقد فاءت إلى أمر الله وتنصلت عن مشاحنة
القلب فيصلح بينهما بالعدل وينظر في أمرهما بالقسط ومن صبر من الصوفية على
العزوبة هذا الصبر إلى بلوغ الكتاب أجله ينتخب له الزوجة انتخابا ويهيئ الله
له أعوانا وأسبابا، ويبعثه برفق يدخل عليه ورزق يسوقه إليه ومتى استعجل
المريد واستفزه الطبع وخامره الجهل بثوران دخان الشهوة المغطية لشعاع
العلم والخطم من أوج العزيمة الذي هو قضية حاله وموجب إرادته وشريطة
صدقه وطلبه إلى حضيض الرخصة التي هي رحمة من الله تعالى لعامة خلقه تحكم
عليه بالنقصان ويشهد له بالخسران ومثل هذا الاستعجال هو حيض الرجال
قال سهل بن عبد الله التستري إذا كان للمريد حال يتوقع بها زيادة فدخل عليه
الابتلاء ورجوعه للابتلاء إلى حال دون ذلك نقصان وحدث، وسمعت بعض
الفقراء وقد قيل له لم لا تتزوج فقال المرأة لا تصلح إلا للرجال وأنا ما بلغت
مبلغ الرجال كيف أتزوج، فالصادقون لهم أوان للولوج عنده يتزوجون، والله

تعارضت الاخبار وتماثلت الاثار في فضيلة التجريد والتزوج وتنوع كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك لتنوع الاحوال فمنهم من فضيلته
في التجرد • ومنهم من فضيلته في التأهل • وكل هذا التعارض في خوض
نار تكون له برداً وسلاماً لحال تقواه • وتمرده هواه والا فمن غير هذا الرجل
الذي يخاف عليه الفتنة يجب النكاح في حال التوقان المفرط وتكون الخلاف
بين الايمة في غير هذا التايق • فالصوفي اذا صار متأهلاً يتعين على الاخوان
معاونته بالايثار • ومسامحته في الاستكثار اذا روى ضعيف الحال
قاصراً عن رتبة الرجال كما وصفنا من قبل من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب اجله
اخبرنا ابو زرعة عن والده ابي الفضل المقدسي الحافظ قال انا ابو محمد عبد
الله بن محمد الخطيب قال انا ابو الحسين محمد بن عبد الله بن اخي ميمي قال ثنا
ابو القسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال ثنا محمد بن هرون قال ثنا
ابو المغيرة قال ثنا صفوان بن عمرو قال ثنا عبد الرحمن بن جبير عن ابيه عن
عوف بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه في
قسمه من يومه فاعطى الآهل حظين والاعزب حظاً واحداً فدعينا وكنت
ادعى قبل عمار بن ياسر فاعطاني حظين واعطاه حظاً واحداً فسخط حتى عرف
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ومن حضره فبقيت معه
سلسلة من ذهب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعها بطرف عصا
وتسقط وهو يقول كيف انتم يوم يكثر لكم من هذا فلم يجبه احد فقال عمار
وددنا يا رسول الله لو قد اكثر لنا من هذا • فالتجرد عن الازواج والاولاد
اعون على الوقت للفقير واجمع لهمه والذ لعيشه • ويصلح للفقير في ابتدا امره
قطع العلايق ومحو العوايق • والتنقل في الاسفار وركوب الاخطار والتجرد
عن الاسباب والخروج عن كل ما يكون حجاباً والتزوج انحطاط من العزيمة
الى الرخص ورجوع من الترويح الى التنغص وتقيد بالاولاد والازواج ودوران
حول مظان الاعوجاج والتفات الى الدنيا بعد الزهادة وانعطاف على
الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة • قال ابو سليمان الداراني ثلاث من طلبهن

فقد

فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشاً او تزوج امرأة او كتب الحديث وقال
ما رأينا احداً من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته • اخبرنا الشيخ طاهر
قال انا والدي ابو الفضل قال انا محمد بن اسمعيل المقرئ قال انا احمد بن الحسين
قال انا حاجب الطوسي قال ثنا عبد الرحيم قال ثنا الفزاري عن سليمان
التيمي عن ابي عثمان النهدي عن اسامة بن زيد رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء
وروى رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال ابتلينا بالضرا فصبرنا
وابتلينا بالسرا فلم نصبر وان اخوف ما اخاف عليكم فتنة النسا اذا تسورن
بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن واتعبن الغني وكلفن الفقير ما لا يجد
وقال بعض الحكما معالجة العزوبة خير من معالجة النساء • وسيل سهل
بن عبد الله رضي الله عنه عن النساء فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر
عليهن خير من الصبر على النار • وقيل في تفسير قوله تعالى وخلق الانسان
ضعيفاً لانه لا يصبر عن النسا • وقيل في قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به الغلمة • فان قدر الفقير على مقاومة النفس ورزق العلم الوافر وحسن
المعاملة في معالجة النفس وصبر عنهن فقد حاز الفضل واستعمل العقل واهتدى
الى الرفق السهل • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المايتين
رجل خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ قال الذي لا اهل له ولا
ولد • وقال بعض الفقرا لما قيل له تزوج فقال انا الى ان اطلق نفسي احوج
مني الى التزوج • وقيل لبشر بن الحارث ان الناس يتكلمون فيك قال ما يقو
لون قيل يقولون انه تارك للسنة يعني النكاح فقال قولوا لهم انا مشغول بالفرض
عن السنة • وكان يقول لو كنت اعول دجاجة خفت ان اكون جلاداً على
الجسر • والصوفي مبتلى بالنفس ومطالبتها وهو في شغل شاغل من نفسه فاذا
انضاف الى مطالبات نفسه مطالبات زوجته يضعف طلبه وتحل ارادته
وتفتر عزايمه والنفس اذا اطمعت طمعت واذا اقنعت قنعت فيستعين الشاب
الطالب على حسم مواد خواطر النكاح بادامة الصوم فان للصوم اثراً ظاهراً

(هامش: واستغنين الفقراء — اي الظهر — لون)

في قمع النفس وقهرها • وقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجماعة
من الشبان وهم يرفعون حجرا فقال يا معشر الشبان من استطاع منكم الباءة
فليتزوج ومن لم يستطع فليجاهد ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء
واصل الوجاء رض الخصيتين كانت العرب تجاء الفحل من الغنم ليذهب فحولته
ويسمن • ومنه الحديث ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين موجوئين
وقد قيل هي النفس ان لم تشغلها شغلتك فاذا دام الشاب المريد العمل واذاب
نفسه في العبادة تقل عليه خواطر النفس وايضا شغله بالعبادة يثمر له حلاوة
المعاملة ومحبة الاكثار منها ويفتح عليه باب السهولة والعيش في العمل فيغار على
حاله ووقته ان يكدر بهم الزوجة • ومن حسن ادب المريد في غربته ان لا
يمكن خواطر النساء من باطنه • وكلما خطر له خاطر النساء والشهوة يفر الى الله
تعالى بحسن الانابة فيتداركه الله تعالى حينئذ بقوة العزيمة ويؤيده بمراغمة النفس
بل ينعكس على نفسه نور قلبه ثوابا لحسن انابته فتسكن النفس عن المطالبة ثم
يعرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح من الدخول في المداخل المذمومة المودية
الى الذل والهوان واخذ الشيء من غير وجهه وما يتوقع من القواطع بسبب التفات
الخاطر الى ضبط المراة وحراستها وكلف لا تحصى • وقد سئل عبد الله بن عمر
عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال • وقد قيل كثرة العيال احد
الفقرين • وقلة العيال احد اليسارين • وكان ابراهيم بن ادهم رحمة الله عليه
يقول من تعود افخاذ النساء لا يفلح ولا شك ان المراة تدعوا الى الرفاهة والدعة
وتمنع عن كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار ويتسلط على الباطن
خوف الفقر ومحبة الادخار • وكل هذا بعيد عن المتجرد • وقد ورد اذا كان
بعد المائتين ابيحت العزبة لامتي • فان توالت على الفقير خواطر النكاح وزاحمت
باطنه سيما في الصلوات والاذكار والتلاوة فليستعن بالله تعالى اولا ثم بالمشايخ
والاخوان ويشرح الحال لهم ويسالهم مسالة الله له في حسن الاختيار ويطوف
على الاحياء والاموات والمساجد والمشاهد ويستعظم الامر ولا يدخل فيه بقلة
الاكتراث فانه باب فتنة كبيرة وخطر عظيم • وقد قال الله تعالى ان من ازواجكم

واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ويكثر الضراعة الى الله والبكاء بين
يديه في الخلوات ويكرر الاستخارة وان رزق القوة والصبر حتى يستبين من
فضل الله الخيرة في ذلك فهو التمام والكمال فقد يكشف الله للصادق وذلك منعا
او اطلاقا في منامه ويقظته او على لسان من يتولى دينه وحاله انه اذا اشار لا
يشير الا على بصيرة واذا حكم لا يحكم الا بحق فعند ذلك يكون تزوجه مدبرا معانا
فيه • وسمعنا ان الشيخ عبد القادر قال له بعض الصالحين لم تزوجت فقال
ما تزوجت حتى قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج فقال له ذلك
الرجل الرسول لا يامر الا بالرخصة • وطريق القوم التلزم بالعزيمة فلا اعلم ما
قال الشيخ في جوابه ولكني اقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بالرخصة
وامر بها على لسان الشرع • فاما من التجا الى الله وافتقر اليه واستخاره فيكاشفه
الله تعالى بتنبيهه اياه في منامه وامره • لا يكون هذا الامر امر رخصة بل هو
امر يتبعه ارباب العزائم لانه من علم الحال لا من علم الحكم ويدل على صحة ما وقع
لي ما نقل عنه انه قال كنت اريد الزوجة مدة من الزمان ولا اتجرا على التزوج
خوفا من تكدير الوقت فلما ان صبرت الى ان بلغ الكتاب اجله ساق الله تعالى الي
اربع ازواج ما فيهن الا من تنفق علي ارادة ورغبة فهذه ثمرة الصبر الجميل الحال
فاذا صبر الفقير وطلب الفرج من الله سبحانه ياتيه الفرج والمخرج ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب • فاذا تزوج الفقير بعد الاستقصا
والاكثار من الضراعة والدعا وورد عليه وارد من الله باذن فهو الغاية والنهاية
وان عجز عن الصبر الى ورود الاذن واستنفد جهده في الدعا والضراعة فقد يكون
ذلك حظه من الله تعالى ويعان عليه لحسن نيته وصدق مقصده وحسن رجايه
واعتماده على ربه • وقد نقل عن عبد الله بن عباس قال لا يتم نسك الشاب حتى
يتزوج • ونقل عن شيخ من مشايخ خراسان انه كان يكثر التزوج حتى لم يكن يخلوا
عن زوجتين وثلاث فعوتب في ذلك فقال هل يعرف احد منكم انه جلس بين يدي الله
تعالى جلسة او وقف وقفة في معاملته فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا قد يقع
ذلك فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد ما تزوجت قط ولكني

ما خطر على قلبي خاطر قط يشغلني عن حالي الا نفذته لاستريح منه وارجع الى
شغلي ثم قال منذ اربعين سنة ما خطر على قلبي خاطر معصية فالصادقون ما
دخلوا في النكاح الا على بصيرة وقصد واحسم مواد النفس وقد يكون للاقوياء
والعلما الراسخين احوال في دخولهم في النكاح تختص بهم وذلك انهم بعد طول
المجاهدات والمراقبات والرياضات تطمين نفوسهم وتقبل قلوبهم وللقلوب
اقبال وادبار • يقول بعضهم ان للقلوب اقبالا وادبارا فاذا ادبرت روحت
بالارفاق • واذا اقبلت ردت الى الميثاق فتبقى قلوبهم دائمة الاقبال الا اليسير
ولا يدوم اقبالها الا لطمانينة النفوس وكفها عن المنازعة وترك التشبث بالقلوب
فاذا اطمانت النفوس واستقرت عن طيشها ونفورها وشراستها توفر عليها حقوقها
وربما يصير من حقوقها حظوظها لان في اداء الحق اقناعا وفي اخذ الحظ اتساعا وهذا
من دقيق علم الصوفية فانهم يتسعون بالنكاح المباح ايصالا الى النفس حظوظها
لانها ما زالت تخالف هواها حتى صار داؤها دواها وصارت الشهوات المباحة
واللذات المشروعة لا تضرها ولا تغير عليها عزايمها بل كلما وصلت النفوس الزكية
الى حظوظها ازداد القلب انشراحا وانفساحا ويصير بين القلب والنفس
موافقة يعطف احدهما على الاخر من الحظ كلما اخذ القلب حظه من الله خلع على
النفس خلع الطمانينة فيكون مزيد السكينة للقلب مزيدا الطمانينة للنفس
وينشد • ان السما اذا اشتد لبست الثرى حللا يدبجها الغمام الراهم •
وكلما اخذت النفس حظها تروح القلب تروح الجار المشفق براحة الجار سمعت
بعض الفقرا يقول النفس تقول للقلب كن معي في الطعام اكن معك في الصلاة
وهذا من الاحوال العزيزة لا يصلح الا لعالم رباني وكم من مدع يهلك بتوهمه
هذا في نفسه ومثل هذا العبد يزداد بالنكاح ولا ينقص والعبد اذا كمل علمه ياخذ
من الاشيا ولا تاخذ الاشيا منه • وقد كان الجنيد رضي الله عنه يقول
انا احتاج الى الزوجة كما احتاج الى الطعام • وسمع بعض العلما بعض الناس
يطعن في الصوفية فقال يا هذا ما الذي ينقصهم عندك فقال ياكلون كثيرا
فقال وانت ايضا لو جعت كما يجوعون اكلت كما ياكلون قال ويتزوجون كثيرا

قال

قال وانت ايضا لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون قال واي
شي ايضا قال يسمعون القول قال وانت ايضا لو نظرت كما ينظرون سمعت كما
يسمعون • وكان سفيان بن عيينة يقول كثرة النسا ليس من الدنيا لان عليا
رضوان الله عليه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له
اربع نسوة وسبع عشرة سرية • وكان ابن عباس يقول خير هذه الامة اكثرها
نسا • وقد ذكر في اخبار الانبيا ان عابدا تبتل للعبادة حتى فاق على اهل زمانه
فذكر لنبي ذلك الزمان فقال نعم الرجل لولا انه تارك لشي من السنة فنمى ذلك
الى العابد فاهمه فقال ما ينفعني عبادتي وانا تارك السنة فجا الى النبي فساله فقال
نعم انك تارك التزويج فقال ما تركته اني احرمه وما منعني منه الا اني فقير لا شي
لي وانا عيال على الناس يطعمني هذا مرة وهذا مرة فكرهت ان اتزوج بامراة اعضلها
وارهقها جهدا فقال له النبي وما يمنعك الا هذا قال نعم قال انا ازوجك ابنتي
فزوجه النبي ابنته • وكان عبد الله بن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا
عشرة ايام احببت ان اتزوج ولا القى الله تعالى عزبا • وما ذكر الله تعالى في
القران من الانبيا الا متاهلين • وقيل ان يحيى بن زكريا تزوج لاجل السنة ولم
يقربها • وقيل ان عيسى سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له • وقيل ان ركعة من
متاهل خير من سبعين ركعة من عزب • اخبرنا الشيخ طاهر بن ابي الفضل قال انا
ابو منصور محمد بن الحسين بن احمد بن الهيثم المقومي القزويني قال انا ابو طلحة القسم
ابن ابي المنذر الخطيب قال ثنا ابو الحسن علي بن ابراهيم بن سلمة القطان قال ثنا ابو
عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة قال ثنا احمد بن الازهر قال ثنا ادم قال حدثنا عيسى
بن ميمون عن القسم عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني • وتزوجوا فاني مكاثر بكم الامم • ومن
كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصيام فان الصوم وجاء له • ومما
ينبغي للمتاهل ان يحذر الافراط من المخالطة والمعاشرة مع الزوجة الى حد ينقطع
عن اوراده وسياسة اوقاته فان الافراط في ذلك يقوي النفس وجنودها
ويفتر ناهض الهمة • وللمتاهل بسبب الزوجة فتنتان فتنة لعموم حاله وفتنة

لخصوص حاله ففتنة عموم حاله الافراط في الاهتمام باسباب المعيشة
كان الحسن يقول والله ما اصبح اليوم رجل يطيع امراته فيما تهوى الا
اكبه الله على وجهه في النار • وفي الخبر ياتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل
على يد زوجته وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويحملونه ما لا يطيق فيدخل
في المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك • وروي ان قوما دخلوا على يونس
النبي عليه السلام فاضافهم وكان يدخل ويخرج من منزله فتوذيه امراته
وتستطيل عليه وهو ساكت فعجبوا من ذلك وهابوه ان يسالوه فقال لا تعجبوا
من هذا فاني سالت الله تعالى فقلت يا رب ما كنت معاقبي في الاخرة فعجل لي في الدنيا
فقال لي ان عقوبتك بنت فلان تتزوج بها فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون
فاذا فرط الفقير في المداراة ربما تعدى حد الاعتدال في وجوه المعيشة متطلبا
رضى الزوجة فهذه فتنة عموم حاله • وفتنة خصوص حاله الافراط في المجالسة
والمخالطة فتنطلق النفس من قيد الاعتدال وتسترق العرض بطول الاسترسال
فيستولي على القلب بسبب ذلك السهو والغفلة ويستجلس مقار المهلة
فيقل الوارد لقلة الاوراد • ويتكدر الحال لاهمال شروط الاعمال والطف
من هاتين الفتنتين فتنة اخرى تختص باهل القرب والحضور وذلك ان للنفوس
امتزاجا وبرابطة الامتزاج تعتضد وتشتد وتستنزل طبيعتها الجامدة وتلتهب
نارها الخامدة فد واهذه الفتنة ان يكون للمتاهل عند المجالسة عينان باطنتان
ينظر بهما الى مولاه وعينان ظاهرتان يستعملهما في طريق هواه وقد قالت
رابعة العدوية معنى هذا نظما •• اني جعلتك في الفؤاد محدثي واخت جسمي من اراد جلوسي
فالجسم مني للفؤاد • موانس وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي •• والطف من هذه
الفتنة فتنة اخرى يخشاها المتاهل وهو ان يصير للروح استرواح الى
لطف الجمال ويكون ذلك الاسترواح موقوفا على الروح ويصير ذلك ولهجة
في حب الروح المخصوص بالتعلق بالحضرة الالهية فيتبلد الروح ويتسد
باب المزيد من الفتوح • وهذه البلادة في الروح يعز الشعور بها فليحذر
ومن هذا القبيل دخلت الفتنة على طايفة قالوا بالشاهد • واذا كان

في

في باب الحلال ولحجة في الحب تتولد منها بلادة الروح في القيام بوظايف حب
الحضرة الالهية فما ظنك بمن يدعي ذلك في باب غير مشروع ثم يغتره سكون
النفس فيظن انه لو كان من قبيل الهوى ما سكنت النفس والنفس لا تسكن في
ذلك دايما بل تستلب من الروح ذلك الوصف وتاخذه اليها على اني استبحثت
عما يبتلى به المفتونون بالشاهد فوجدت ان الحمى من ذلك من صورة العشق وعند
رغوة شراب الشهوة فلو ذهب الشراب ما بقيت الرغوة فليحذر ذلك جدا ولا
يسمع ممن يدعي فيه حالا وصحة فانه كذاب مدع ولهذا المعنى قال الاطبا الجماع
يسكن هيجان العشق وان كان من غير المعشوق ليعلم ان مستنده الشهوة وكذب
من يدعي فيه حالا وهذه فتن المتاهل وفتنة العزب مرور النسا بخاطره
وتصورهن بخواطر الشهوة واذا فسخ الخاطر بمحوه بحسن الانابة واللياذ
بالهرب منه ومتى سامر الفكر كثف الخاطر وخرج من القلب الى الصدر
وعند ذلك يحدث احساس العضو بالخاطر فيصير ذلك عملا خفيا وما اقبح
مثل هذا بالصادق المتطلع الى الحضور واليقظه فيكون ذلك فاحشة الحال
وقد قيل مرور الفاحشه بقلب العارف كفعل الفاعلين لها

الباب الثاني والعشرون في القول في السماع قبولا وايثارا

قال الله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
اوليك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب قيل احسنه اي اهداه
وارشده • قال الله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم
تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق • هذا السماع هو السماع الحق الذي لا
يختلف فيه اثنان من اهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية واللب وهذا
سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن
حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يثير ندما والندم حار فاذا اثار
السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملو ببرد اليقين ابكى وادمع لان الحرارة
والبرودة اذا اصطدما عصرا ماء فاذا الم السماع بالقلب تارة يخف الالم
فيظهر اثره في الجسد ويقشعر منه الجلد • قال الله تعالى تقشعر منه جلود

الذين يخشون ربهم • وتارة بعظم وقعه ويتصوب اثره الى فوق نحو الدماغ
كالمخبر للعقل بعظم وقع المتجدد الحادث فتندفق منه العين بالدمع وتارة
تتصوب اثره الى الروح فيموج منه الروح موجا يكاد يضيق عنه نطاق القالب
فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها احوال تجدها اربابها من
اصحاب الاحوال وقد تحكيها بدلايل هوى النفس ارباب المحال • روي ان
عمر كان ربما مر بالاية في ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت يوما
او يومين حتى يعاد ويحسب مريضا فالسماع يستجلب الرحمة من الله الكريم
روى زيد بن اسلم قال قرا ابي بن كعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتنموا الدعا عند الرقة فانها رحمة فرقوا
وروت ام كلثوم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد
العبد من خشية الله تحاتت عنه الذنوب كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها
وورد ايضا اذا اقشعر الجلد من خشية الله حرمه الله تعالى على النار • وهذه
جملة لا تنكر ولا اختلاف فيها انما الاختلاف في سماع الاشعار بالالحان وقد
كثرت الاقوال في ذلك وتباينت الاحوال لمن منكر يلحقه بالفسق ومن مولع
به يشهد بانه واضح الحق • ويتجاذبان طرفي الافراط والتفريط • قيل
لابي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو
النون يسمعون فقال كيف انكر السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير مني
وقد كان جعفر الطيار يسمع وانما المنكر اللهو واللعب في السماع وهذا قول
صحيح • اخبرنا الشيخ طاهر بن ابي الفضل عن ابيه الحافظ المقدسي قال انا
ابو القسم الحسين بن محمد بن الحسن الحواني قال ثنا ابو محمد عبد الله بن يوسف
قال ثنا ابو بكر بن ثابت قال ثنا عمران بن الخطاب قال ثنا الاوزاعي عن الزهري
عن عروة عن عايشة رضي الله عنها ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان
تغنيان وتضربان بدفين ورسول الله متسجي بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد • وقالت
عايشة رضي الله عنها رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردايه

وانا

وانا انظر الى الحبشة يلعبون في المسجد حتى اكون انا اسام وقد ذكر الشيخ
ابو طالب المكي رحمة الله عليه ما يدل على تجويزه ونقل عن كثير من السلف
صحابي وتابعي وغيرهم وقول الشيخ ابي طالب المكي يعتبر لوفور علمه وكمال
حاله وعلمه باحوال السلف ومكان ورعه وتقواه وتحريه الاصوب والاولى
وقال في السماع حلال وحرام وشبهة فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة
وهوى فهو حرام ومن سمعه بمعقوله على صفة مباح من جارية او زوجة
كان شبهة لدخول اللهو فيه ومن سمعه بقلب مشاهد معاني تدله على الدليل
وتشهده طرقات الجليل فهو مباح هذا قول الشيخ ابي طالب المكي وهو الصحيح
فاذا لا يطلق القول بمنعه وتحريمه والانكار على من يسمع كفعل القراء المتزهدين
المبالغين في الانكار ولا يفسح فيه على الاطلاق كفعل بعض المستهترين المهملين
شروطه وادابه المقيمين على الاصرار ويفصل الامر فيه تفصيلا وتوضح الماهية
فيه تحريما وتحليلا • فاما الدف والشبابة وان كان في مذهب الشافعي فيهما
فسحة فالاولى تركهما والاخذ بالاحوط والخروج من الخلاف • واما غير ذلك
فان كان من القصايد في ذكر الجنة والنار والتشويق الى دار القرار ووصف نعيم
الملك الجبار وذكر العبادات والترغيب في الخيرات فلا سبيل الى الانكار ومن
ذلك القبيل قصايد الغزاة والحجاج في وصف الحج والغزو مما يثير كامن العزم
من الغازي وساكن الشوق من الحاج واما ما كان فيه ذكر القد والخد
ووصف النسا فلا يليق باهل الديانات الاجتماع لمثل ذلك • واما ما كان من ذكر
الهجر والوصل والقطيعة والصد مما يقرب حمله على امور الحق سبحانه من تلون
احوال المريدين ودخول الافات على الطالبين فمن سمع ذلك وحدث عنده ندم
على ما فات او تجدد عنده عزم لما هو ات فكيف ينكر سماعه وقد قيل ان بعض
الواجدين كان يتقوت السماع ويتقوى به على الطي والوصال ويثير عنده من
الشوق ما يذهب عنه لهب الجوع فاذا استمع العبد الى بيت من الشعر وقلبه
حاظر فيه وسمع الحادي يقول متمثلا • فاما من هوى ليلى وحبي زيارتها فاني لا اتوب
فطاب قلبه لما يجده من قوة عزمه على الثبات في امر الحق الى الممات يكون في سماعه

هذا اذا كان لله تعالى • قال بعض اصحابنا كنا نعرف مواجيد اصحابنا في ثلاثة
اشياء عند المسايل وعند الغضب وعند السماع • وقال الجنيد تنزل الرحمة
على هذه الطايفة في ثلاثة مواضع عند الاكل لانهم لا ياكلون الا عن فاقة وعند
المذاكرة لانهم يتجارون في مقامات الصديقين واحوال المقربين وعند
السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا • وسيل رويم عن وجد الصوفية
عند السماع فقال يتنبهون للمعاني التي تعزب عن غيرهم فتشير اليهم الي الي
فيتنعمون بذلك من الفرح ويقع الحجاب للوقت فيعود ذلك الفرح بكاء فمنهم
من يخرق ثيابه ومنهم من يبكي ومنهم من يصيح • اخبرنا ابو زرعة اجازة عن
ابن خلف اجازة عن السلمي قال سمعت ابا سهل محمد بن سليمان يقول المستمع
بين استتار وتجل فالاستتار يورث التلهب والتجلي يورث المزيد فالاستتار
تتولد منه حركة المريدين وهو محل الضعف والعجز والتجلي يتولد منه السكون
للواصلين وهو محل الاستقامة والتمكين • وكذلك محل الحضرة ليس فيه الا
الذبول تحت موارد الهيبة قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي سمعت جدي
يقول المستمع ينبغي ان يسمع بقلب حي ونفس ميتة ومن كان قلبه ميتا ونفسه
حية لا يحل له السماع وقيل في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء الصوت الحسن
وقال عليه الصلاة والسلام لله اشد اذنا بالرجل الحسن الصوت بالقرآن من
صاحب قينة الى قينته • نقل عن الجنيد قال رايت ابليس في النوم فقلت له
هل تظفر من اصحابنا بشيء او تنال منهم شيئا فقال انه يعسر علي شانهم
ويعظم علي ان اصيب منهم شيئا الا في وقتين قلت اي وقت قال وقت السماع
وعند النظر فاني استرق منهم فيه وادخل عليهم به قال فحكيت رؤياي
لبعض المشايخ فقال لو رايته قلت له يا احمق من سمع منه اذا سمع ونظر اليه
اذا نظر اترى انت عليه اذا او تظفر منه بشيء فقلت صدقت • وروت
عايشة رضوان الله عليها قالت كان عندي جارية تسمعني فدخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهي على حالها ثم دخل عمر ففرت فضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله فحدثه حديث

الجارية

الجارية فقال لا ابرح حتى اسمع ما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسمعته وذكر الشيخ ابو طالب المكي قال
كان لعطا جاريتان تلحنان وكان اخوانه يسمعون اليهما • وقال ادركنا ابا
مروان القاضي له جوار يسمعن التلحين اعدهن للصوفية وهذا القول نقلته
من قول الشيخ ابي طالب وعندي اجتناب ذلك هو الصواب وهذا لا يسلم الا
بشرط طهارة القلب وغض البصر والوفا بشرط قوله تعالى يعلم خاينة الاعين
وما تخفي الصدور • وفي الحديث في مدح داود انه كان حسن الصوت بالنياحة
على نفسه وبتلاوة الزبور حتى كان يجتمع الجن والانس والطير لسماع صوته وكان
يحمل من مجلسه الاف من جنازة • وقال عليه الصلاة والسلام في مدح ابي موسى
الاشعري لقد اعطي مزمارا من مزامير آل داود • وروي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ان من الشعر لحكمة • ودخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده قوم يقرؤون القرآن وقوم ينشدون الشعر فقال يا رسول الله قرآن
وشعر فقال من هذا مرة ومن هذا مرة • وانشد نابغة عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابياته التي فيها • ولا خير في حلم اذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
• ولا خير في امر اذا لم يكن له حكيم اذا ما اورد الامر اصدرا • • • ٦٢ يغضض
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم احسنت يا ابا ليلى لا يفضض الله فاك فعاش اكثر
من ماية سنة وكان احسن الناس ثغرا • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يضع لحسان منبرا في المسجد فيقوم على المنبر قايما يهجو الذين كانوا يهجون رسول
الله صلى الله عليه وسلم • ويقول النبي عليه الصلاة والسلام ان روح القدس
مع حسان ما دام ينافح عن رسول الله • وراى بعض الصالحين ابا العباس الخضر
قال قلت ما تقول في السماع الذي يختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفا الزلال
لا تثبت عليه الا اقدام العلما ونقل عن ممشاذ الدينوري قال رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا
فقال ما انكره ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة القرآن ويختمون بعده بالقرآن فقلت
يا رسول الله انهم يوذونني ويبسطون علي فقال احتملهم يا ابا علي هم اصحابك فكان

ممشاد يفتخر ويقول كأني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما وجه الإنكار
فيه فهو أن نرى جماعة من المريدين دخلوا في مبادي الإرادة ونفوسهم ما تمرنت
على صدق المجاهدة حتى تحدث عندهم علم بظهور صفات النفس وأحوال
القلب حتى تنضبط حركاتهم بقانون العلم ويعلمون ما لهم وعليهم حكي أن ذا
النون لما دخل بغداد دخل عليه جماعة ومعهم قوال فاستأذنوه فأنشد القوال
صغير هواك عذبني فكيف به إذا احتنكا ۔ وأنت جمعت في قلبي هوى قد كان مشتركا
أما ترثي لمكتئب إذا ضحك الخلي بكى ۔ فطاب قلبه وقام وتواجد وسقط على جبهته
والدم يقطر من جبهته ولا يقع على الأرض فقام واحد منهم فنظر إليه ذو النون
فقال الذي يراك حين تقوم فجلس الرجل فكان جلوسه لموضع صدقه وعلمه أنه
غير كامل الحال الصالح للقيام متواجدا فيقوم أحدهم من غير بصيرة وعلم
في قيامه وذلك إذا سمع إيقاعا موزونا بسمع يؤدي ما يسمعه إلى طبع موزون
فيتحرك بالطبع الموزون للصوت الموزون والإيقاع الموزون وينسبل حجاب
نفسه المنبسط بانبساط الطبع الموزون على وجه القلب ويستفزه النشاط
المنبعث من الطبع فيقوم يرقص موزونا ممزوجا بتصنع محرم عند أهل الحق ويحسب
ذلك طيبة القلب وما رأى وجه القلب وطيبته بالله تعالى ولعمري هو طيبة
القلب ولكن قلب ملون بلون النفس مباك إلى الهوى موافق للردى لا يهتدي
إلى حسن النية في الحركات ولا يعرف شروط صحة الإرادات ولمثل هذا الراقص
قيل الرقص نقص لأنه رقص مصدره الطبع غير مقترن بنية صالحة لا سيما إذا
انضاف إلى ذلك شوب حركاته بصريح النفاق بالتودد والتقرب إلى بعض الحاضرين
من غير نية بل بدلالة نشاط النفس من المعانقة وتقبيل اليد والقدم وغير ذلك
من الحركات التي لا يعتمدها من المتصوفة إلا من ليس له من التصوف إلا مجرد
زي وصورة أو يكون القوال أمرد تنجذب النفوس إلى النظر إليه وتستلذ
ذلك وتنضم خواطر السوء أو يكون للنساء إشراف على الجمع وتراسل البواطن
المملوءة من الهوى بسفارة الحركات والرقص وإظهار التواجد فيكون ذلك
عين الفسق المجمع على تحريمه وأهل المواجيد حينئذ أرجى حالا ممن يكون هذا حاله

وحركاته

وحركاته لأنهم يرون فسقهم وهذا لا يراه ويرى عبادة لمن لا يعلم ذلك فترى
أحدا من أهل الدنيا تائب يرضى بهذا ولا ينكره فمن هذا الوجه توجه للمنكر الإنكار
وكان حقيقا بالاعتذار فكم من حركات موجبة للمقت وكم من نهضات تذهب
رونق الوقت فيكون إنكار المنكر على المريد الطالب يمنعه من مثل هذه الحركة
ويحذره مثل هذه المجالسة وهذا إنكار صحيح ۔ وقد يرقص بعض الصادقين
بإيقاع ووزن من غير إظهار وجد وحال ووجه نيته في ذلك أنه ربما يوافق
بعض الفقراء في الحركة فيتحرك بحركة موزونة غير مدع بها حالا ووجدا فيجعل حركته
في طرف الباطل لأنها وإن لم تكن محرمة في حكم الشرع ولكنها غير محللة بحكم الحال
لما فيها من اللهو فتصير حركاته ورقصه من قبيل المباحات التي تجري عليه من الضحك
والمداعبة وملاعبة الأهل والأولاد ويدخل ذلك في باب الترويح للقلب وربما
صار ذلك عبادة بحسن النية إذا نوى به استجمام النفس كما نقل عن أبي الدرداء
أنه قال إني لأستجم نفسي بشيء من الباطل ليكون ذلك عونا لي على الحق ولموضع
الترويح كره الصلاة في أوقات لينشرح عمال الله وتترفق النفوس ببعض ما ربما
من ترك العمل وتستطيب أوطان المهل ۔ والآدمي بتركيبه المختلف وترتيب خلقته
المتنوع تتنوع أصول خلقته وقد سبق شرحه في غير هذا الباب لا تفي قواه بالصبر
على الحق الصرف فيكون التفسح في أمثال ما ذكرناه من المباح الذي ينزع إلى اللهو
مما باطلا في صيغة الشرع لأن حد المباح ما استوى طرفاه واعتدل جانباه ولكنه
باطل بالنسبة إلى الأحوال ورأيت في بعض كلام سهل بن عبد الله يقول في وصفه
الصادق يكون جهله مزيدا لعلمه وباطله مزيدا لحقه ودنياه مزيدا لآخرته
ولهذا المعنى حبب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ليكون ذلك حظ
نفسه الشريفة الموهوب لها حظوظها الموفر عليها حقوقها لموضع طهارتها وقدسها
فيكون ما هو نصيب للباطل الصرف في حق الغير من المباحات المقبولة برخصة الشرع
المردودة بعزيمة الحال في حقه صلوات الله عليه متسم بسمة العبادات وقد
ورد في فضيلة النكاح ما يدل على أنه عبادة ۔ ومن ذلك من طريق القياس اشتماله
على المصالح الدينية والدنيوية على ما أطنب في شرحه الفقهاء في مسألة التخلي

[illegible]

لنوافل العبادات فاذا اخرج هذا الراقص بهذه النية المتبرئ من دعوى الحال
في ذلك من انكار المنكر ويكون رقصه لا عليه ولا له وربما كان بحسن النية في
الترويح يصير عبادة سيما ان اضمر في نفسه وتجابره ونظرا الى شمول رحمته
وعطفه ولكن لا يليق الرقص بالشيوخ ومن يقتدي به لما فيه من مشابهة اللهو
واللهو لا يليق بمنصبهم وينافي حال المتمكن مثل ذلك • واما وجه منع الانكار في السماع
فهو ان المنكر للسماع على الاطلاق من غير تفصيل لا يخلو من احد امور ثلاثة اما جاهل
بالسنن والاثار • واما مغتر بما اتيح له من اعمال الاخيار • واما جامد الطبع
لا ذوق له فيصر على الانكار • وكل واحد من هولاء الثلاثة يقابل بما سوف
نقبل اما الجاهل بالسنن والاثار فنعرف بما اسلفنا من حديث عايشة والاخبار
والاثار الواردة في ذلك وفي حركة بعض المتحركين نعرف رخصة رسول الله صلى
الله عليه وسلم للحبشة في الرقص ونظر عايشة اليهم مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا اذا اسلمت الحركة من المكاره التي ذكرناها وقد روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت مني وانا منك فحجل وقال لجعفر
اشبهت خلقي وخلقي فحجل وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل وكان حجل جعفر في قصة
ابنة حمزة لما اختصم فيها علي وجعفر وزيد • واما المنكر المغرور بما اتيح له من
اعمال الاخيار فيقال له تقربك الى الله تعالى بالعبادة لشغل جوارحك بها ولولا نيتك لا صح
نية قلبك ما كان لعمل جوارحك قدر فانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما
نوى والنية لنظرك الى ربك خوفا او رجاء فالسامع من الشعر بيتا يا خذ منه
معنى يذكره ربه اما فرحا او خوفا او انكسارا او افتقارا كيف تقلب قلبه في انواع
ذلك ذاكر لربه ولو سمع صوت طاير طاب له ذلك الصوت وتفكر في قدرة الله تعالى
وتسويته حنجرة الطاير وتسخيره حلقه ومنشا الصوت وتاديته الى الاسماع كان في
جميع ذلك الفكر مسبحا مقدسا فاذا سمع صوت ادمي وحضره مثل ذلك الفكر
وامتلا باطنه ذكرا وفكرا كيف ينكر ذلك • حكى بعض الصالحين قال كنت معتكفا
في جامع جدة على البحر فرايت يوما طايفة يقولون في جانب منه شيا فانكرت ذلك
بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله تعالى يقولون الشعر فرايت النبي صلى الله عليه وسلم

في

في المنام تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى جنبه ابو بكر واذا ابو بكر يقول
شيا من القول والنبي يستمع اليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت
في نفسي ما كان ينبغي لي ان انكر على اوليك الذين كانوا يسمعون وهذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسمع وابو بكر الى جنبه يقول فالتفت الي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يقول هذا حق بحق او حق من حق • بلى ان كان ذلك الصوت من امرد يخشى
بالنظر اليه الفتنة او من امراة غير محرم وان وجد من الادكار والافكار ما ذكرنا يحرم
سماعه لخوف الفتنة لا لمجرد الصوت ولكن يجعل سماع الصوت حريم الفتنة ولكل حرام
حريم ينسحب عليه حكم المنع لوجه المصلحة كالقبلة للشاب الصايم حيث جعلت حريم
حرام الوقاع وكالخلوة بالاجنبية وغير ذلك فعلى هذا تقتضي المصلحة المنع من السماع
اذا علم حال السامع وما يوديه اليه سماعه فيجعل المنع حريم الحرام هكذا • وقد ينكر
السماع جامد الطبع عديم الذوق فيقال له العنين لا يعلم لذة الوقاع والمكفوف ليس
له من جمال البارع استمتاع وغير المصاب لا يتكلم بالاسترجاع فاذا انكر
من محب تربى باطنه بالشوق والمحبة ويرى انحباس روحه الطيارة في مضيق
قفص النفس الامارة يمر بروحه نسيم انس الاوطان • وتلوح له طوالع جنود
العرفان • وهو بوجود النفس في دار الغربة يجرع كاس الهجران • يبن تحت اعباء
المجاهدة • ولا يحمل عنه بسوانح المشاهدة • وكلما قطع منازل النفس بكثرة الاعمال
لا يقرب من كعبة الوصال • ولا يكشف له المسبل من الحجال • فيستروح بتنفس
الصعداء • ويرتاح بالللايح من شدة البرحاء • ويقول مخاطبا للنفس والشيطان وهما
المانعان •

• اما جلي نعمان بالله خليا • نسيم الصبا يخلص الي نسيمها •
• فان الصبا ريح اذا ما تنسمت • على قلب محزون تجلت همومها •
• اجد بردها او تشف مني حرارة • على كبد لم يبق الا صميمها •
• الا ان اذوا ليلى قديمة • واقتل دا العاشقين قديمها •

ولعل المنكر يقول هل المحبة الا امتثال الامر وهل نعرف غير هذا وهل هناك
الا الخوف من الله • وينكر المحبة الخاصة التي تختص بالعلما الراسخين والابدال
المقربين • ولما تقرر في فهم القاصر ان المحبة تستدعي مثالا وخيالا واتحا

وأشكالا لا ينكر محبة القوم ولا يعلم أن القوم بلغوا في رتب الايمان الى أمر من
المحسوس • وجادوا من فرط الكشف والعيان بالأرواح والنفوس • روى
أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر غلاما كان في بني اسرائيل
على جبل فقال لامه من خلق السماء قالت الله قال من خلق الأرض قالت الله قال
ومن خلق الجبال قالت الله قال ومن خلق الغيم قالت الله فقال إني أسمع لله شأنا
فرمى بنفسه من الجبل فتقطع • فالجمال الازلي الالهي منكشف للارواح غير منكشف للعقل
مفسر للفهم لان العقل موكل بعالم الشهادة لا يهتدي من الله سبحانه وتعالى
الا الى مجرد الوجود ولا يتطرق الى حريم الشهود • المتجلي في طي الغيب المنكشف
للارواح مفسر بلا ريب • وهذه الرتبة من مطالعة الجمال رتبة خاصة واعم
منها من رتب المحبة الخاصة دون العامة جمال الجلال • من الكبريا والجلال
والاستقلال بالمنح والنوال • والصفات المنقسمة الى ما ظهر منها في الآباد ولازمت
الذات في الازال فللكمال جمال لا يدرك بالحواس • ولا يضبط بالقياس • وفي
مطالعة ذلك الجمال طايفة من المحبين خصوا بتجلي الصفات ولهم بحسب ذلك
ذوق وشوق • ووجد وسماع والاولون خصوا قسطا من تجلي الذات فكان وجدهم
على قدر الوجود • وسماعهم على حد الشهود • حكى بعض المشايخ قال رأينا
جماعة ممن يمشي على الماء والهواء يسمعون السماع ويجد ويزعق ويولهون عنه
وقال بعضهم كنا على الساحل فسمع بعض اخواننا فجعل يتقلب على الماء يمر
ويجيء حتى رجع الى مكانه • ونقل ان بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع
ولا يحس بها • ونقل ان بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فأخذ شمعة
فجعلها في عينه قال الناقل فقربت من عينه انظر فرأيت نارا او نورا انخرج من
عينه يرد نار الشمعة • وحكي عن بعضهم انه كان اذا وجد عند السماع ارتفع
من الارض في الهواء ذرعا يمر ويجيء فيه • ويقول الشيخ ابو طالب المكي
في كتابه ان انكرنا السماع مجملا مطلقا غير مقيد مفصل يكون انكارا على سبعين
صديقا وان كنا نعلم ان الانكار اقرب الى قلوب القراء والمتعبدين الا انا لا نفعل
ذلك لانا نعلم ما لا يعلمون • وسمعنا عن السلف من الاصحاب والتابعين ما لا

يسمعون • وهذا قول الشيخ عن علمه الوافر بالسنن والآثار مع اجتهاده وتحريه
الصواب ولكن نبسط لاهل الانكار لسان الاعتذار • ونوضح لهم الفرق بين
سماع موثر • وبين سماع منكر • سمع الشبلي قائلا يقول • • • •
أسائل عن سلمى فهل من مخبر يكون له علم بها اين تنزل • فزعق وقال لا والله ما
في الدارين عنه مخبر • وقيل الوجد سر صفات الباطن كما ان الطاعة سر
صفات الظاهر • وصفات الظاهر الحركة والسكون • وصفات الباطن
الاحوال والاخلاق • وقال ابو نصر السراج أهل السماع على ثلاث طبقات
فقوم يرجعون في سماعهم الى مخاطبات الحق لهم فيما يسمعون • وقوم يرجعون
فيما يسمعون الى مخاطبة احوالهم ومقاماتهم واوقاتهم فهم مرتبطون بالعلم
ومطالبون بالصدق فيما يشيرون اليه من ذلك وقوم هم الفقراء المجردون
الذين قطعوا العلايق ولم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا والجمع والمنع فهم
يسمعون بطيبة قلوبهم ويليق بهم السماع فهم اقرب الناس الى السلامة
واسلمهم من الفتنة • وكل قلب ملوث بحب الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف
وسئل بعضهم عن التكلف في السماع فقال هو على ضربين تكلف في المستمع
لطلب جاه او منفعة دنياوية وذلك تلبيس وخيانة وتكلف فيه لطلب الحقيقة
كمن يطلب الوجد بالتواجد وهو بمنزلة التباكي المندوب اليه • وقول القايل
ان هذه الهيئة من الاجتماع بدعة يقال له انما البدعة المحذورة الممنوع
عنها بدعة تزاحم سنة مأمورة • وما لم يكن هكذا فلا بأس به وهذا كالقيام
للداخل لم يكن وكان من عادة العرب ترك ذلك حتى نقل ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يدخل ولا يقام له • وفي البلاد التي هذا القيام عادتهم
اذا اعتمد ذلك لتطييب القلوب والمداراة لا بأس به لان تركه يوحش القلوب
ويوغر الصدور فيكون ذلك من قبيل العشرة وحسن الصحبة ويكون بدعة
لا بأس بها لانها لا تزاحم سنة مأمورة

الباب الثالث والعشرون

في القول في السماع ردا وانكارا
قد ذكرنا وجه صحة السماع وما يليق منه باهل الصدق وحيث كثرت

الفتنة بطريقه وزالت العصمة فيه وتصدى للحرص عليه اقوام قلت اعمالهم
وانفسدت احوالهم واكثروا الاجتماع للسماع وربما يتخذ للاجتماع طعام
تطلب النفوس الاجتماع لذلك لا رغبة للقلوب في السماع كما كان من سير
الصادقين فيصير السماع معلولا تركن اليه النفوس طلبا للشهوات واستحلاء
لمواطن اللهو والغفلات • وينقطع بذلك على المريد طلب المزيد ويكون بطريقه
تضييع الاوقات • وقلة الحظ من العبادات وتكون الرغبة في الاجتماع طلبا
لتناول الشهوة واستروا حا الى الطرب واللهو والعشرة ولا يخفى ان هذا
الاجتماع مردود عند اهل الصدق فكان يقال لا يصح السماع الا لعارف
مكين • ولا يصلح لمريد مبتدئ • وقال الجنيد اذا رايت المريد يطلب السماع
فاعلم ان فيه بقية البطالة • وقيل ان الجنيد ترك السماع فقيل له كنت تسمع
فقال مع من قيل له تسمع انت لنفسك فقال ممن لانهم كانوا لا يسمعون الا من
اهل مع اهل فلما فقدوا الاخوان ترك فما اختاروا السماع حيث اختاروه
الا بشرط وقيود واداب يذكرون بها الاخرة ويرغبون بها في الجنة ويحذرون
من النار ويزداد بها طلبهم ويحسن بها احوالهم ويتفق لهم ذلك اتفاقا في
بعض الاحايين لا ان يجعلوه دابا وديدنا حتى يتركوا لاجله الاوراد وقد
نقل عن الشافعي رحمة الله عليه انه قال في كتاب القضاء الغناء لهو مكروه يشبه
الباطل وقال من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته • واتفق اصحاب
الشافعي ان المراة غير المحرم لا يجوز الاستماع اليها سواء كانت حرة او مملوكة
او مكشوفة الوجه او من وراء حجاب • ونقل عن الشافعي انه كان يكره الطقطقة
بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القران • وقال لا باس
بالقراءة بالالحان • وتحسين الصوت بها باي وجه كان وعند مالك اذا اشترى
جارية فوجدها مغنية فله ان يردها بالعيب وهو مذهب ساير اهل المدينة
وهكذا مذهب ابي حنيفة سماع الغناء من الذنوب وما اباحه الا نفر قليل
من الفقهاء ومن اباحه من الفقهاء ايضا لم يرا علانه في المساجد والبقاع الشريفة
وقيل في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال عبد الله

بن

بن مسعود هو الغناء والاستماع اليه • وقيل قوله وانتم سامدون اي
مغنون • روى عكرمة عن عبد الله بن عباس هو الغناء بلغة حمير يقول اهل
اليمن سمد فلان اذا غنى • وقيل قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم
بصوتك في قول مجاهد الغناء والمزامير • وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال كان ابليس اول من ناح واول من تغنى وروى عبد الرحمن
بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما نهيت عن صوتين فاجرين صوت
عند نغمة وصوت عند مصيبة • وروي عن عثمان رضي الله عنه انه قال ما
تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وروى عن عبد الله بن مسعود انه قال الغناء ينبت النفاق في
القلب • وروي ان ابن عمر رضي الله عنهما مر عليه قوم محرمون وفيهم رجل
يتغنى فقال الا لا سمع الله لكم الا لا سمع الله لكم • وروي ان انسانا سال
القسم بن محمد عن الغناء فقال انهاك عنه واكرهه لك قال احرام هو قال
انظر يا ابن اخي اذا ميز الله الحق والباطل في ايهما يجعل الله الغناء • وقال
فضيل بن عياض الغناء رقية الزنا وعن الضحاك الغناء مفسدة للقلب
مسخطة للرب • وقال بعضهم اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروة
وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر وهذا الذي ذكره هذا القايل صحيح
لان الطبع الموزون يفيق بالغناء والاوزان ويستحسن صاحب الطبع عند السماع
ما لم يكن يستحسنه من الفرقعة بالاصابع والتصفيق والرقص وتصدر منه
افعال تدل على سخافة العقل • وروى عن الحسن انه قال ليس الدف من
سنة المسلمين والذي نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع الشعر
لا يدل على اباحة الغناء فان الشعر كلام منظوم وغيره كلام منثور فحسنه حسن
وقبيحه قبيح وانما يصير غناء بالالحان وان انصف المنصف وتفكر في اجتماع اهل
الزمان وقعود المغني بدفه والمشبب بشبابته وتصور في نفسه هل وقع
مثل هذا الجلوس والهيئة بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل
استحضروا قوالا وقعدوا مجتمعين لاستماعه لا شك بانه ينكر ذلك من حال

رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ولو كان في ذلك فضيلة تطلب
ما اهملوها ممن يشير بانه فضيلة تطلب ويجتمع لها لم يحظ بذوق معرفة
احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ويستروح
الى استحسان بعض المتاخرين ذلك وكثيرا يغلط الناس في هذا كلما احتج
عليهم بالسلف الماضين يحتج بالمتاخرين وكان السلف اقرب الى عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهديهم اشبه بهدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكثير من الفقرا يستحسن عند قراة القران باشياء من غير غلبة •
قال عبد الله بن عروة بن الزبير قلت لجدتي اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه كيف
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القران
قالت كانوا كما وصفهم الله تعالى تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال قلت ان
اناسا اليوم اذا قرئ عليهم القران خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم • وروى ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر برجل
من اهل العراق ساقطا قط قال ما هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القران وسمع
ذكر الله تعالى سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط ان الشيطان يدخل
في جوف احدهم ما هكذا كان يصنع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ القران قال بيننا وبينهم ان
يقعد واحد منهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرا عليه القران من اوله
الى اخره فان رمى بنفسه فهو صادق • وليس هذا القول انكارا منهم على
الاطلاق اذ يتفق ذلك لبعض الصادقين ولكن للتصنع المتوهم في حق الاكثرين
وقد يكون ذلك من البعض تصنعا ورياء • ويكون من البعض لقصور علم ومخامرة
جهل ممزوج بهوى يلم باحدهم يسير من الوجد فيتبعه بزيادات يجهل ان ذلك
يضر بدينه وقد لا يجهل ان ذلك من النفس ولكن النفس تسترق السمع استراقا
خفيا تخرج الوجد عن الحد الذي ينبغي ان يقف عليه وهذا بيان الصدق ••
نقل ان موسى عليه السلام وعظ قومه فشق رجل منهم قميصه فقيل لموسى •
قل لصاحب القميص لا يشق قميصه وليشرح قلبه وانما اذا انضاف الى السماع

ان يسمع

ان يسمع من الامرد فقد توجهت الفتنة وتعين على اهل الديانات انكار ذلك
قال بقية بن الوليد كانوا يكرهون النظر الى الغلام الامرد الجميل
وقال عطاء كل نظرة يهواها القلب فلا خير فيها • وقال بعض التابعين ما انا
اخوف على الشاب الناسك من السبع الضاري خوفي عليه من الغلام الامرد
يقعد اليه • وقال بعض التابعين ايضا اللوطية على ثلاثة اصناف صنف
ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل فقد تعين على طائفة
الصوفية الاجتناب من مثل هذه الاجتماعات واتقاء مواضع التهم فان امر
الصوفية صدق كله وجد كله • يقول بعضهم الصوف كله جد فلا تخلطوه
بشيء من الهزل فهذه الاثار دلت على اجتناب السماع واخذ الحذر منه والتاويل
الاول بما فيه دل على جوازه بشروطه • وتنزيهه عن المكاره التي ذكرناها
وقد فصلنا القول وفرقنا بين القصايد والغناء وغير ذلك وكان جماعة من
الصالحين لا يسمعون ومع ذلك لا ينكرون على من يسمع بنية حسنة وراعى
الادب فيه

الباب الرابع والعشرون

في القول في السماع ترفعا واستغناء • اعلم ان الوجد يشعر بسابقة فقد فمن
لم يفقد لم يجد وانما كان الفقد لمزاحمة وجود العبد بوجود صفاته وبقاياه
فلو تمحض عبدا تمحض حرا ومن تمحض حرا افلت من شرك الوجد فشرك الوجد بسط
البقايا ووجود البقايا لتخلف شيء من العطايا • قال الحصري رحمة الله عليه ما
ادون حال من يحتاج الى مزعج يزعجه • فالوجد بالسماع في حق المحق كالوجد
بالسماع في حق المبطل من حيث النظر الى انزعاجه وتاثر الباطن به وظهور اثره
على الظاهر وتغييره للعبد من حال الى حال وانما يختلف الحال بين المحق والمبطل
ان المبطل يجد لوجود هوى النفس • والمحق يجد لوجود ارادة القلب ولهذا قيل
السماع لا يحدث في القلب شيئا وانما يحرك ما في القلب فمن متعلق باطنه غير الله
تحركه السماع فيجد بالهوى ومن متعلق باطنه محبة الله يجد بالارادة ارادة
القلب فالمبطل محجوب بحجاب النفس والمحق محجوب بحجاب القلب وحجاب النفس حجاب
ارضي ظلماني وحجاب القلب حجاب سماوي نوراني ومن لم يفقد بدوام التحقق

بالشهود ولم يتعثر بأذيال الوجود لا يجد ولا يسمع ومن هذه المطالعة
قال بعضهم أنا رد مظله لا ينفذ في قول • ومر ممشاد الدينوري بقوم
فيهم قوال فلما رأوه أمسكوا فقال ارجعوا إلى ما كنتم فيه فوالله لو جمعت ملاهي
الدنيا كلها في أذني ما شغل همي ولا شفى بعض ما بي • فالوجد صراخ الروح المبتلى
بالنفس تارة في حق المبطل • وبالقلب تارة في حق المحق • فمثار الوجد الروح
الروحاني في حق المحق والمبطل ويكون الوجد تارة من فهم المعاني يظهر وتارة
من مجرد النغمات والألحان فما كان من قبيل المعاني يشارك النفس الروح في السماع
في حق المبطل ويشارك القلب الروح في حق المحق • وما كان من قبيل مجرد النغمات
تجرد الروح للسماع ولكن في حق المبطل تسترق النفس السمع • وفي حق المحق يسترق
القلب السمع • ووجه استلذاذ الروح النغمات أن العالم الروحاني مجمع الحسن
والجمال • ووجود التناسب في الأكوان مستحسن قولا وفعلا • ووجود التناسب
في الهياكل والصور ميراث الروحانية فمتى سمع الروح النغمات اللذيذة والألحان
المتناسبة تأثر بها لوجود الجنسية ثم يتقيد ذلك بالشرع لمصالح عالم الحكمة
ورعاية الحدود للعبد عين المصلحة عاجلا وآجلا • ووجه آخر إنما يستلذ الروح
النغمات أن النغمات بها نطق النفس مع الروح بالإيماء الخفي إشارة ورمزا بين المتعاشقين
وبين النفوس والأرواح تعاشق أصلي يرجع ذلك إلى أنوثة النفس وذكورة الروح
والميل والتعاشق بين الذكر والأنثى بالطبع واقع قال الله تعالى وجعل منها زوجها
ليسكن إليها • وفي قوله سبحانه وتعالى منها إشعار بتلازم وتلاصق موجب للائتلاف
والتعاشق • فالنغمات يستلذها الروح لأنها مناغاة بين المتعاشقين • وكما
في عالم الحكمة كونت حواء من آدم ففي عالم القدرة كونت النفس من الروح فهذا
التآلف من هذا الأصل وذلك أن النفس روح حيواني تجنس بالقرب من الروح
الروحاني وتجنسه بأن امتاز عن أرواح جنس الحيوان بشرف القرب من الروح ٢
الروحاني فصار نفسا فإذا تكون الروح الروحاني في عالم القدرة كتكون حواء النفس من
من آدم في عالم الحكمة فهذا التآلف والتعاشق ونسبة الأنوثة والذكورة من
ههنا ظهر وبهذا الطريق استطاب الروح النغمات لأنها مراسلات بين المتعاشقين

ومكالمة

ومكالمة بينهما وقد قال القائل • تكلم منا في الوجوه عيوننا فنحن سكوت والهوى يتكلم
فإذا استلذ الروح النغمة وجدت النفس المغلولة بالهوى وتحركت بما فيها لوجود
العارض • ووجد القلب المغلول بالإرادة وتحرك ما فيه لوجود العارض في
الروح • وللأرض من زاد الكرام نصيب • فنفس المبطل أرض لسماء قلبه وقلب
المحق أرض لسماء روحه فالبالغ مبلغ الرجال والمتجوهر المتجرد من أعراض الأحوال
خلع نعلي النفس والقلب بالوادي المقدس • وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر
استقر وعرش وأحرق بنور العيان أجرام الألحان ولم يصغ روحه إلى مناغاة
عاشقه لشغله بمطالعة آثار محبوبه والهائم المشتاق لا يسعه كشف ظلامة
العشاق ومن هذا حاله لا يحركه السماع رأسا وإذا كانت الألحان لا تلحق هذا
الروح مع لطافة مناجاتها وخفي لطف مناغاتها كيف يلحقه السماع بطريق فهم
المعاني وهو أكثف ومن يضعف عن حمل لطيف الإشارات كيف تحمل ثقل أعباء
العبارات • وأقرب من هذا عبارة تقرب إلى الأفهام • الوجد وارد يرد من الله
سبحانه وتعالى ومن يريد الله لا يقنع بما من عند الله ومن صار في محل القرب
متحققا به لا يلهيه ولا يحركه ما من عند الله فالوارد من عند الله مشعر ببعد والقرب
واجد لما يصنع بالوارد والوجد نار والقلب للواجد بربه نور والنور ألطف
من النار والكثيف غير مستبطر على اللطيف فما دام الرجل البالغ مستمرا على جادة
استقامته غير منحرف عن وجهة معهودة بنوازع وجوده لا يدركه الوجد بالسماع
فإن دخل عليه فتور أو عاقه قصور بدخول الابتلاء عليه من المبتلي المحسن فتألف من
تفاريق صور الابتلاء وجود يدركه الوجد لعود العبد عند الابتلاء إلى حجاب
القلب لمن هو مع الحق إذا رك وقع على القلب • ومن هو مع القلب إذا رك وقع
على النفس • سمعت بعض المشايخ يحكي عن بعضهم أنه وجد من السماع فقيل له
أين حالك من هذا فقال دخل علي داخل أوردني هذا المورد • قال بعض أصحاب
سهل صحبت سهلا سنين ما رأيته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما
كان في آخر عمره قرئ عنده فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فارتعد وكاد يسقط
فسألته عن ذلك فقال نعم لحقني ضعف • وسمع مرة الملك يومئذ الحق للرحمن

فاضطرب فسأله ابن سالم وكان صاحبه فقال قد ضعفت فقيل له ان كان هذا
من الضعف فما القوة فقال القوة ان لا يرد عليه وارد الا يبتلعه بقوة حاله
فلا يغيره الوارد ومن هذا القبيل قول ابي بكر رضي الله عنه هكذا كنا حتى قست
القلوب لما راى الباكي يبكي عند قراءة القران • وقوله قست اي تصلبت وادمنت
سماع القران والفت انواره فما استغربته حتى تتغير والواجد كالمستغرب
ولهذا قال بعضهم حالي قبل الصلوة كحالي في الصلاة اشارة منه الى استمرار
حال الشهود فهكذا في السماع كقبل السماع • وقد قال الجنيد لا يضر نقصان
الوجد مع فضل العلم وفضل العلم اتم من فضل الوجد وبلغنا عن الشيخ حماد
انه كان يقول البكاء من بقية الوجود • وكل هذا يقرب البعض من البعض في المعنى
لمن عرف الاشارة فيه وفهم وهو عزيز الفهم عزيز الوجود • واعلم ان
للباكين عند السماع مواجيد مختلفة فمنهم من يبكي خوفا ومنهم من يبكي شوقا
ومنهم من يبكي فرحا كما قال القايل • طفح السرور علي حتى انني من عظم ما قد سرني ابكاني
قال ابو بكر الكتاني سماع العوام على متابعة الطبع وسماع المريدين رغبة
ورهبة وسماع الاولياء رؤية الالاء والنعماء وسماع العارفين على المشاهدة وسماع
اهل الحقيقة على الكشف والعيان ولكل واحد من هولاء مصدر ومقام وقال
ايضا الوارد يرد فيصادف شكلا او موافقة فاي وارد صادف شكلا مازجه
واي وارد صادف موافقا ساكنه وهذه كلها مواجيد اهل السماع وما ذكرناه
حال من ارتفع عن السماع • وهذا الاختلاف ينزل على اختلاف اقسام البكاء
الذي ذكرناه من الخوف والشوق والفرح واعلاها بكاء الفرح بمثابة قادم
يقدم على اهله بعد طول غربته فعند رؤية الاهل يبكي من قوة الفرح وكثرته
وفي البكاء رتبة اخرى اعز من هذه يعز ذكرها ويكبر نشرها لقصور الافهام
عن ادراكها فربما تقابل ذكرها بالانكار • ويحظى بالاستكبار • ولكن نعرفها من
وجدها قدما ووصولا • وفهمها نظرا ومثولا • وهو بكاء الوجدان غير بكاء
الفرح وحدوث ذلك في بعض مواطن حق اليقين ومن حق اليقين في الدنيا
لمامات يسيرة فوجد البكاء في بعض مواطنه لوجود تغاير وتباين من الحدث

بين

والقديم فيكون البكاء رشحا هو وصف الحدثان لوح سطوة عظمة الرحمن ونظير
من ذلك مثلا في الشاهد قطر الغمام تلاقي مختلف الاجرام وهذا وان عز مشعر
ببقية تقدح في صرف الفناء نعم قد يتحقق العبد في الفناء متجردا عن الاثار •
منغمسا في الانوار ثم يرتقي منه الى مقام البقاء ويرد اليه الوجود مطهرا فتعود
اليه اقسام البكاء خوفا وشوقا وفرحا ووجدا ووجدانا متشاكلة صورها ومباينة
حقيقتها بفرق لطيف يدركه اربابه وعند ذلك يعود عليه من السماع ايضا قسم
وذلك القسم مقيد وهو له مقهور معه ياخذه اذا اراد ويرده اذا اراد ويكون
هذا السماع من المتمكن بنفس اطمانت واستنارت وباينت طبيعتها واكتسبت
طمانينتها واشبهها الروح معنى منه فيكون سماعه نوع تمتع للنفس كتمتعها بمباحات
اللذات والشهوات لا ان ياخذ السماع منه او يزيد به او يظهر عليه منه اثر
ويكون النفس في ذلك بمثابة الطفل في حجر الوالد يفرحه في بعض اوقاته ببعض
مآربه ومن هذا القبيل ما نقل ان ابا محمد الراسبي كان يشغل اصحابه بالسماع وينعزل
عنهم ناحية يصلي فقد تطرق النغمات مثل هذا المصلي وتندلي اليه النفس متنعمة
بذلك فيزداد مورد الروح من الانس صفاء عند ذلك لبعد الروح عن النفس
في تمتعها فانها مع طمانينتها توصف من الاجنبية بوضعها وجبلتها وفي بعدها
توفر اقسام الروح من الفتوح ويكون تطرق الالحان سمعه في الصلاة غير محيلة
بينه وبين حقيقة المناجاة وفهم تبديل الكلمات وتصل الاقسام الى محالها خ تنزيل
غير مزاحمة ولا مزاحمة وذلك كله لسعة شرح الصدر بالايمان والله المحسن
المنان • ولهذا قيل السماع لقوم كالدواء ولقوم كالغذاء ولقوم كالمروحة
ومن عود اقسام البكاء • ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لابي اقرا قال اقرا عليك وعليك نزل فقال احب ان اسمعه من غيري فافتتح
سورة النساء حتى اذا بلغ قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هولاء شهيدا فاذا عيناه تهملان • وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم استقبل الحجر واستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا يبكي وقال
يا عمر هنا تسكب العبرات • والمتمكن تعود اليه اقسام البكاء وفي ذلك فضيلة

سا لها النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم ارزقني عينين هطالتين وتكون
البكاء في الله ويكون لله ويكون بالله وهو الآخر لعوده اليه بوجود منشأ
موهوب له من الكرم المنان في مقام البقاء

الباب الخامس والعشرون

في القول في السماع تأدبا واعتناء

ويتضمن هذا الباب آداب السماع وحكم التخريق واشارات المشايخ في ذلك
وما في ذلك من المأثور والمحذور • مبنى التصوف على الصدق في سائر الاحوال
وهو جد كله لا ينبغي للصادق ان يتعمد الحضور في مجمع يكون فيه سماع الا بعد
ان يخلص النية لله تعالى ويتوقع به مزيدا في ارادته وطلبه ويحذر من ميل
النفس لشيء من هواها ثم يقدم الاستخارة للحضور ويسال الله اذا عزم
البركة فيه واذا حضر يلزم الصدق والوقار بسكون الاطراق • قال
ابو بكر الكتاني المستمع يجب ان يكون في سماعه غير مستروح اليه يهيج
السماع منه وجدا او شوقا او غلبة والوارد عليه يفنيه عن كل حركة
وسكون فمتى الصادق قد استدعاء الوجد وتجنب الحركة فيه مهما امكن
سيما بحضرة الشيوخ •• حكى ان شابا كان يصحب الجنيد وكلما سمع
شيئا زعق وتغير فقال له يوما ان ظهر منك شي بعد هذا فلا تصحبني فكان
بعد ذلك يضبط نفسه وربما كان من كل شعرة منه يقطر قطرة عرق
فلما كان يوما من الايام زعق زعقة وخرج روحه فليس من الصدق اظهار
الوجد من غير وجد نازل او ادعاء الحال من غير حال حاصل وذلك عين
النفاق • قيل ان النصراباذي كثير الولع بالسماع فعوتب في ذلك فقال
نعم هو خير من ان نقعد ونغتاب فقال له ابو عمرو بن نجيد وغيره من اخوانه
هيهات يا ابا القاسم زلة في السماع شر من كذا وكذا سنة نغتاب الناس
وذلك ان زلة السماع اشارة الى الله تعالى وترويج الحال بصريح المحال
وفي ذلك ذنوب متعددة • منها انه يكذب على الله تعالى انه وهب
له شيئا وما وهب له والكذب على الله من اقبح الزلات • ومنها ان يغر بعض
الحاضرين فيحسن به الظن والاغترار خيانة • قال عليه الصلاة والسلام

كان الجنيد يتحرك في السماع
في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له
في ذلك فقال وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر
السحاب الآية اشارة
الى ان القلب مضطرب
جائل في الملكوت والجوارح
متادبة في الظاهر ساكنة
ع احياء العلوم

من غشنا فليس منا • ومنها انه اذا كان مبطلا ويرى بعين الصلاح سوف
يظهر منه بعد ذلك ما يفسد عقيدة المعتقد فيه فتفسد عقيدته في
غيره ممن يظن به الخير من امثاله فيكون متسببا الى فساد العقيدة في اهل
الصلاح ويدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن من فساد عقيدته فينقطع
عنه مدد الصالحين • وتتشعب من هذا آفات كثيرة يقف عليها من بحث عنها
ومنها انه يحوج الحاضرين الى موافقته في قيامه وقعوده فيكون متكلفا
مكلفا للناس بباطله ويكون في الجمع من يرى بنور الفراسة انه مبطل ويحمل
على نفسه الموافقة للجمع مداريا ويكثر شرح الذنوب في ذلك فليتق الله
ربه ولا يتحرك الا اذا صارت حركته كحركة المرتعش الذي لا يجد سبيلا الى الا
مساك وكالعاطس الذي لا يقدر ان يرد العطسة وتكون حركته بمثابة النفس
الذي يتنفس تدعوه الى النفس داعية الطبع قهرا • قال السري رحمة الله
عليه شرط الواجد في زعقته ان يبلغ الى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا
يشعر فيه بوجع • وقد يقع هذا في حق بعض الواجدين نادرا وقد لا يبلغ
الواجد هذه الرتبة من الغيبة ولكن زعقته تخرج كالنفس بنوع ارادة ممزوجة
بالاضطرار وهذا الضبط من رعاية الحركات ورد الزعقات في تمزيق الثياب
اكد فان ذلك يكون اتلاف المال وانفاق المحال وهكذا رمي الخرقة الى الحادي
لا ينبغي ان يفعل الا اذا حضرته نية يجتنب بها التكلف والمرآياة واذا حسنت النية
فلا باس بالقاء الخرقة الى الحادي فقد روي ان كعب بن زهير دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسجد وانشده ابياته التي اولها بانت سعاد فقلبي
اليوم متبول حتى انتهى الى قوله فيها ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من
سيوف الله مسلول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من انت فقال
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله انا كعب بن زهير فرمى اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه فلما كان زمن معوية بعث الى
كعب بن زهير بعنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف فوجه
اليه ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب

بعث معوية الى اولاده بعشرين الفا واخذ البردة وهي البردة الباقية عند
الامام الناصر لدين الله اليوم اعاد الله بركتها على ايامه الزاهرة وللمتصوفة
اداب يتعاهدونها ورعايتها حسن الادب في الصحبة والمعاشرة وكثير من
السلف لم يكونوا يعتمدون ذلك ولكن كل شيء استحسنوه وتواطؤوا عليه ولا
ينكره الشرع لا وجه للانكار فيه فمن ذلك ان احدهم اذا تحرك في السماع ووقعت
منه خرقة او نازله وجد ورمى عمامته الى الحادي فالمستحسن عندهم موافقة
الحاضرين له في كشف الراس اذا كان ذلك من متقدم وشيخ وان كان ذلك من
الشبان في حضرة الشيوخ فليس على الشيوخ موافقة الشبان في ذلك
وينسحب حكم الشيوخ على بقية الحاضرين في ترك الموافقة للشاب فاذا سكنوا
عن السماع يرد الواجد الى خرقته ويوافق الحاضرون برفع العمائم ثم ردها على
الرؤوس في الحال للموافقة والخرقة اذا رميت الى الحادي هي للحادي اذا قصد
اعطاه اياها وان لم يقصد اعطاء الحادي فقال بعضهم هي للحادي لان المحرك
هو ومنه صدر الموجب لرمي الخرقة وقال بعضهم هي للجمع والحادي واحد
منهم لان المحرك قول الحادي مع بركة الجمع فان بركة الجمع في احداث الوجد لا
تتقاصر عن قول القايل فيكون الحادي واحدا منهم في ذلك • روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر من وقف بمكان كذا فله كذا ومن قتل فله
كذا ومن اسر فله كذا فتسارع الشبان واقام الشيوخ والوجوه عند الرايات
فلما فتح الله على المسلمين طلب الشبان ان يجعل ذلك لهم فقال الشيوخ كنا
ظهرا لكم وردءا فلا تذهبوا بالغنائم دوننا فانزل الله تعالى يسئلونك عن الانفال
قل الانفال لله والرسول فقسم النبي بينهم بالسوية • وقيل اذا كان القوال
من القوم يجعل لواحد منهم واذا لم يكن من القوم فما كان له قيمة يوثر به وما كان من
خرق الفقرا يقسم بينهم وقيل ان كان القوال اجيرا فليس له منها شيء وان كان متبرعا
يوثر بذلك وكل هذا اذا لم يكن هناك شيخ يحكم فاما اذا كان هناك شيخ يهاب ويمتثل امره
فالشيخ يحكم في ذلك بما يرى فقد تختلف الاحوال في ذلك وللشيخ اجتهاده يفعل
ما يرى فلا اعتراض لاحد عليه وان فداها بعض المحبين بشيء او بعض الحاضرين

ورضي القوال والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد الى خرقته فلا باس بذلك واذا
اصر واحد على الايثار لما خرج منه لنية له في ذلك يوثر بخرقته الحادي واما
تمزيق الخرقة المجروحة الذي مزقها واجد صادق عن غلبة سلبت اختياره كغلبة
النفس فيمن يتعمد امساكه فيتهم في تفرقتها وتمزيقها التبرك بالخرقة لان الوجد
اثر من اثار فضل الحق وتمزيق الخرقة اثر من اثار الوجد فصارت الخرقة متاثرة باثر
رباني من حقها ان تفدى بالنفوس وتترك على الرؤوس اكراما واعزازا •

• تضوع ارواح نجد من ثيابهم • يوم القدوم لقرب العهد بالدار •

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل الغيث فيتبرك به ويقول حديث
عهد بربه • فالخرقة الممزقة حديثة العهد بحكم المجروحة ان تفرق على الحاضرين وحكم
ما يتبعها من الخرق الصحاح ان يحكم فيها الشيخ ان خصص بشيء منها بعض الفقرا فله
ذلك وان خرقها خرقا فله ذلك ولا يقال ان هذا تفريط وسرف فان الخرقة الصغيرة
ينتفع بها في موضعها عند الحاجات كالكبيرة • وروي عن امير المؤمنين علي انه قال
اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فارسل بها الي فخرجت فيها فقال
لي ما كنت لاكره لنفسي شيئا ارضاه لك فشققها بين النسا خمرا • وفي رواية اتيته
فقلت ما اصنع بها البسها قال لا ولكن اجعلها خمرا بين الفواطم اراد فاطمة بنت
اسد وفاطمة بنت رسول الله وفاطمة بنت حمزة • وفي هذه الرواية ان الهدية
كانت حلة مكفوفة بحرير وهذا وجه في السنة لتمزيق الثوب وجعله خرقا حكي
ان الفقهاء والصوفية بنيسابور اجتمعوا في دعوة فوقعت الخرقة وكان شيخ الفقهاء
ابو محمد الجويني وشيخ الصوفية ابو القسم القشيري فقسمت الخرقة على عادتهم
فالتفت الشيخ ابو محمد الى بعض الفقهاء وقال سرا هذا سرف واضاعة المال فسمع
ابو القسم القشيري ولم يقل شيئا حتى فرغت القسمة ثم استدعى الخادم وقال
انظر في الجمع من معه سجادة خرق ائتني بها فجاءه بسجادة ثم احضر رجلا من اهل
الخبرة فقال هذه السجادة بكم تشترى في المزاد قال بدينار قال ولو كانت قطعة
واحدة كم تسوى قال نصف دينار ثم التفت الى الشيخ ابي محمد وقال هذا لا يسمى
اضاعة المال والخرقة المخرقة تقسم على جميع الحاضرين من كان من الجنس او غير الجنس

اذا كان حسن الظن بالقوم معتقدا للتبرك بالخرقة • روى طارق بن شهاب ان اهل البصرة غزوا نهاوند وامدهم اهل الكوفة وعلى اهل الكوفة عمار بن ياسر فظهروا فاراد اهل البصرة ان لا يقسموا لاهل الكوفة من الغنيمة شيئا فقال رجل من بني تميم لعمار ايها الاجدع تريد ان تشاركنا في غنائمنا فكتب الى عمر بذلك فكتب عمر ان الغنيمة لمن شهد الوقعة • وذهب بعضهم الى ان المخروح من الخرق نقسم على الجميع وما كان من ذلك صحيحا يعطى القوال • واستدل بما روى عن قتادة قال لما وضعت الحرب اوزارها يوم حنين وفرغنا من القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وهذا له وجه في الخرقة الصحيحة فاما المجروحة فحكمها اسهام الحاضرين والقسمة لهم ولو دخل على الجمع وقت القسمة من لم يكن حاضرا اسهم له روى ابو موسى الاشعري قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خيبر بثلاث فاسهم لنا ولم يسهم لاحد لم يشهد الفتح غيرنا ويكره للقوم حضور غير الجنس عندهم في السماع ممن ترقيد لا ذوق له من ذلك فيكره ما لا ينكر او صاحب دنيا يحوج الى المداراة والتكلف او متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضرين بتواجده • اخبرنا ابو زرعة طاهر عن والده ابي الفضل الحافظ المقدسي قال انا ابو منصور محمد بن عبد الملك المظفري بسرخس قال انا ابو علي الفضل بن منصور بن نصر الكاغدي السمرقندي اجازة قال ثنا الهيثم بن كليب قال ثنا ابو بكر عمار بن اسحق قال ثنا سعيد بن عامر عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن انس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله ان فقراء امتك يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افيكم من ينشدنا فقال بدوي نعم يا رسول الله فقال هات فانشأ •

قد لسعت حية الهوى كبدي • فلا طبيب لها ولا راقي •

الا الحبيب الذي شغفت به • فعنده رقيتي وترياقي •

فتواجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواجد الاصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فلما فرغوا اوى كل واحد الى مكانه فقال معوية بن ابي سفيان

ما احسن لعبكم يا رسول الله فقال مه يا معوية ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب ثم قسم رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم على من حاضرهم باربعمائة قطعة • فهذا الحديث اوردناه مسندا كما سمعناه ووجدناه وقد تكلم في صحته اصحاب الحديث وما وجدنا شيئا نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاكل وجد اهل الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم الا هذا وما احسنه من حجة للصوفية واهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها ان لو صح والله اعلم ويخالج سري انه غير صحيح ولم اجد فيه ذوق اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هذا الحديث ويأبى القلب قبوله والله اعلم

ثم ان عياش هذا حديث باطل لا يحتج به وهي من الاحاديث التي تذكر ليعلم انها موضوعة وفي اسناده جماعة مجهولون لا يوثق بهم

الباب السادس والعشرون في خاصية الاربعينية التي يتعاهدونها

ليس مطلوب القوم من الاربعين شيئا مخصوصا لا يطلبونه في غيرها ولكن لما طرقتهم مخالفات حكم الاوقات احبوا تقييد الوقت باربعين رجاء ان يستصحب حكم الاربعين على جميع زمانهم فيكونوا في جميع اوقاتهم كهيئتهم في الاربعين على ان الاربعين خصت بالذكر في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقد خص الله تعالى الاربعين بالذكر في قصة موسى وامره بتخصيص الاربعين بمزيد تبتل • قال الله تعالى ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة﴾ وذلك ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان الله تعالى اذا اهلك عدوهم واستنقذهم من ايديهم ياتيهم بكتاب من عند الله فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والاحكام فلما فعل الله ذلك واهلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره الله تعالى ان يصوم ثلاثين يوما وهي ذو القعدة فلما تمت ثلثون ليلة انكر خلوف فيه فتسوك بعود خرنوب فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى ان يصوم عشرة ايام من ذي الحجة وقال له اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك • ولم يكن صوم موسى ترك الطعام بالنهار

واكله بالليل بل طوى الاربعين من غير اكل فدلك على ان خلو المعدة من الطعام
اصل كبير في الباب حتى احتاج موسى الى ذلك مستعدا به لمكالمة الله
والعلوم اللدنية في قلوب المنقطعين الى الله تعالى ضرب من المكالمة ومن انقطع
الى الله اربعين يوما مخلصا متعاهدا نفسه بخفة المعدة تفتح عليه العلوم
اللدنية كما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك غير ان تعيين الاربعين
من المدة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي امر الله تعالى موسى بذلك
جاء فالتحديد والتقييد بالاربعين والحكمة فيه لا يطلع احد على حقيقة ذلك
الا الانبياء اذا عرفهم الحق ذلك او من يخصه الله بتعريف ذلك غير الانبياء
ويلوح في سر ذلك معنى والله اعلم وذلك ان الله تعالى لتكون آدم من تراب قدر
التخمير بهذا القدر من العدد كما ورد خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا فكان
آدم لما كان مستصلحا لعمارة الدارين واراد الله تعالى منه عمارة الدنيا كما اراد
منه عمارة الجنة كونه من التراب تركيبا يناسب عالم الحكمة والشهادة وهذه
الدار الدنيا وما كانت عمارة الدنيا تتأتى منه وهو غير مخلوق من اجزاء ارضية
سفلية بحسب قانون الحكمة فمن التراب كونه واربعين صباحا خمر طينته
ليبعد بالتخمير اربعين صباحا باربعين حجابا من الحضرة الالهية كل حجاب هو معنى
مودع فيه يصلح به لعمارة الدنيا ويتعوق به عن الحضرة الالهية ومواطن القرب
اذ لو لم يتعوق بهذا الحجاب ما انعمرت الدنيا فتأصل البعد عن مقام القرب فيه
لعمارة عالم الحكمة وخلافة الله تعالى في الارض فبالتبتل لطاعة الله تعالى بالاقبال
عليه والانتزاع عن التوجه الى امر المعاش بكل يوم يخرج عن حجاب هو معنى مودع
فيه وعلى قدر زوال كل حجاب يتخذ منزلا في القرب من الحضرة الالهية التي هي مجمع
العلوم ومصدرها فاذا تمت الاربعون زالت الحجب وانصبت اليه العلوم
والمعارف انصبابا ثم العلوم والمعارف هي اعيان انقلبت باتصال اكسير نور
العظمة الالهية بها فانقلبت اعيان حديث النفس علوما الهامية وتعددت اجرام
حديث النفس لقبول انوار العظمة فلولا وجود النفس وحديثها ما ظهرت العلوم الالهية
لان حديث النفس وعاء وجودي مستعد لقبول الانوار وما للقلب في ذاته لقبول العلم

شيء وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه
اشارة الى القلب باعتبار ان للقلب وجها الى النفس باعتبار توجهه الى عالم الشهادة
وله وجه الى الروح باعتبار توجهه الى عالم الغيب فيستمد القلب العلوم
المكنونة في النفس ويخرجها الى اللسان الذي هو ترجمانه فظهور العلوم من القلب
لانها متأصلة فيه وللقلب والروح مراتب من قرب الملهم سبحانه وتعالى
فوق رتب الالهام فالعبد بانقطاعه الى الله تعالى واعتزال الناس يقطع
مسافات وجوده ويستنبط من معدن نفسه جواهر العلوم وقد ورد
في الخبر الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم
في الاسلام ففي كل يوم باخلاصه في العمل لله تنكشف طبقة من الاطباق الترابية
الجبلية المبعدة عن الله الى ان تنكشف باستكمال الاربعين اربعون طبقة في
كل يوم طبقة من الطبقات وحجابه وآية صحة هذا العبد وتأثره بالاربعين ووفائه
بشروط الاخلاص ان يزهد بعد الاربعين في الدنيا ويتجافى عن دار الغرور
وينيب الى دار الخلود لان الزهد في الدنيا من ضرورة ظهور الحكمة ومن لم يزهد
في الدنيا ما ظفر بالحكمة ومن لم يظفر بالحكمة بعد الاربعين يتبين انه اخل
بالشروط ولم يخلص لله تعالى ومن لم يخلص ما عبد لان الله تعالى امر بالاخلاص كما
امر بالعمل فقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين اخبرنا الشيخ
طاهر بن ابي الفضل اجازة قال اخبرنا ابو بكر احمد بن خلف اجازة قال انا ابو
عبد الرحمن السلمي قال انا ابو منصور الضبعي قال ثنا محمد بن اشرس قال ثنا حفص
بن عبد الله قال ثنا ابراهيم بن طهمان عن عاصم عن زر عن صفوان بن عسال عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة يجيء الاخلاص والشرك يجثوان
بين يدي الرب عز وجل فيقول الرب للاخلاص انطلق انت واهلك الى الجنة
ويقول للشرك انطلق انت واهلك الى النار وبهذا الاسناد قال السلمي سمعت
علي بن سعيد وسألته عن الاخلاص ما هو قال سمعت ابراهيم الشقيقي وسألته
عن الاخلاص ما هو قال سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسألته عن الاخلاص ما هو
قال سألت احمد بن بشار عن الاخلاص ما هو قال سألت ابا يعقوب الشروطي

عن الاخلاص ما هو قال سالت احمد بن غسان عن الاخلاص ما هو قال سالت احمد
بن علي الجهيمي عن الاخلاص ما هو قال سالت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ما
هو قال سالت الحسن عن الاخلاص ما هو قال سالت حذيفة عن الاخلاص ما هو
قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ما هو قال سالت جبريل عن
الاخلاص ما هو قال سالت رب العزة عن الاخلاص ما هو قال هو سر من سري
اودعته قلب من احببت من عبادي • ومن الناس من يدخل الخلوة على مراغمة النفس
اذ النفس بطبعها كارهة للخلوة مائلة الى مخالطة الخلق فاذا ازعجها عن مقار عادتها
وحبسها على طاعة الله تعالى تعقب كل مرارة تدخل عليها حلاوة في القلب • قال
ذو النون لم ار شيئا ابعث على الاخلاص من الخلوة ومن احب الخلوة فقد استمسك
بعمود الاخلاص • وظفر بركن من اركان الصدق وقال الشبلي لرجل استوصاه
الزم الوحدة وامح اسمك عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت وقال يحيى
بن معاذ الوحدة منية الصديقين • ومن الناس من ينبعث من باطنه داعية
الخلوة وتنجذب النفس الى ذلك وهذا اتم واكمل وادل على كمال الاستعداد
وقد روي من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك فيما حدثنا
شيخنا ضياء الدين ابو النجيب املاء قال انا الحافظ ابو القسم اسمعيل بن احمد المقرئ
قال انا جعفر بن الحكاك المكي قال انا ابو عبد الله الصنعاني قال انا ابو عبد الله
النقوي قال انا اسحق الدبري قال انا عبد الرزاق عن معمر قال اخبرني الزهري
عن عروة عن عايشة قالت اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب
اليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك
ثم يرجع الى خديجة فتزوده لمثلها حتى فاجاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك
فيه فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني
فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال
اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني

فقال

فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال
زملوني زملوني حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة ما لي واخبرها الخبر فقال
قد خشيت على عقلي فقالت كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم
وتصدق وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت خديجة
حتى اتت به ورقة بن نوفل وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي
ويكتب بالعربية من الانجيل ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت
له خديجة اي عم اسمع من ابن اخيك فقال ورقة يا ابن اخي ما ترى فاخبره الخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النا
الذي انزل على موسى يا ليتني فيها جذعا اكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم قال ورقة نعم لم يأت احد قط بما
جئت به الا عودي واوذي فان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا • وحدث
جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن
فترة الوحي فقال في حديث فبينا انا امشي سمعت صوتا من السما فرفعت راسي
فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السما والارض فجئثت منه رعبا
فرجعت فقلت زملوني فدثروني فانزل الله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر الى والرجز
فاهجر • ونقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب مرارا كي يردي نفسه
من شواهق الجبال فكلما وافى لذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل
فقال له يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه واذا طالت عليه
فترة الوحي عاد لمثل ذلك فيتبدى له جبريل فيقول له مثل ذلك فهذه الاخبار
المنبئة عن بدء امر رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الاصل في ايثار المشايخ
الخلوة للمريدين والطالبين فانهم اذا اخلصوا لله في خلواتهم يفتح الله تعالى عليهم
ما يونسهم في خلوتهم تعويضا من الله اياهم عما تركوا لاجله ثم خلوة القوم مستمرة
وانما الاربعون واستكمالها له اثر في ظهور مبادئ بشائر الحق سبحانه وسنوح
مواهبه السنية • والله سبحانه وتعالى • المنعم المتفضل بمنه وكرمه

الباب السابع والعشرون

في ذكر فتوح الاربعينية ❁ وقد غلط في طريق الخلوة والاربعينية قوم وحرفوا
الكلم عن مواضعه ❁ ودخل عليهم الشيطان وفتح عليهم باب الغرور ودخلوا الخلوة
على غير اصل مستقيم من تادية حق الخلوة بالاخلاص وسمعوا ان المشايخ والصوفية
كانت لهم خلوات وظهرت لهم وقايع وكوشفوا بغرايب وعجايب فدخلوا الخلوة
لطلب ذلك وهذا عين الاعتلال ومحض الضلال وانما القوم اختاروا الوحدة
والخلوة لسلامة الدين وتفقد احوال النفس واخلاص العمل لله ❁ نقل عن ابي عمرو
الانماطي انه قال لم تصفوا للعاقل نهم الآخر الا باحكام ما يجب عليه من اصلاح
الحال الاول والمواطن التي ينبغي ان تعرف منها امر داذ هو امر متقض فعليه
ان تطلب موضع الخلوة لكيلا يعارضه شاغل فيفسد عليه ما يريد ❁ انبانا
طاهر بن ابي الفضل عن ابي بكر بن خلف اجازة قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال
سمعت ابا تميم المغربي يقول من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي ان يكون خاليا من
جميع الاذكار الا ذكر ربه وخاليا من جميع المرادات الا مراد ربه وخاليا من
مطالبة النفس من جميع الاسباب فان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه
في فتنة او بلية ❁ اخبرنا ابو زرعة اجازة قال انا ابو عبد الرحمن قال سمعت
منصورا يقول سمعت محمد بن حامد يقول جاء رجل الى زيارة ابي بكر الوراق
وقال له اوصني فقال وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة ووجدت
شرهما في الكثرة والاختلاط لم يدخل الخلوة مختلا في دخوله دخل عليه الشيطان
وسول له انواع الطغيان والامتلاء من الغرور والمحال وظن انه على حسن حال
وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها واقبلوا على ذكر من
الاذكار ❁ واستجموا نفوسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل
الرهابين والبراهمة والفلاسفة ❁ وللوحدة وجمع الهم له تاثير في صفا الباطن
مطلقا فما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انتج تنوير القلب والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة
لله بالاخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة

الشرع

الشرع ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتج صفاء في النفس يستعان به على
اكتساب علوم رياضية مما تعتني به الفلاسفة والدهريون خذلهم الله تعالى
فكلما كثر من ذلك كثر البعد من الله ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان
بما يكتسب من العلوم الرياضية او مما قد يترايا له من صدق الخاطر وغير ذلك
حتى يركن اليه كل الركون ويظن انه قد ظفر بالمقصود ولا يعلم ان هذا القدر من
الفايدة غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليست هي المقصود من الخلق
يقول بعضهم الحق يطلب منك الاستقامة وانت تطلب الكرامة
وقد يفتح على الصادقين شيء من خوارق العادات وصدق الفراسة ويتبين
ما سيحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح في حالهم
عدم ذلك وانما يقدح في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة فما يفتح من ذلك
على الصادقين يصير مزيدا ايقانهم والداعي لهم الى الصدق في المجاهدة والمعاملة
والزهد في الدنيا والتخلق بالاخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت
سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على
الناس وازدرايه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام من عنقه وينكر
الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن ان المقصود من العبادات ذكر
الله ويترك متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يتدرج من ذلك الى التجحد
والتزندق نعوذ بالله من الضلال وقد يلوح لاقوام تجليات يظنونها وقايع
ويشتبهونها بوقايع المشايخ من غير علم بحقيقة ذلك فمن اراد تحقيق ذلك
فليعلم ان العبد اذا اخلص لله تعالى واحسن النية وقعد في الخلوة اربعين
يوما او اكثر فمنهم من يباشر باطنه صفو اليقين ❁ ويرفع الحجاب عن قلبه ويصير
كما قال قايلهم ❁ راي قلبي ربي وقد يصل الى هذا المقام تارة باحيا الاوقات
بالصالحات وكف الجوارح وتوزيع الاوراد من الصلاة والتلاوة والذكر
على الاوقات ❁ وتارة يناديه الحق لموضع صدقه وقوة استعداده منادات
من غير عمل وجد منه ❁ وتارة يجد ذلك بملازمة ذكر واحد من الاذكار لا يزال
يردد ذلك الذكر ويقوله ويكون عبادته الصلوات الخمس بسننها الراتبة

فحسب وسائر اوقاته مشغولة بالذكر الواحد لا يتخللها فتور ولا يوجد منه
قصور لا يزال يردد ذلك الذكر متلزما به حتى في طريق الوضوء وساعة الاكل
لا يفتر عنه واختار جمع من المشايخ من الذكر كلمة لا اله الا الله وهذه الكلمة
لها خاصية في تنوير الباطن وجمع الهم اذا داوم عليها صادق مخلص وهي من
مواهب الحق لهذه الامة ومنها خاصية لهذه الامة فيما حدثنا شيخنا
ضياء الدين املاء قال انا ابو القسم الدمشقي الحافظ قال انا عبد الدايم
بن الحسين قال انا عبد الوهاب الدمشقي قال انا محمد بن خزيم قال ثنا هشام
بن عمار قال ثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن ابيه ان عيسى
بن مريم عليه السلام قال رب انبئني عن هذه الامة المرحومة قال
امة محمد صلى الله عليه وسلم علماء اخفياء حلماء كانهم انبياء يرضون مني عليه الصلاة والس
بالقليل من العطاء وارضى منهم باليسير من العمل وادخلهم الجنة بلا اله الا
الله يا عيسى هم اكثر سكان الجنة لانها لم تذل السن قوم قط بلا اله الا الله
كما ذلت السنتهم ولم تذل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت رقابهم وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان هذه الآية مكتوبة في الد يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للمومنين وكنزا للاميين انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن اقبضه حتى تقام به الملة المعوجة بان يقولوا
لا اله الا الله ويفتحوا اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا • فلا يزال العبد في
خلوته يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطاة القلب حتى تصير الكلمة متاصلة
في القلب مزيلة لحديث النفس ينوب معناها في القلب عن حديث النفس فاذا استولت
الكلمة وسهلت على اللسان يتشربها القلب فلو سكت اللسان لا يسكت القلب
ثم تتجوهر في القلب وبتجوهرها في القلب يتمكن نور اليقين في القلب حتى اذا
ذهبت صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها لتجوهرها ويتحد الذكر
مع رؤية عظمة المذكور سبحانه وتعالى وتصير الذكر حينئذ ذكر الذات
وهذا الذكر هو المشاهدة والمكاشفة والمعاينة اعني ذكر الذات بتجوهر نور

الذكر

الذكر وهذا هو المقصد الاقصى من الخلوة وقد يحصل هذا لا بذكر الكلمة بل بتلاوة
القرآن اذا اكثر من التلاوة واجتهد في مواطاة القلب مع اللسان حتى تجري التلاوة
على اللسان ويقوم معنى الكلام مقام حديث النفس فيدخل على العبد سهولة
في التلاوة والصلاة ويتنور الباطن بتلك السهولة في التلاوة والصلاة ويتجوهر
نور الكلام في القلب ويكون منه ايضا ذكر الذات ويجتمع نور الكلام في القلب
مع مطالعة عظمة المتكلم سبحانه وذوق هذه الموهبة ما يفتح على العبد من
العلوم الالهامية اللدنية والى حين بلوغ العبد هذا المبلغ من حقيقة الذكر
والتلاوة اذا صفا باطنه قد يغيب في الذكر من كمال انسه وحلاوة ذكره حتى
يلتحق في غيبته في الذكر بالنايم وقد تتجلى له الحقايق في لبسة الخيال اولا كما تنكشف
الحقايق للنايم في لبسة الخيال لمن راى في المنام انه قتل حية فيقول المعبر تظفر
بالعدو فظفره بالعدو كشف كاشفه الحق به وهذا الظفر روح مجرد صوغ
ملك الرويا له جسدا لهذا الروح من خيال الحية فالروح الذي هو كشف
الظفر اخبار الحق ولبسة الخيال الذي هو بمثابة الجسد مثال انبعث من
نفس الراي في المنام من استصحاب القوة الوهمية والخيالية من اليقظة فيولف
روح كشف الظفر مع جسد مثال الحية فافتقر الى التعبير اذ لو كوشف
بالحقيقة التي هي روح الظفر من غير هذا المثال الذي هو بمثابة الجسد
ما احتاج الى التعبير فكان يرى الظفر ويصح الظفر وقد يتجرد الخيال باستصحاب
الخيال والوهم من اليقظة في المنام من غير حقيقة فيكون المنام اضغاث
احلام لا يعبر • وقد يتجرد لصاحب الخلوة الخيال المنبعث من ذاته من
غير ان يكون وعاء الحقيقة فلا يبنى على ذلك ولا يلتفت اليه فليس ذلك واقعة
وانما هو خيال فاذا اذا غاب الصادق في ذكر الله تعالى حتى يغيب عن المحسوس
بحيث لو دخل عليه داخل من الناس لا يعلم به لغيبته في الذكر فعند ذلك قد
ينبعث في الابتداء من نفسه مثال وخيال ينفخ فيه روح الكشف فاذا
عاد من غيبته فاما ياتيه تفسيره من باطنه موهبة من الله تعالى واما يفسره
له شيخه كما يعبر المعبر المنام ويكون ذلك واقعة لانه كشف حقيقة في

لبسة مثال وشرط صحة الواقعة الاخلاص في الذكر اولا ثم الاستغراق في
الذكر ثانيا وعلامة ذلك الزهد في الدنيا وملازمة التقوى لان الله تعالى جعله
مما يكاشف به في واقعته مورد الحكمة • والحكمة تحكم بالزهد والتقوى •
وقد تتجرد للذاكر الحقائق من غير لبسة المثال فيكون ذلك كشفا واخبارا من
الله تعالى اياه • ويكون ذلك تارة بالرؤية وتارة بالسماع وقد يسمع من باطنه
وقد يطرق ذلك من الهواء لا من باطنه كالهواتف يعلم بذلك امرا يريد الله
احداثه له ولغيره فيكون اخبار الله اياه بذلك مزيدا ليقينه او يرى في المنام
حقيقة الشيء • نقل عن بعضهم انه اتي بشراب في قدح فوضعه من يده
وقال قد حدث في العالم حدث ولا اشرب هذا دون ان اعلم ما هو فانكشف
له ان قوما دخلوا مكة وفتكوا فيها • وحكي عن ابي سليمان الخواص قال
كنت راكبا حمارا لي يوما وكان يؤذيه الذباب فيطاطي راسه فكنت اضرب
راسه بخشبة كانت في يدي فرفع الحمار راسه الي وقال اضرب فانك على
راسك تضرب قيل له يا ابا سليمان وقع لك ذلك او سمعته فقال سمعته يقول
كما سمعتني • وحكي عن احمد بن عطاء الروذباري قال كان لي مذهب في
امر الطهارة فكنت ليلة من الليالي استنجي الى ان مضى ثلث الليل ولم يطب
قلبي فضجرت وبكيت وقلت يا رب العفو فسمعت صوتا ولم ار احدا يقول يا ابا
عبد الله العفو في العلم • وقد يكاشف الله تعالى عبده بايات وكرامات
تربية للعبد وتقوية ليقينه وايمانه • قيل كان عند جعفر الخلدي فص له
قيمة وكان يوما من الايام في السمارية في دجلة فهم ان يعطي الملاح قطعة حل
الخرقة فوقع الفص في دجلة وكان عنده دعاء للضالة مجرب فكان يدعو به
فوجد الفص في وسط اوراق كان يتصفحها والدعاء هو ان يقول يا جامع الناس
ليوم لا ريب فيه اجمع علي ضالتي • وسمعت شيخا بهمدان حكى لي انه كوشف في
بعض خلواته بولد له في جيحون كاد يسقط في الماء من السفينة قال فزجرته فلم
يسقط وكان هذا الشخص بنواحي همدان وولده في جيحون فلما قدم الولد اخبر
انه كاد ان يسقط في الماء فسمع صوت والده فلم يسقط • وقول عمر رضوان الله

عليه

عليه يا سارية الجبل على المنبر بالمدينة وسارية بنهاوند وقد اخذ سارية
نحو الجبل وظفر بالعدو وقيل لسارية كيف علمت ذلك فقال سمعت صوت
عمر وهو يقول يا سارية الجبل • سئل ابن سالم وكان قد قال ان للايمان
اربعة اركان • ركن منه الايمان بالقدرة • وركن منه الايمان بالحكمة وركن
منه التبري من الحول والقوة • وركن منه الاستعانة بالله عز وجل في جميع
الاشياء قيل له ما معنى قولك الايمان بالقدرة فقال هو ان تؤمن ولا تنكر
ان يكون لله عبد بالمشرق ويكون من كرامة الله اياه ان يعطيه من القوة ما
ينقلب من يمينه على يساره فيكون بالمغرب تؤمن بجواز ذلك وكونه وحكي لي
فقير انه كان بمكة وارجف على شخص ببغداد انه قد مات فكاشفه الله بالرجل
وهو راكب يمشي في سوق بغداد فاخبر اخوانه ان الشخص لم يمت وكان كذلك
ذكر لي هذا الشخص انه في تلك الحالة التي كوشف بالشخص راكبا قال رايته في السوق
وانا اسمع باذني صوت المطرقة من الحداد في سوق بغداد وكل هذه مواهب الله
عز وجل • وقد يكاشف بها قوما ويعطي • وقد يكون فوق هؤلاء من لا يكون له شيء
من هذا لان هذه كلها تقوية لليقين ومن منح صرف اليقين لا حاجة له الى شيء
من هذا فكل هذه الكرامات دون ما ذكرناه من تجوهر الذكر في القلب
ووجود ذكر الذات فان تلك الحكمة فيها تقوية المريدين وتربية السالكين
ليزدادوا بها يقينا يجذبون به الى مراغمة النفوس والسلو عن ملاذ الدنيا ويستهين
بذلك ساكن عزمهم لعمارة الاوقات بالقربات فيروحون بذلك ويرتقون بطريقه
ومن كوشف بصرف اليقين من ذلك فلكان ان نفسه اسرع اجابة واسهل انقيادا
واتم استعدادا • والاولون استلين بذلك منهم ما استوعر واستكشف منهم
ما استتر وقد لا تمنع صور ذلك الرهابين والبراهمة ممن هو غير منتهج سبل الهدى
وراكب طريق الردى ليكون ذلك في حقهم مكرا واستدراجا ليستحسنوا حالهم
ويستقروا في مقار الطرد والبعد ابقاء لهم فيما اراد منهم من العمى والضلال والردى
والوبال حتى لا يغتر السالك بيسير شيء يفتح له ويعلم انه لو مشى على الماء والهواء
لا ينفعه ذلك حتى يذوق حق التقوى والزهد • فاما من تعوق بخيال او قنع بخيال

ولم يحكم أساس خلوته بالإخلاص فيدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور فيرفض العبادات ويستحقرها ويسلبه الله تعالى لذة المعاملة ويذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتضح في الدنيا والآخرة فيعلم الصادق أن المقصود من الخلوة التقرب إلى الله تعالى بعمارة الأوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من أرباب الخلوة إدامة الأوراد وتوزيعها على الأوقات ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم دوام المراقبة ويصلح لقوم الانتقال من الأوراد إلى الذكر ومعرفة مقادير ذلك يعلمه المصحوب الشيخ المطلع على اختلاف الأوضاع وتنوعها مع نصحه الأمة وشفقته على الكافة يريد المريد لله لا لنفسه غير مبتلٍ بهوى نفسه محبًا للاستتباع فما يفسده مثل هذا أكثر مما يصلحه والله الموفق والمعين

الباب الثامن والعشرون في كيفية الدخول في الأربعينية

روي أن داود عليه السلام لما ابتلي بالخطيئة خر لله ساجدًا أربعين يومًا وليلة حتى أتاه الغفران من ربه • قد تقرر أن الوحدة والعزلة ملاك الأمر ومتمسك أرباب الصدق فمن استمرت أوقاته على ذلك لجميع عمره خلوة وهو الأتم لدينه فإن لم يتيسر له ذلك وكان مبتلى بنفسه أولًا ثم بالأهل والأولاد ثانيًا فليجعل لنفسه من ذلك نصيبًا • نقل عن سفيان الثوري فيما روى أحمد بن حرب عن خالد بن زيد عنه أنه قال يقال ما أخلص عبد لله أربعين صباحًا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه وزهده الله تعالى في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره داء الدنيا ودواءها فيتعاهد هذا العبد نفسه في كل سنة مرة • وأما المريد الطالب إذا أراد أن يدخل الخلوة فأكمل الأمر في ذلك أن يتجرد من الدنيا ويخرج عما يملكه ويغتسل غسلًا كاملًا بعد الاحتياط للثوب والمصلى بالنظافة والطهارة ويصلي ركعتين ويتوب إلى الله تعالى من ذنوبه ببكاء وتضرع واستكانة وتخشع ويسوي بين السريرة والعلانية ولا ينطوي على غل وغش وحقد وحسد وخيانة ثم يقعد في موضع خلوته ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة وصلاة الجماعة وترك المحافظة على صلاة الجماعة غلط وخطأ فإن وجد تفرقة في خروجه يكون له شخص يصلي معه جماعة في خلوته ولا يرضى بالصلاة منفردًا البتة فإن بترك الجماعة يخشى عليه آفات وقد رأينا من يتشوش عقله

ينبغي أن صح

في

في خلوته ولعل ذلك بشؤم إصراره على ترك صلاة الجماعة غير أنه ينبغي أن يخرج من خلوته لصلاة الجماعة وهو ذاكر لا يفتر عن الذكر ولا يكثر إرسال الطرف إلى ما يرى ولا يصغي إلى ما يسمع لأن القوة الحافظة والمتخيلة كلوح ينتقش بكل مرئي ومسموع فيكثر لذلك الوساوس وحديث النفس والخيال ويجتهد أن يحضر الجماعة بحيث يدرك مع الإمام تكبيرة الإحرام فإذا سلم الإمام وانصرف ينصرف إلى خلوته ويتقي في خروجه استحلاء نظر الخلق إليه وعلمهم بجلوسه وخلوته فقد قيل لا تطمع في المنزلة عند الله وأنت تريد المنزلة عند الناس وهذا أصل يفسد به كثير من الأعمال إذا أهمل ويصلح به كثير من الأحوال إذا اعتبر ويكون في خلوته جاعلًا وقته شيئًا واحدًا موهوبًا لله بإدامة فعل الرضا إما تلاوة أو ذكرًا أو صلاة أو مراقبة وأي وقت فرغ عن هذه الأقسام ينام فإن أراد يعين أعدادًا من الركعات ومن التلاوة والذكر شيئًا فشيئًا فعل وإن أراد أن يكون بحكم الوقت يعتمد أخف ما على قلبه من هذه الأقسام فعل فإذا فرغ عن ذلك ينام وإن أراد يبقى في ركوع واحد أو سجود واحد أو ركعة واحدة أو ركعتين ساعة أو ساعتين فعل ويلازم في خلوته دوام الوضوء ولا ينام إلا عن غلبة بعد أن يدفع النوم عن نفسه مرات فيكون هذا شغله ليله ونهاره • وإذا كان ذاكرًا كلمة لا إله إلا الله ويتعب النفس الذكر باللسان يقولها بقلبه من غير حركة اللسان • وقد قال سهل بن عبد الله إذا قلت لا إله إلا الله مد الكلمة وانظر إلى قدم الحق فأثبته وأبطل ما سواه وليعلم أن الأمر كالسلسلة تتداعى حلقة حلقة فليكن دأبه التلازم بفعل الرضا وأما القوت من الأربعينية والخلوة فالأولى أن يقنع بالخبز والملح ويتناول كل ليلة رطلًا واحدًا يتناوله بعد العشاء الآخر وإن قسمه نصفين يأكل أول الليل نصف رطل وآخر الليل نصف رطل فيكون ذلك أخف للمعدة وأعون على قيام الليل وإحياء بالذكر والصلاة وإن أراد أخر فطوره إلى السحر وإن لم يصبر على ترك الإدام يتناول الإدام وإن كان الإدام شيئًا يقوم مقام الخبز ينقص من الخبز بقدر ذلك فإن أراد التقلل من هذا القدر أيضًا ينقص كل ليلة دون اللقمة بحيث ينتهي تقلله في العشر الأخير من الأربعين إلى نصف رطل وإن قوي قنع النفس بنصف رطل من أول الأربعين

ونقص يسيراً كل ليلة بالتدريج حتى يعود فطوره الى ربع رطل في العشر الاخير
وقد اتفق مشايخ الصوفية على ان بناء امرهم على اربعة اشياء قلة الطعام وقلة الكلام
وقلة المنام • والاعتزال عن الناس وقد جعل للجوع وقتان احدهما آخر الاربع
وعشرين ساعة فيكون الرطل لكل ساعتين اوقية باكلة واحدة يجعله بعد العشاء
الاخر او يقسمها اكلتين كما ذكرنا والوقت الاخر على راس اثنين وسبعين ساعة
فيكون طي ليلتين والافطار في الليلة الثالثة ويكون لكل يوم وليلة ثلث رطل وبين
هذين الوقتين وقت وهو ان يفطر من كل ليلتين ليلة ويكون لكل يوم وليلة نصف رطل
وهذا ينبغي ان يفعله اذا لم ينتج ذلك عليه سآمة وضجراً وقلة انشراح في الذكر والمعاملة
فاذا وجد شيئاً من ذلك فليفطر كل ليلة ويأكل الرطل في الوقتين او وقت واحد والنفس
اذا اخذت بالافطار من كل ليلتين ليلة ثم ردت الى افطار كل ليلة تقنع وان
سومحت بافطار كل ليلة لا تقنع بالرطل وتطلب الادام والشهوات وقيل على هذا
نفي ان اطمعت طمعت وان قنعت قنعت • وقد كان بعضهم ينقص كل ليلة حتى ترد
النفس الى اقل قوتها • ومن الصالحين من كان يعتبر القوت بنوى التمر ينقص كل ليلة
نواة • ومنهم من كان يعتبر بعود رطب وينقص كل ليلة بقدر نشاف العود • ومنهم
من كان ينقص كل ليلة ربع سبع الرغيف حتى يفنى الرغيف في شهر ومنهم من كان
يؤخر الاكل ولا يعمل في تقليل القوت ولكن يعمل في تاخيره بالتدريج حتى تندرج ليلة
في ليلة وقد فعل ذلك طائفة حتى انتهى طيهم الى سبعة ايام وعشرة ايام وخمسة عشر
يوماً الى الاربعين • وقد قيل لسهل بن عبد الله هذا الذي يأكل في كل اربعين واكثر
اين يذهب لهب الجوع عنه قال تطفيه النور • وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك
فذكر لي كلاماً بعبارة دلت على انه يجد فرحاً يرى به ينطفي معه لهب الجوع وهذا في
الخلق واقع ان الشخص يطرقه فرح وقد كان جائعاً فيذهب عنه الجوع وهكذا
في طرق الخوف يقع ذلك ومن فعل ذلك وروح نفسه في شيء من هذه الاقسام
التي ذكرناها لا يؤثر ذلك في نقصان عقله واضطراب جسمه اذا كان في حماية
الصدق والاخلاص وانما يخشى في ذلك وفي دوام الذكر على من لا يخلص لله وقد قيل
حد الجوع ان لا يميز بين الخبز وغيره مما يوكل ومتى عينت النفس الخبز فليس بجائع وهذا

المعنى

المعنى قد يوجد في آخر الحدين بعد ثلاثة ايام • وهذا جوع الصديقين وطلب
الغذاء عند ذلك يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام بفرائض العبودية
ويكون هذا حد الضرورة لمن لا يجتهد في التقليل بالتدريج • فاما من درج نفسه
في ذلك فقد يصبر على اكثر من هذا الى الاربعين كما ذكرنا • وقد قال بعضهم
حد الجوع ان يبزق فاذا لم يقع الذباب على بزاقه يدل على خلو المعدة من الدسومة
وصفاء البزاق كالماء الذي لا يقصده الذباب روي ان سفيان الثوري وابراهيم
بن ادهم كانا يطويان ثلاثاً ثلاثاً • وكان ابو بكر يطوي ستاً • وكان عبد الله بن الزبير
يطوي سبعة ايام • واشتهر حال جدنا محمد بن عبد الله المعروف بعمويه وكان
صاحب احمد الاسود الدينوري انه كان يطوي اربعين يوماً • واقصى ما بلغ في
هذا المعنى من الطي رجل ادركنا زمانه وما رايناه كان في ابهر يقال له الزاهد
خليفة كان يأكل في كل شهر لوزة ولم نسمع انه بلغ في هذه الامة احد بالطي والتدرج
الى هذا الحد وكان في اول امره على ما حكي ينقص القوت بنشاف العود ثم طوى حتى
انتهى الى اللوزة في الاربعين فقد يسلك هذا الطريق جمع من الصادقين • وقد
يسلك غير الصادق هذا لوجود هوى مستكن في باطنه يهون عليه ترك الاكل
اذا كان له استحلاء نظر الخلق وهذا عين النفاق نعوذ بالله من ذلك • والصادق ربما
يقدر على الطي اذا لم يعلم بحاله احد وربما يضعف اذا علم انه يطوي فان صدقه
في الطي ونظره الى من يطوي لاجله يهون عليه الطي فاذا علم به احد تضعف عزيمته
في ذلك وهذا علامة الصادق فمهما احس في نفسه انه يحب ان يرى بعين التقلل
فليتهم نفسه فان فيه شائبة نفاق ومن يطوي لله خالصاً يعوضه الله تعالى
فرحاً في باطنه ينسيه الطعام وقد لا ينسى الطعام ولكن لامتلاء قلبه بالانوار
يقوى جاذب الروح الروحاني فيجذبه الى مركزه ومستقره من العالم الروحاني
ويتبعوا بذلك عن ارض الشهوة النفسانية ومما انجذاب الروح اذا تخلف
عنه جاذب النفس عند كمال طمأنينتها وانعكاس انوار الروح عليها بواسطة
القلب المستنير باقل من جاذب المغناطيس للحديد اذ المغناطيس يجذب
الحديد لروح في الحديد مشاكل للمغناطيس تجذبه بنسبة الجنسية الخاصة

فاذا انجلت النفس بانعكاس نور الروح الواصل اليه بواسطة القلب يصير في النفس روح استمدها القلب من الروح واداها الى النفس فتجذب الروح النفس بجنسية الروح الحادث فيه فيزدري الاطعمة الدنياوية والشهوات الحيوانية ويتحقق عنده معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا يبعد على ما وصفناه الا عبد يصير اقواله واعماله وسائر احواله ضرورة ولو تكلم مثلا بكلمة من غير ضرورة التهب فيه نار الجوع التهاب الحلفا بالنار لان النفس الواقدة تستيقظ بكل ما يوقظها فاذا استيقظت انتزعت الى هواها فالعبد المراد بهذا اذا فطن لسياسة النفس ورزق العلم سهل عليه الطي وتداركه المعونة من الله تعالى لا سيما ان كوشف بشيء من المنح الالهية وقد حكى لي فقير انه اشتد به الجوع وكان لا يطلب ولا يتسبب قال فلما انتهى جوعي الى الغاية بعد ايام فتح الله علي بتفاحة قال فتناولت التفاحة وقصدت اكلها فلما كسرتها كوشفت بحوراء نظرت اليها عقيب كسر التفاحة فحدث عندي من الفرح بذلك ما استغنيت به عن الطعام اياما وذكر لي ان الحوراء خرجت من وسط التفاحة والايمان بالقدرة ركن من اركان الايمان فسلم ولا تنكر • وقال سهل بن عبد الله من طوى اربعين يوما ظهرت له القدرة من الملكوت • وكان يقال لا يزهد العبد حقيقة الزهد الذي لا مثنوية فيه الا مشاهدة قدرة من الملكوت • قال الشيخ ابو طالب المكي عرفنا من طوى اربعين يوما برياضة النفس في تاخير القوت كان يؤخر فطره كل ليلة الى نصف سبع الليل حتى يطوي ليلة في نصف شهر فيطوي الاربعين في سنة واربعة اشهر فتندرج الايام والليالي حتى تكون الاربعون بمنزلة يوم واحد • وذكر ان الذي فعل ذلك ظهر له ايات من الملكوت وكوشف بمعاني قدرة من الجبروت تجلى الله له بها كيف شاء • واعلم بان هذا المعنى من الطي والتقليل لو انه عن الفضيلة ما فات احدا من الانبياء ولكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ من ذلك الى اقصى غاياته ولا شك ان لذلك فضيلة لا تنكر ولكن لا تنحصر مواهب الحق سبحانه وتعالى في ذلك فقد يكون من يأكل كل يوم افضل ممن يطوي اربعين يوما وقد يكون من لا يكاشف بشيء من معاني القدر افضل ممن يكاشف بها اذا كاشفه الله تعالى بصرف المعرفة • والقدرة اثر من القادر ومن اقبل لقرب القادر لا يستغرب ولا يستنكر شيئا من القدرة وترى القدرة تجلى له من تحف اجزاء عالم الحكمة فاذا اخلص العبد لله تعالى اربعين صباحا واجتهد في ضبط احواله بشيء من الانواع التي ذكرنا من العمل والذكر والقوت وغير ذلك تعود بركة ذلك الاربعين على جميع اوقاته وساعاته وهو طريق حسن اعتمده طايفة من الصالحين وكان جماعة من الصالحين يختارون الاربعين ان يكون ذا القعدة وعشر ذي الحجة وهو اربعون موسى • اخبرنا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب اجازة قال انا ابو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون اجازة قال انا ابو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال ثنا ابو عمر محمد بن العباس قال ثنا ابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال ثنا الحسين بن الحسن المروزي قال انا عبد الله بن المبارك قال انا ابو معوية الضرير قال ثنا الحجاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلص لله العبادة اربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه • والله الموفق

الباب التاسع والعشرون في اخلاق الصوفية وشرح الخلق

الصوفية اوفر الناس حظا من الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واحقهم باحياء سنته • والتخلق باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن الاقتداء به واحياء سنته • على ما اخبرنا الصدر الاوحد العالم ضياء الدين شيخ الاسلام ابو احمد عبد الوهاب بن علي بن علي قال انا ابو الفتح عبد الملك بن ابي القسم الهروي قال انا ابو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقي قال انا ابو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي قال انا ابو العباس محمد بن احمد المحبوبي قال انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي قال ثنا مسلم بن حاتم الانصاري البصري ثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن احيى سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي في الجنة فالصوفية احيوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم وفقوا في بداياتهم لرعاية اقواله وفي وسط حالهم اقتدوا باعماله فاثمر لهم ذلك ان تحققوا في نهاياتهم باخلاقه • وتحسين الاخلاق لا يتاتى الا بعد تزكية النفس • وطريق التزكية

بالاذعان لسياسة الشرع وقد قال الله تعالى لنبيه وانك لعلى خلق عظيم
لما كان أشرف الناس وازكاهم نفسا كان احسنهم خلقا • قال مجاهد
على خلق عظيم اي على دين عظيم والدين مجموع الاعمال الصالحة والاخلاق
الحسنة • سئلت عايشة رضوان الله عليها عن خلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن • قال قتادة هو ما كان يأتمر من امر
الله وينتهي عما نهى الله وفي قول عايشة كان خلقه القران سر كبير وعلم
غامض ما نطقت بذلك الا لما خطها الله تعالى به من بركة الوحي السماوي وصحبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيصه اياها بكلمة خذوا شطر دينكم من
هذه الحميراء • وذلك ان النفوس مجبولة على غرائز وطبايع هي من لوازمها وضرورتها
لانها خلقت من تراب ولها بحسب ذلك طبع وخلقت من صلصال ولها
بحسب ذلك طبع وهكذا من حما مسنون ومن صلصال كالفخار وبحسب
تلك الاصول التي هي مبادي تكونها استفادت صفات من البهيمية والسبعية
والشيطانية والصفة الشيطنة في الانسان اشارة بقوله تعالى من صلصال
كالفخار لدخول النار في الفخار • وقد قال تعالى وخلق الجان من مارج من
نار والله تعالى بخفي لطفه وعظيم عنايته نزع نصيب الشيطان من رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ما ورد في حديث حليمة ابنة الحارث انها قالت في
حديث طويل فبينا نحن خلف بيوتنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخ
له من الرضاعة في بهم لنا جانا اخوه يشتد فقال ذلك اخي القرشي قد جاءه
رجلان عليهما ثياب بياض فاضجعاه فشقا بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه
فنجده قايما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه وقال اي بني ما شانك قال جاني رجلان
عليهما ثياب بياض فاضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم
رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون ابني
هذا اصيب انطلقي بنا فلنرده الى اهله قبل ان يظهر به ما نتخوف قالت فاحتملناه
فلم ترع امه الا به قد قدمنا به عليها قالت ما ردكما قد كنتما عليه حريصين قلنا
لا والله يا ظئر الا ان الله عز وجل قد ادى عنا وقضينا الذي علينا وقلنا نخشى

الاتلاف

الاتلاف والاحداث نرده الى اهله فقالت ما ذاك بكما فاصدقاني شانكما فلم
تدعانا حتى اخبرناها خبره فقالت خشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان
عليه سبيل وانه لكاين لابني هذا شان الا اخبركما خبره قلنا بلى قالت حملته
فما حملت حملا قط اخف منه فاريت في النوم حين حملت به كانه خرج مني نور
اضاءت له قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعا ما يقعه المولود معتمدا
على يديه رافعا راسه الى السماء فدعاه عنكما فبعد تطهير الله رسوله صلى الله
عليه وسلم عن نصيب الشيطان بقيت النفس الزكية النبوية على حد نفوس
البشر لها ظهور بصفات واخلاق منقاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحمة للخلق لوجود امهات تلك الصفات في نفوس الامة بمزيد من الظلمة لتفاوت
حال النبي صلى الله عليه وسلم وحال الامة فاستمدت تلك الصفات
المبقاة ظهورها في رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل الايات المحكمات
بازايها لقمعها تاديبا من الله تعالى لنبيه رحمة خاصة له وعامة للامة موزعا
نزول الايات على الآناء والاوقات عند ظهور الصفات قال الله تعالى
وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك
ورتلناه ترتيلا وتثبيت الفؤاد بعد اضطرابه لحركة النفس بظهور الصفات
لارتباط بين القلب والنفس وعند كل اضطراب آية متضمنة لخلق صالح
سني إما تصريحا او تعريضا كما تحركت النفس الشريفة النبوية لما كسرت رباعيته
وصار الدم يسيل على الوجه المبارك ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل
الله تعالى ليس لك من الامر شيء فاكتسى القلب النبوي لباس الاصطبار وفاء
بعد الاضطراب الى القرار فلما توزعت الايات على ظهور الصفات في مختلف
الاوقات صفت الاخلاق النبوية بالقران ليكون خلقه القران ويكون في
ابقاء تلك الصفات في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى من قوله عليه
الصلاة والسلام انما انسيت لاسن فظهور صفات نفسه الشريفة استنزلت
الايات لتاديب نفوس الامة وتهذيبها رحمة في حقهم حتى تتزكى نفوسهم وتشرف

لاخلاقهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخلاق مخزونة عند الله
تعالى فاذا اراد الله بعبد خيرا منحه منها خلقا وقال عليه الصلاة والسلام
انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وروي عنه عليه الصلاة والسلام ان
لله تعالى مائة وسبعة عشر خلقا من اتاه واحدا منها دخل الجنة فتقديرها
وتحديدها لا يكون الا بوحي سماوي لمرسل ونبي والله تعالى ابرز الى الخلق اسماءه
منبية عن صفاته سبحانه وتعالى وما اظهرها لهم الا ليدعوهم اليها ولولا
ان الله تعالى اودع في القوى البشرية التخلق بهذه الاخلاق ما ابرزها لهم
دعوة لهم اليها يختص برحمته من يشاء ولا يبعد والله اعلم ان قول عايشة
رضوان الله عليها كان خلقه القران فيه رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق
الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله فعبرت
عن المعنى بقولها كان خلقه القران استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف
المقال وهذا من وفور علمها وكمال ادبها وبين قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا
من المثاني والقران العظيم وبين قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم مناسبة
مشعرة بقول عايشة كان خلقه القران قال الجنيد رحمة الله عليه سمي خلقه
عظيما لانه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقال الواسطي لانه جاد بالكونين
عوضا عن الحق وقيل لانه عليه الصلاة والسلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم
بقلبه وهذا ما قال بعضهم في معنى التصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق
وقيل عظم خلقه حيث صغرت الاكوان في عينه لمشاهدة الاكوان وقيل سمي
خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه وقد ندب رسول الله صلى الله
عليه وسلم امته الى حسن الخلق في حديث اخبرنا به الصدر الاوحد ضياء
الدين عبد الوهاب بن علي انا ابو الفتح الهروي انا ابو نصر الترياقي انا ابو محمد
الجراحي انا ابو العباس المحبوبي انا ابو عيسى محمد بن عيسى الحافظ الترمذي انا
احمد بن الحسن بن خراش انا حيان بن هلال ثنا مبارك بن فضالة قال حدثني
عبد الله بن سعيد عن محمد بن المنكدر عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان من احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم

اليّ

الي وابعدكم مني مجلسا يوم القيمة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول
الله علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون والثرثار هو
المكثار بكثرة من الحديث والمتشدق المتطاول على الناس في الكلام وقال الواسطي
الخلق العظيم ان لا تخاصم ولا تخاصم وقال ايضا وانك لعلى خلق عظيم لوجدانك
حلاوة المطالعة على سرك لا وقال ايضا لانك قبلت فنون ما اسديت اليك من
نعمي احسن مما قبله غيرك من الانبياء والرسل وقال الحسين لانه لم يؤثر فيك جفاء
الخلق مع مطالعة الحق وقيل الخلق العظيم لباس النعوت والتخلق باخلاق الله
اذ لم يبق للاغراض عنده خطر وقال بعضهم قوله تعالى ولو تقول علينا بعض
الاقاويل لاخذنا منه باليمين اتم لانه حيث قال وانك اخضره واذا احضره
اغفله وحجبه وقوله لاخذنا اتم لان فيه فناء وفي قول هذا القايل نظر فلا فان
ان كان في ذلك فناء ففي قوله وانك ابقاء وبقاء بعد فناء والبقاء اتم من الفناء وهذا
الليق بمنصب الرسالة لان الفناء انما عز لمزاحمة وجود مذموم فاذا نزع المذموم
من الوجود وتبدلت النعوت اي عزة تبقى في الفناء فيكون حضوره بالله لا بنفسه
فاي حجبة تبقى هنالك وقيل من اوتي الخلق فقد اوتي اعظم المقامات لان المقامات
ارتباط عام والخلق ارتباط بالنعوت والصفات وقال الجنيد اجتمع فيه
اربعة اشياء السخاء والالفة والنصيحة والشفقة وقال ابن عطا الخلق العظيم
ان لا يكون له اختيار ويكون تحت الحكم مع فناء النفس وفناء المالوفات وقال ابو
سعيد القرشي العظيم هو الله ومن اخلاقه الجود والكرم والصفح والعفو والاحسان
الا ترى الى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان لله مائة وبضعة عشر خلقا من اتى بواحد
منها دخل الجنة فخلق باخلاق الله فوجد الثناء عليه بقوله وانك لعلى خلق عظيم
وقيل عظم خلقك لانك لم ترض بالاخلاق وسرت ولم تسكن الى النعوت حتى وصلت
الى الذات وقيل لما بعث الله محمدا الى الحجاز حجزه بها عن اللذات والشهوات والفاه
في الغربة والجفوة فلما صفى بذلك عن دنس الاخلاق قال له وانك لعلى خلق عظيم
واخبرنا الشيخ الصالح ابو زرعة بن الحافظ ابي الفضل محمد بن طاهر المقدسي عن ابيه
انا ابو عمر المليحي انا ابو محمد عبد الله بن يوسف انا ابو سعيد بن الاعرابي ثنا جعفر

بن الحجاج الرقي ثنا ايوب بن محمد الوزان قال ثنى ثابت عن زيد عن
الاوزاعي عن الزهري عن عروة عن عايشة رضي الله عنها قالت كان نبي الله عليه
الصلاة والسلام يقول مكارم الاخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه
وتكون في الابن ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى
لمن اراد به السعادة • صدق الحديث وصدق الباس • وان لا يشبع وجاره
وصاحبه جايعان • واعطاء السايل والمكافاة بالصنايع • وحفظ الامانة وصلة
الرحم • والتذمم للصاحب • واقراء الضيف وراسهن الحياء • وسيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق
وسيل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج • وفسر عبد الله بن
المبارك حسن الخلق فقال هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى و
فالصوفية راضوا انفسهم بالمكابدات والمجاهدات حتى اجابت الى تحسين الاخلا
وكم من نفس تجيب الى الاعمال ولا تجيب الى الاخلاق فنفوس العباد اجابت الى
الاعمال وجمحت عن الاخلاق • ونفوس الزهاد اجابت الى بعض الاخلاق دون
البعض ونفوس الصوفية اجابت الى الاخلاق الكريمة كلها • كما اخبرنا ابو زرعة اجازة
عن ابي بكر بن خلف اجازة عن السلمي قال سمعت حسين بن احمد بن جعفر يقول
سمعت ابا بكر الكتاني يقول التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في
التصوف • والعباد اجابت نفوسهم الى الاعمال لانهم يسلكون بنور الاسلام •
والزهاد اجابت نفوسهم الى بعض الاخلاق لكونهم سلكوا بنور الايمان • والصوفية
اهل القرب سلكوا بنور الاحسان فلما باشر بواطن اهل القرب والصوفية نور اليقين
وتاصل في بواطنهم ذلك انصلح القلب بكل اجزايه وجوانبه لان القلب يبيض
بعضه بنور الاسلام وبعضه بنور الايمان وكله بنور الاحسان والايقان فاذا
ابيض القلب وتنور انعكس نوره على النفس وللقلب وجه الى النفس ووجه الى الروح
وللنفس وجه الى القلب ووجه الى الطبع والغريزة • والقلب اذا لم يبيض كله لم
يتوجه الى الروح بكله ويكون ذا وجهين وجه الى الروح ووجه الى النفس فاذا
ابيض كله توجه الى الروح بكله فتدارك مدد الروح وتزداد اشراقا وتنورا وكلما

انجذب

انجذب القلب الى الروح انجذبت النفس الى القلب وكلما انجذبت توجهت
الى القلب بوجهها الذي يليه وتتنور النفس لتوجهها الى القلب بوجهها الذي
يلي القلب وعلامة تنورها طمانينتها قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمينة
ارجعي الى ربك راضية مرضية • وتنور وجهها الذي يلي القلب بمثابة نورانية
احد وجهي الصدف لاكتساب النورانية من اللولو وبقاء شي من الظلمة على
على النفس لنسبة وجهها الذي يلي الغريزة والطبع كظاهر الصدف
على ضرب من الكدر والنقصان مخالف لنورانية باطنه • واذا تنور احد وجهي
النفس تجيب الى تحسين الاخلاق وتبديل النعوت ولذلك سموا الابدال ابدالا
والسر الاكبر في ذلك ان قلب الصوفي بدوام الاقبال على الله تعالى ودوام
الذكر بالقلب واللسان يرتقي الى ذكر الذات ويصير حينيذ بمثابة العرش فالعرش
قلب الكاينات في عالم الخلق والحكمة والقلب عرش في عالم الامر والقدرة
وقال سهل بن عبد الله التستري القلب كالعرش والصدر كالكرسي
وقد ورد لا يسعني ارضي ولا سماي ويسعني قلب عبدي المومن • فاذا اكتحل
القلب بنور ذكر الذات وصار بحرا مواجا من نسمات القرب جرى في جداول
اخلاق النفس صفاء النعوت والصفات وتحقق التخلق باخلاق الله • حكي عن
الشيخ ابي علي الفارمذي انه حكى عن شيخه ابي القسم الكركاني انه قال ان الاسماء
التسعة والتسعين تصير اوصافا للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل
ويكون الشيخ يعني بهذا ان العبد ياخذ من كل اسم وصفا يلايم ضعف البشر
وقصوره مثل ان ياخذ من اسم الله تعالى الرحيم معنى من الرحمة على قدر قصور البشر
وكل اشارات المشايخ في الاسماء والصفات التي هي اعز علومهم على هذا المعنى
وكل من توهم بذلك شيا من الحلول تزندق والحد • وقد اوصى رسول الله
صلى الله عليه وسلم معاذا بوصية جامعة لمحاسن الاخلاق فقال له يا معاذ
اوصيك بتقوى الله • وصدق الحديث • والوفاء بالعهد • واداء الامانة • وترك
الخيانة • وحفظ الجوار • ورحمة اليتيم • ولين الكلام • وبذل السلام • وحسن
العمل • وقصر الامل • ولزوم الايمان • والتفقه في القران • وحب الاخرة

والجزع من الحساب • وخفض الجناح وإياك أن تسبّ حكيمًا • أو تكذّب صادقًا
أو تطيع آثمًا • أو تعصي إمامًا عادلًا • أو تفسد أرضًا • أوصيك باتّقاء الله عند كل
حجر وشجر ومدر • وأن تحدث لكل ذنب توبة السرّ بالسرّ • والعلانية بالعلانية
بذلك أدّب الله عباده ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وروى
معاذ أيضًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حُفّ الإسلام بمكارم الأخلاق
ومحاسن الآداب • أخبرنا العالم الأوحد ضياء الدين عبد الوهاب بن علي بإسناده
المتقدم إلى الترمذي قال ثنا أبو كريب قال ثنا قبيصة بن الليث عن مطرف عن عطاء
عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة
صاحب الصوم والصلاة • وقد كان من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه كان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل ولم يجد من يعطيه ويأتيه
الليل لا يأوي إلى منزله حتى يتبرّأ منه ولا يأخذ من الدنيا أكثر ما يكون قوت عامه من
أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع ما عدا ذلك في سبيل الله لا يسأل شيئًا إلا أعطى
ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام وكان يخصف
النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهن وكان أشد الناس
حياءً وأكثرهم تواضعًا صلى الله عليه وسلم • • • • • •

الباب الثلاثون في تفاصيل أخلاق الصوفية

من أحسن أخلاق الصوفية التواضع ولا يلبس العبد لبسة أجمل من التواضع ومن ظفر
بكنز التواضع والحكمة يقيم نفسه عند كل أحد مقدارًا يعلم أنه يقيمه ويقيم كل أحد
على ما عنده من نفسه • ومن رزق هذا فقد استراح وأراح وما يعقلها إلا العالمون
أخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي أنا عثمان بن عبيد الله أنا عبد الرحمن بن إبراهيم
ثنا عبد الرحمن بن حمدان ثنا أبو حاتم الرازي ثنا النضر بن عبد الجبار ثنا ابن لهيعة عن
يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعيد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال إن الله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض • وقال
عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله قال على

البر

البر والتقوى والرهبة وذلّة النفس • وكان من تواضع رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن
أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين •
أخبرنا أبو زرعة إجازة عن ابن خلف إجازة عن السلمي أنا أحمد بن علي المقرئ قال
ثنا محمد بن المنهال قال ثني أبي عن محمد بن جابر اليمامي عن سليمان بن عمرو بن شعيب عن
أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من رأس التواضع
أن تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك وأن ترضى بالدون من المجلس
وأن لا تحب المحمدة والتزكية • وورد أيضًا عنه عليه الصلاة والسلام طوبى لمن تواضع
من غير منقصة وذلّ في نفسه من غير مسكنة • وسئل الجنيد عن التواضع فقال
خفض الجناح ولين الجانب • وسئل الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له
وتقبله ممن قاله وتسمع منه • وقال أيضًا من رأى لنفسه قيمة فما له في التواضع
نصيب • وقال وهب بن منبه مكتوب في كتب الله إني أخرجت الذر من صلب
آدم فلم أجد قلبًا أشد تواضعًا إليّ من قلب موسى فلذلك اصطفيته وكلمته وقيل
من عرف كون نفسه لم يطمع في العلو والشرف ويسلك سبيل التواضع فلا
يخاصم من يذمه ويشكر الله لمن يحمده • وقال أبو حفص من أحب أن يتواضع
قلبه فليصحب الصالحين وليلتزم بخدمتهم فمن شدة تواضعهم في أنفسهم يقتدي بهم
ولا يتكبر • وقال لقمن لكل شيء مطية ومطية العمل التواضع وقال النوري
خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا عالم زاهد • وفقيه صوفي • وغني متواضع
وفقير شاكر • وشريف سني • وقال الجلاء لولا شرف التواضع كنا إذا مشينا
نخطر • وقال يوسف بن أسباط وقد سئل ما غاية التواضع قال أن
تخرج من بيتك فلا تلقى أحدًا إلا رأيته خيرًا منك • ورأيت شيخنا ضياء الدين أبا النجيب
وكنت معه في سفره إلى الشام وقد بعث بعض أبناء الدنيا له طعامًا على رؤوس
الأسارى من الإفرنج وهم في قيودهم فلما مدّت السفرة والأسارى ينتظرون
الأواني حتى تفرغ قال للخادم احضر الأسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء
فجاء بهم وأقعدهم على السفرة صفًا واحدًا وقام الشيخ من سجادته ومشى إليهم

وقعد بينهم كالواحد منهم فأكل وأكلوا وظهر لنا على وجهه ما نازلت باطنه من
التواضع لله والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه وعلمه وعمله
أخبرنا أبو زرعة إجازة عن أبي بكر بن خلف إجازة عن السلمي قال سمعت أبا الحسين
الفارسي يقول سمعت الجريري يقول صح عند أهل المعرفة أن لله من رأس ماله خمسة
في الظاهر وخمسة في الباطن فأما اللواتي في الظاهر فصدق في اللسان وسخاوة
في الملك وتواضع في الأبدان وكف الأذى واحتماله بلا إباء وأما اللواتي
في الباطن فحب وجود سيده وخوف الفراق من سيده ورجاء الوصول
إلى سيده والندم على فعله والحياء من ربه وقال يحيى بن معاذ التواضع ق
حسن ولكن في الأغنياء أحسن والتكبر سمج ولكن في الفقراء أسمج قال ذو النون
ثلاثة من علامات التواضع تصغير النفس معرفة بالعيب وتعظيم الناس حرمة
للتوحيد وقبول الحق والنصيحة من كل أحد وقيل لأبي يزيد متى يكون الرجل
متواضعا قال إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا من علمه بشرها وازدرائها
ولا يرى أن في الخلق أشر منه قال بعض الحكماء وجدنا التواضع مع الجهل
والبخل أحمد من الكبر مع الأدب والسخاء وقيل لبعض الحكماء هل تعرف نعمة
لا تحسد عليها وبلاء لا يرحم عليه قال نعم أما النعمة فالتواضع وأما البلاء فالكبر
والكشف عن حقيقة التواضع أن التواضع رعاية الاعتدال بين الكبر والضعة
فالكبر رفع الإنسان نفسه فوق قدره والضعة وضع الإنسان نفسه مكانا يزري
به ويفضي إلى تضييع حقه وقد أفهم من كثير من المشايخ في شرح التواضع أشياء إشارات
إلى حد أقاموا التواضع مقام الضعة ويلوح فيه الهوى من أوج الإفراط إلى
التفريط ويوهم انحرافا عن حد الاعتدال ويكون قصدهم في المبالغة قمع
نفوس المريدين خوفا عليهم من العجب والكبر فقل أن ينفك مريد في مبادي ظهور
سلطان الحال من العجب حتى لقد نقل عن جمع من الكبار كلمات مؤذنة بالإعجاب
وكلما نقل من ذلك القبيل عن المشايخ لبقايا السكر عندهم وانحصارهم في مضيق
سكر الحال وعدم الخروج إلى فضاء الصحو في ابتداء أمرهم وكذلك إذا حذق
صاحب البصيرة نظره يعلم أنه من استراق النفس السمع عند نزول الوارد
على القلب

على القلب والنفس إذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت
بصفتها على وجه لا يخفى على الوقت وصلافة الحال فيكون من ذلك كلمات مؤذنة
بالعجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء مثلي وقول بعضهم قدمي على رقبة
جميع الأولياء وكقول بعضهم أسرجت وألجمت وطفت في أقطار الأرض
وقلت هل من مبارز فلم يخرج إلي أحد إشارة منه إلى تفرده في وقته ومن أشكل
أحوالهم عليه ذلك ولم يعلم أنه من استراق النفس السمع فلينظر ذلك بميزان أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتواضعهم واجتنابهم أمثال هذه الكلمات
واستبعادهم أن يجوز للعبد التظاهر بشيء من ذلك ولكن يجعل لكلام الصادقين
وجها في الصحة ويقال إن ذلك طفح عليهم في سكر الحال وكلام السكارى يحمل والمشايخ
أرباب التمكين لما علموا أن في النفوس هذا الداء الدفين بالغوا في شرح التواضع إلى
حد ألحقوه بالضعة تداويا للمريدين والاعتدال في التواضع أن يرضى الإنسان
بمنزلة دون ما يستحقه ولو أمن الشخص جموح النفس لأوقفها على حد تستحقه من
غير زيادة ونقصان ولكن لما كان الجموح في جبلة النفس لكونها مخلوقة من صلصال
كالفخار فيها نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها إلى مركز النار احتاجت
إلى التداوي بالتواضع وإيقافها دون ما تستحقه لئلا يتطرق إليها الكبر فالكبر
ظن الإنسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها
إلا الله تعالى ومن ادعاها من المخلوقين يكون كاذبا والكبر يتولد من الإعجاب والإعجاب
من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل الانسلاخ من الإنسانية حقيقة وقد عظم
الله شأن الكبر بقوله تعالى إنه لا يحب المستكبرين وقال الله أليس في جهنم
مثوى للمتكبرين وقد ورد يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري
فمن نازعني واحدا منهما قصمته وفي رواية قذفته في نار جهنم وقال الله
تعالى ردا للإنسان في طغيانه إلى حده ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض
ولن تبلغ الجبال طولا وقد قال تعالى فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق
وأبلغ من هذا قوله تعالى قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه
فقدره وقد قال بعضهم لبعض المتكبرين أولك نطفة مذرة وآخرك

جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة • وقد نظم الشاعر المعنى •
كيف يزهو من رجيعه • ابد الدهر ضجيعه • واذا ارتحل التواضع من القلب
وسكن الكبر ينتشر اثره في بعض الجوارح ويرشح الاناء بما فيه فتارة يظهر
اثره في العنق بالتمايل • وتارة في الخد بالتصعير • قال الله تعالى ولا تصعر
خدك للناس • وتارة يظهر في الراس عند استعصاء النفس • قال الله
تعالى لووا رؤسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون • وكما ان للكبر انقساما
على الجوارح والاعضاء تتشعب منه شعب بعضها اخفى من بعض كالتيه
والزهو والعزة وغير ذلك الا ان العزة تشتبه بالكبر من حيث الصورة
وتختلف من حيث الحقيقة كاشتباه التواضع بالضعة • والتواضع محمود
والضعة مذمومة • والكبر مذموم والعزة محمودة قال الله تعالى ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين • والعزة غير الكبر وضد الذلة ولا يحل للمؤمن ان
يذل نفسه فالعزة معرفة الانسان نفسه واكرامها ان لا يضعها لاقسام عاجلة
دنياوية كما ان الكبر جهل الانسان بنفسه وانزالها فوق منزلتها • قال بعضهم
للحسن ما اعظمك في نفسك قال لست بعظيم ولكني عزيز • ولما كانت العزة غير
مذمومة وفيها مشاكلة بالكبر • قال الله تعالى يتكبرون في الارض بغير
الحق فيه اشارة خفية لاثبات العزة بالحق • والوقوف على حد التواضع
من غير انحراف الى الضعة وقوف على صراط العزة المنصوب على متن نار الكبر
ولا يؤيد في ذلك ولا يثبت عليه الا اقدام العلماء الراسخين والسادة المقربين
ورؤساء الابدال والصديقين • قال بعضهم من تكبر فقد اخبر عن نذالة
نفسه ومن تواضع فقد اظهر كرم طبعه • وقال الترمذي التواضع على ضربين
وهو ان يتواضع العبد لامر الله ونهيه فان النفس لطلب الراحة تتلكا في امره
والشهوة التي فيها تهوي في نهيه فاذا وضع نفسه لامره ونهيه فهو متواضع
والثاني ان يضع نفسه لعظمة الله تعالى فان اشتهت نفسه شيئا مما اطلق له
من كل نوع من الانواع منعها ذلك وجملة ذلك ان يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى
واعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه

فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتطيع
للحق وللخلق لمحو اثارها وسكون رهجها وغبارها • وكان الحظ الاوفر من التواضع
لنبينا عليه الصلاة والسلام في اوطان القرب فيما روت عايشة رضي الله
عنها في الحديث الطويل قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات ليلة فاخذني ما ياخذ النساء من الغيرة ظنا مني انه عند بعض ازواجه
فطلبته في حجر نسائه فلم اجده فوجدته في المسجد ساجدا كالثوب الخلق وهو
يقول في سجوده سجد لك سوادي وخيالي وامن بك فوادي واقر لك لساني
وها انا ذا بين يديك يا عظيم يا غافر الذنب العظيم • وقوله عليه الصلاة والسلام
سجد لك سوادي وخيالي استقصاء في التواضع بمحو اثار الوجود حيث لم تتخلف
ذرة عن السجود ظاهرا وباطنا ومتى لم يكن للصوفي حظ من التواضع الخاص على
بساط القرب لا يتوفر حظه من التواضع للخلق وهذه سعادة اذا اقبلت جاءت
بحليتها والتواضع من اشرف اخلاق الصوفية • ومن اخلاق الصوفية المداراة
واحتمال الاذى من الخلق • وبلغ من مداراة رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه وجد قتيلا من اصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على مر الحق بل وداه
بمائة ناقة وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به • وكان من حسن
مداراته ان لا يذم طعاما ولا ينهر خادما • اخبرنا الشيخ الصالح ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح الكروخي قال انا ابو نصر الترياقي
قال انا الجراحي قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي
قال ثنا قتيبة قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال خدمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال
لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم من احسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا
كان الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا
عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمداراة مع
كل احد من الاهل والاولاد والجيران والاصحاب والخلق كافة من اخلاق الصوفية

وباحتمال الاذى يظهر جوهر النفس • وقد قيل لكل شيء جوهر وجوهر
الانسان العقل وجوهر العقل الصبر • اخبرنا ابو زرعة طاهر عن ابيه الحافظ
المقدسي قال انا ابو محمد الصريفيني قال انا ابو القسم عبيد الله بن حبابة قال
انا ابو القسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال ثنا علي بن الجعد قال انا شعبة عن
الاعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت
من هو قال ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المومن الذي يخالط الناس
ويصبر على اذاهم خير من المومن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على اذاهم • وفي الخبر
ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قيل وما كان يصنع ابو ضمضم قال كان اذا اصبح
قال اللهم اني اليوم تصدقت بعرضي على من ظلمني فمن ضربني لا اضربه ومن شتمني
لا اشتمه ومن ظلمني لا اظلمه • واخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب قال انا ابو الفتح
الهروي قال انا الترياقي قال انا الجراحي قال انا المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي
قال ثنا ابن ابي عمر ثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن عايشة قالت استاذن
رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا عنده فقال بيس ابن العشيرة او
اخو العشيرة ثم اذن له فالان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت له ما
قلت ثم النت له القول قال يا عايشة ان من شر الناس من تركه الناس او ودعه
الناس اتقاء فحشه • وروى ابو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اتق الله حيث كنت واتبع السيئة بالحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن
فاشى يستدل به على قوة عقل الشخص • ووفور علمه وحلمه حسن المداراة
والنفس لا تزال تشمئز ممن يعكس مرادها ويستفزها الغيظ والغضب وبالمداراة
قطع حمة النفس ورد طيشها ونفورها • وقد ورد من كظم غيظا وهو يستطيع
ان ينفذه دعاه الله يوم القيمة على رؤوس الخلايق حتى يخيره في اي الحور شاء • •
وروى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم على من تحرم النار
على كل هين لين سهل قريب • وروى ابو مسعود الانصاري قال اتى النبي عليه
الصلاة والسلام رجل فكلمه فارعد فقال هون عليك فاني لست بملك انما انا
ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد • وعن بعضهم في معنى لين جانب الصوفية

هيئون

هيئون لينون ايسار بنو يسر سواس مكرمة ابناء ايسار • لا ينطقون عن الفحشاء
ان نطقوا ولا يمارون ان ماروا بإكثار • من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم
التي يسري بها الساري • روى ابو الدردا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من الخير ومن حرم حظه
من الرفق فقد حرم حظه من الخير • حدثنا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب املاء
قال انا ابو عبد الرحمن محمد بن ابي عبد الله الماليني قال انا ابو الحسن عبد الرحمن
بن ابي طلحة الداودي قال انا ابو محمد عبد الله الحموي السرخسي قال انا ابو عمران
عيسى بن عمر السمرقندي قال انا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال انا محمد بن احمد
بن ابي خلف قال ثنا عبد الرحمن بن محمد عن محمد بن اسحق قال حدثني عبد الله بن ابي بكر
عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وفي رجلي
نعل كثيفة فوطيت بها على رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفحني نفحة بسوط
في يده وقال بسم الله اوجعتني قال فبت لنفسي لائما اقول اوجعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فبت بليلة كما يعلم الله فلما اصبحنا اذا رجل يقول اين
فلان قال قلت هذا والله الذي كان مني بالامس قال فانطلقت وانا متخوف
فقال لي انك وطيت بنعلك على رجلي بالامس فاوجعتني فنفحتك نفحة بالسوط فهذه
ثمانون نعجة فخذها بها • ومن اخلاق الصوفية الايثار والمواساة ويحملهم على ذلك
فرط الشفقة والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا لانهم يوثرون بالموجود ويصبرون
عن المفقود • قال ابو يزيد البسطامي ما غلبني احد ما غلبني شاب من اهل بلخ قدم
علينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم قلت اذا وجدنا اكلنا واذا
فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ قلت وما حد الزهد عندكم قال اذا
فقدنا شكرنا واذا وجدنا اثرنا • وقال ذو النون من علامة الزاهد المشروح
صدره ثلاث تفريق المجموع • وترك طلب المفقود والايثار عند القوت • روى
عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم
في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة

فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم
فانزل الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة • وروى ابو هريرة
قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصابه جهد فقال يا رسول
الله اني جائع فاطعمني فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى ازواجه هل عندكن شيء
فكلهن قلن والذي بعثك بالحق نبيا ما عندنا الا الماء فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما عندنا ما نطعمك هذه الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه
الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فاتى به منزله فقال
لاهله هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكرميه ولا تدخري عنه شيئا
فقالت ما عندنا الا قوت الصبية فقال قومي فعلليهم عن قوتهم حتى يناموا ولا
يطعموا شيئا ثم اسرجي فاذا اخذ الضيف لياكل فقومي كانك تصلحين السراج
فاطفئيه وتعالي نمضغ السنتنا لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشبع
ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت الى الصبية فعللتهم حتى ناموا عن
قوتهم ولم يطعموا شيئا ثم قامت فثردت واسرجت فلما اخذ الضيف لياكل قامت
كانها تصلح السراج فاطفاته فجعلا يمضغان السنتهما لضيف رسول الله وظن
الضيف انهما ياكلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين فلما اصبحوا غدوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليهما تبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة وانزل الله تعالى ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الاية • وقال انس اهدي لبعض اصحابه راس
شاة مشوي وكان مجهودا فوجه به الى جار له فتداوله سبعة انفس ثم
عاد الى الاول فنزلت الاية لذلك • وروي ان ابا الحسن الانطاكي اجتمع عنده
نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرب الري ولهم ارغفة معدودة لا تشبع خمسة
منهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع الطعام اذا
هو بحاله لم ياكل منه احد ايثارا منه على نفسه • وحكي عن حذيفة العدوي
قال انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وانا اقول ان كان به
رمق سقيته ومسحت وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار الي نعم فاذا رجل

يقول

يقول آه فقال ابن عمي انطلق به اليه فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك
فسمع هشام آخر يقول آه فقال انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات ثم رجعت
الى هشام فاذا هو قد مات ثم رجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات • وسئل ابو الحسن
البوشنجي عن الفتوة فقال الفتوة عندي ما وصف الله تعالى به الانصار في قوله
والذين تبوؤا الدار والايمان قال ابن عطا يؤثرون على انفسهم جودا وكرما وان كان
بهم خصاصة يعني جوعا وفقرا • قال ابو حفص الايثار هو ان تقدم حظوظ
الاخوان على حظوظه في امر الدنيا والاخرة وقال بعضهم الايثار لا يكون عن
اختيار انما الايثار ان تقدم حقوق الخلق اجمع على حقك ولا تميز في ذلك بين اخ
وصاحب وذي معرفة • وقال يوسف بن الحسين من راى لنفسه ملكا
لا يصح منه الايثار لانه يرى نفسه احق بالشيء برؤية ملكه انما الايثار ممن يرى
الاشياء كلها للحق فمن وصل اليه فهو احق به فاذا وصل شيء من ذلك اليه يرى نفسه
ويده فيه يد امانة يوصلها الى صاحبها او يؤديها اليه • وقال بعضهم حقيقة
الايثار ان تؤثر بحظ آخرتك على اخوانك فان الدنيا اقل خطرا من ان يكون لايثارها
محل او ذكر • ومن هذا المعنى ما نقل ان بعضهم راى اخا له فلم يظهر البشر الكثير
في وجهه فانكر اخوه ذلك منه فقال يا اخي سمعت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا التقى المسلمان تنزل عليهما مائة رحمة تسعون لاكثرهما بشرا وعشرة
لاقلهما بشرا فاردت ان اكون اكثر بشرا منك ليكون لك الاكثر • اخبرنا شيخنا
ضياء الدين ابو النجيب اجازة قال انا ابو حفص عمر بن الصفار النيسابوري قال
انا ابو بكر احمد بن خلف الشيرازي قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي قال
سمعت ابا القسم الرازي يقول سمعت ابا بكر بن ابي سعدان يقول من صحب الصوفية
فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمتى نظر الى شيء من اسبابه قطعه ذلك عن
بلوغ مقصده • وقال سهل بن عبد الله الصوفي من يرى دمه هدرا وملكه مباحا
وقال رويم التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار
والتحقق بالبذل والايثار • وترك التعرض والاختيار • قيل لما سعي بالصوفية
وتميز الجنيد بالفقه وقبض على الشحام والرقام والنوري وبسط النطع لضرب

رقابهم تقدم النوري فقيل له الى ما ذا تبادر فقال اوثر اخواني بفضل حياة ساعة
وقيل دخل الروذباري دار بعض اصحابه فوجده غايبا وباب بيته مغلق فقال
صوفي وله باب مغلق اكسروا الباب فكسروا وامر بجميع ما وجدوا في البيت
انفذوه الى السوق واتخذوا رفقا من الثمن وقعدوا في الدار فدخل صاحب المنزل
ولم يقل شيئا ودخلت امراته الدار وعليها كساء فدخلت بيتا ورمت بالكساء
وقالت هذا ايضا من جملة المتاع فبيعوه فقال لها الزوج لم تكلفت هذا باختيارك بقيته
قالت اسكت مثل الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شي ندخره عنه وقيل
مرض قيس بن سعد فاستبطا اخوانه في عيادته فسال عنهم فقيل انهم يستحيون
بما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان عن الزيارة ثم امر
مناديا ينادي من كان لقيس عليه مال فهو منه في حل فكسرت عتبته بالعشي
لكثرة عواده • وقيل اتى رجل صديقا له ودق عليه الباب فلما خرج قال
لما ذا جيتني قال لاربع مائة درهم دين علي فدخل الدار ووزن اربع مائة واخرجها
اليه ودخل الدار باكيا فقالت امراته هلا تعللت حين شق عليك الاجابة فقال
انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج ان يفاتحني به • واخبرنا الشيخ ابو زرعة
عن ابيه الحافظ المقدسي قال انا محمد بن محمد بن محمد امام جامع اصفهان قال
ثنا ابو عبد الله الجرجاني قال ثنا ابو طاهر محمد بن الحسن المحمداباذي قال ثنا ابو
البختري قال ثنا ابو اسامة بريد بن ابي بردة عن ابي موسى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الاشعريين اذا ارملوا في الغزو وقل طعام عيالهم جمعوا
ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموا في اناء واحد بالسوية فهم مني وانا
منهم وحدث جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اراد ان يغزو فقال
يا معشر المهاجرين والانصار ان من اخوانكم قوما ليس لهم مال ولا عدة فليضم احدكم
اليه الرجل والرجلين والثلاثة فما لاحدكم من ظهر جمله الا عقبة كعقبة احدهم
قال فضممت الي اثنين او ثلاثة ما لي الا عقبة كعقبة احدهم من جمله وروى انس
قال لما قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين
سعد بن الربيع فقال له اقاسمك مالي نصفين ولي امراتان فاطلق احداهما فاذا انقضت

عدتها

عدتها فتزوجها فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في اهلك ومالك فما حمل
الصوفي على الايثار الا طهارة نفسه وشرف غريزته وما جعله الله تعالى صوفيا
الا بعد ان سوى غريزته لذلك وكل من كان غريزته السخاء يوشك ان يصير صوفيا
لان السخاء صفة الغريزة وفي مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال
الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون • حكم بالفلاح لمن يوق
الشح وحكم بالفلاح لمن انفق وبذل فقال ومما رزقناهم ينفقون اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون • والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين
والنبي عليه الصلاة والسلام نبه بقوله ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فجعل
احد المهلكات شحا مطاعا ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا بل يكون مهلكا اذا كان
مطاعا فاما كونه موجودا في النفوس غير مطاع فلا ينكر ذلك لانه من لوازم النفس
مستمدا من اصل جبلتها الترابي وفي التراب قبض وامساك وليس ذلك بالعجب
من الادمي وهو جبلي فيه وانما العجب وجود السخا في الغريزة وهو لنفوس الصوفية
الداعي لهم الى البذل والايثار • والسخا اتم واكمل من الجود ففي مقابلة الجود البخل
وفي مقابلة السخاء الشح • والجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة
بخلاف الشح والسخا اذ كان ذلك من ضرورة الغريزة فكل سخي جواد وليس كل
جواد سخيا • والحق تعالى لا يوصف بالسخاء لان السخاء من نتيجة الغرايز والله تعالى
منزه عن الغريزة والجود يتطرق اليه الرياء ويأتي به الانسان متطلعا الى عوض
من الخلق او الحق بمقابلة ما من الثناء وغيره من الخلق والثواب من الله تعالى
والسخا لا يتطرق اليه الرياء لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعراض
دنيا وآخرة لان طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولا بطلب العوض فما تمحض سخاء
فالسخا لاهل الصفاء والايثار لاهل الانوار • ويجوز ان يكون قوله تعالى انما
نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انه نفى في الاية الاطعام لطلب
الاعواض حيث قال لا نريد وقوله تعالى لوجه الله فما كان لله لا يشعر بطلب العوض
بل الغريزة لطهارتها تنجذب الى مراد الحق لا لعوض وكذلك اكمل السخا من اطهر
الغرايز • روت اسماء بنت ابي بكر قالت قلت يا رسول الله ليس لي من شي الا ما

ادخله على الزبير افاعطي قال نعم لا توكي فيوكي الله عليك • ومن اخلاق الصوفية
التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة • قال سفين الاحسان ان
تحسن الى من اساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة كنقد السوق خذ شيا
وخذ شيا • وقال الحسن الاحسان ان تعم ولا تخص كالشمس والريح والغيث
وروى انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت قصورا مشرفة
على الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس •
روى ابو هريرة ان ابا بكر رضي الله عنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس
فجاء رجل فوقع في ابي بكر وهو ساكت والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم رد
ابو بكر عليه بعض الذي قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام فلحقه ابو بكر
فقال يا رسول الله شتمني وانت تتبسم ثم رددت عليه بعض ما قال فغضبت
وقمت فقال انك حيث كنت ساكتا كان معك ملك يرد عليه فلما تكلمت وقع
الشيطان فلم اكن لاقعد في مقعد فيه الشيطان يا ابا بكر ثلاثة كلهن حق
ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها الا اعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مسئلة
يريد بها كثرة الا زاده الله بها قلة وليس عبد يفتح باب عطية يبتغي بها وجه الله
عطية او صلة الا زاده الله بها كثرة • اخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي
قال انا الكروخي قال انا الترياقي قال انا الجراحي قال انا المحبوبي قال انا ابو عيسى
الترمذي قال ثنا ابو هشام الرفاعي قال ثنا محمد بن فضيل عن الوليد بن عبد الله
بن جميع عن ابي الطفيل عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا
امعة تقولون ان احسن الناس احسنا وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا انفسكم
على ان احسن الناس ان تحسنوا وان اساوا فلا تظلموا • وقال بعض الصحابة يا
رسول الله الرجل امر به فلا يقريني ولا يضيفني فيمر بي افاجزيه قال لا اقره
وقال الفضيل الفتوة الصفح عن عثرات الاخوان • وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس الواصل المكافي ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه
وصلها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكارم الاخلاق ان تعفو
عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك • ومن اخلاق الصوفية البشر

وطلاقة

وطلاقة الوجه • الصوفي بكاؤه في خلوته والبشر وطلاقة الوجه مع الناس
فالبشر على وجهه من آثار انوار قلبه وقد تنازل باطن الصوفي منازلات
الهية ومواهب قدسية يرتوي منها القلب ويمتلي فرحا وسرورا قل بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا • والسرور اذا تمكن من القلب فاض على الوجه
اثاره • قال الله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة اي مضيئة مشرقة
مستبشرة اي فرحة قيل اشرقت من طول ما اغبرت في سبيل الله ومثال
فيض النور على الوجه من القلب لفيضان نور السراج على الزجاج والمشكوة فالوجه
مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فاذا تنعم القلب بلذيذ المسامرة
ظهر البشر على الوجه • قال الله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم
اي نضارته وبريقه يقال انضر النبات اذا ازهر ونور وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة فلما نظرت نضرت فارباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصايرهم
بنور المشاهدة وانصقلت مرآى قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الازلي واذا اشرقت
الشمس على المرآة المصقولة استنارت الجدران • قال الله تعالى سيماهم
في وجوههم من اثر السجود واذا تاثر الوجه بسجود الظلال وهي الغوالب
في قول الله تعالى وظلالهم بالغدو والاصال كيف لا تتاثر بشهود الجمال اخبرنا
حي ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال انا الكروخي قال انا الترياقي قال انا الجرا
قال اخبرنا المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي قال ثنا قتيبة قال ثنا المنكدر
بن محمد بن المنكدر عن ابيه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق وان تفرغ من دلوك
في اناء اخيك • وقال سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي يعجبني من القراء كل سهل طلق
مضحاك فاما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كانه يمن عليك فلا اكثر الله في
القراء مثله • ومن اخلاق الصوفية السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس الى
اخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف • وقد روي في ذلك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم احاديث واخلاق الصوفية تحاكي اخلاق رسول الله صلى
الله عليه وسلم • وكان يقول عليه الصلاة والسلام اما اني امزح ولا اقول الا

حقًا روي ان رجلًا يقال له زاهر بن حرام وكان بدويًا وكان لا يأتي الى رسول
الله الا جاء بطرفة يهديها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء يومًا من
الايام فوجده رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة يبيع سلعة
له ولم يكن اتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه الصلاة والسلام من ورائه بكفيه
فالتفت فابصر النبي عليه الصلاة والسلام فقبل كفيه فقال له النبي عليه الصلاة والسلام
من يشتري العبد فقال اذًا تجدني كاسدًا يا رسول الله فقال ولكن عند
الله ربيح ثم قال النبي عليه السلام لكل اهل حضر بادية وبادية آل محمد زاهر
بن حرام • واخبرنا ابو زرعة طاهر بن الحافظ المقدسي عن ابيه قال انا المطهر
بن محمد الفقيه قال انا ابو الحسن قال انا ابو عمرو بن حكيم قال انا ابو امية قال ثنا
عبيد بن اسحق العطار قال ثنا سنان بن هرون عن حميد عن انس قال جاء رجل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله احملني على جمل فقال
احملك على ابن الناقة فقال انا اقول لك احملني على جمل وتقول احملك على ابن الناقة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالجمل ابن الناقة • وروى صهيب قال
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر فقال اصب من هذا الطعام
فجعلت اكل من التمر فقال تاكل من التمر وانت رمد فقلت اذًا امضغ من الجانب الاخر
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم • وروى انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال له ذات يوم يا ذا الاذنين • وسئلت عايشة كيف كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا في البيت قالت الين الناس بسامًا ضحاكًا •
وروت ايضًا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم سابقها
بعد ذلك فسبقها فقالت هذه بتلك • واخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي قال اخبرنا ابو الفتح الهروي قال انا ابو نصر الترياقي
قال انا ابو محمد الجراحي قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى الحافظ الترمذي
قال ثنا عبد الله بن وضاح الكوفي قال ثنا عبد الله بن ادريس عن شعبة عن ابي
التياح عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى ان كان
يقول لاخ لي صغير يا ابا عمير ما فعل النغير • والنغير عصفور صغير • وروي

ان عمر سابق زبيرًا رضي الله عنهما فسبقه الزبير فقال سبقتك ورب الكعبة
ثم سابقه مرة اخرى فسبقه عمر فقال عمر سبقتك ورب الكعبة • وروى
عبد الله بن عباس قال قال لي عمر تعال انا فسك في الما اينا اطول نفسًا ونحن
محرمون • وروى بكر بن عبد الله قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتبادحون بالبطيخ فاذا كانت الحقايق كانوا هم الرجال يقال بدح يبدح اذا
رمى يترامون بالبطيخ • واخبرنا ابو زرعة عن ابيه قال انا الحسن بن محمد الكرجي
قال ثنا ابو طالب محمد بن محمد بن ابراهيم قال ثنا ابو بكر محمد بن عبد الله قال ثنا
اسحق الحربي قال ثنا ابو سلمة قال ثنا حماد بن خالد قال انا محمد بن عمرو بن علقمة قال
ثنا ابو الحسن بن محيصن الليثي عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن ابي بلتعة قال ان
عايشة رضي الله عنها قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بخزيرة طبختها له
وقلت لسودة والنبي بيني وبينها كلي فابت فقلت لها كلي فابت فقلت لتاكلن او لالطخن
بها وجهك فابت فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك النبي صلى الله
عليه وسلم فوضع فخذه لها وقال لسودة الطخي وجهها فلطخت بها وجهي فضحك
النبي ايضًا فمر عمر على الباب فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي انه سيدخل
فقال قوما فاغسلا وجهكما قالت عايشة فما زلت اهاب عمر لهيبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اياه • ووصف بعضهم ابن طاوس فقال كان مع الصبي صبيًا
ومع الكهل كهلًا وكان فيه مزاحة اذا خلا • وروى معاوية بن عبد الكريم
قال كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان يقول ويمزح عنده ونمازحه
وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك وكنا اذا دخلنا على الحسن نخرج من عنده ونحن نكاد
نبكي • فهذه الاخبار والاثار دالة على حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية
وحسن اخلاقهم فيما يعتمدونه من المداعبة في الربط وينزلون مع الناس على حسب
طباعهم لنظرهم الى سعة رحمة الله فاذا خلوا وقفوا موقف الرجال واكتسوا
ملابس الاعمال والاحوال ولا يقف في هذا المعنى على حد الاعتدال الا صوفي
قاهر للنفس عالم باخلاقها وطباعها سايس لها بنور العلم حتى يقف في ذلك على
صراط الاعتدال بين الافراط والتفريط ولا يصلح الاكثار من ذلك للمريد المبتدي

لقلة علمهم ومعرفتهم بالنفس وتعديهم حد الاعتدال فللنفس في هذه المواطن
نهضات ووثبات تجر الى الافساد وتجنح الى العناد فالنزول الى طباع الناس
يحسن لمن صعد عنهم وترقى لعلو حاله ومقامه فيترك اليهم والى طباعهم حين نزل
بالعلم فاما من لم يصعد بصفاء حاله عنهم وفيه بقية من مزج طباعهم ونفوسهم الجامحة
الامارة بالسوء اذا دخل في هذه المداخل اخذت النفس حظها واغتنمت مآربها
واستروحت الى الرخصة والنزول الى الرخصة يحسن لمن ركب العزيمة غالب
اوقاته وليس ذلك شأن المبتدي فللصوفية العلماء فيما ذكرناه تروح يعلمون حاجة
القلب الى ذلك والشيء اذا وضع للحاجة يتقدر بقدر الحاجة ومعيار قدر الحاجة
في ذلك علم غامض لا يسلم لكل احد قال سعيد بن العاص لابنه اقتصد في
مزاحك فالافراط فيه يذهب البهاء ويجرئ عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤانسين
ويوحش المخالطين وقال بعضهم المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للاخاء
وكما تصعب معرفة الاعتدال في ذلك تصعب معرفة الاعتدال في الضحك
والضحك من خصائص الانسان ومميزه عن جنس الحيوان ولا يكون الضحك الا عن
سابقة تعجب والتعجب يستدعي الفكر والفكر شرف الانسان وخاصيته ومعرفة
الاعتدال فيه ايضا شأن من رسخ قدمه في العلم ولهذا قيل اياك وكثرة الضحك
فانه يميت القلب وقيل كثرة الضحك من الرعونة وروي عن عيسى انه قال
ان الله يبغض الضحاك من غير عجب والمشاء في غير ارب وذكر فرق بين المداعبة
والمزاح فقيل المداعبة ما لا يغضب جده والمزاح ما يغضب جده وقد
جعل ابو حنيفة رحمة الله عليه القهقهة في الصلاة من الذنب وحكم ببطلان الوضوء
به وقال تقيم الاثم مقام خروج الخارج فالاعتدال في المزاح والضحك
لا يتأتى الا اذا خلص وخرج من مضيق الخوف والقبض والهيبة فانه يقوم بحل
مضيق من هذه المضايق بعض القوم فيعتدل الحال فيه ويستقيم فما
البسط والرجاء يشبه الخوف والقبض يحكمان بالعدل فيه ومن اخلاق
الصوفية ترك التكلف وذلك ان التكلف تصنع وتعمل وتمايل على النفس لاجل
الناس وذلك يباين حال الصوفية وفي بعضه خفي منازعة الاقدار وعدم الرضا

بما قسم الجبار ويقال التصوف ترك التكلف ويقال التكلف التخلف وهو تخلف
عن شأو الصادقين روى انس بن مالك قال شهدت وليمة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ما فيها خبز ولا لحم وروي عن جابر انه اتاه ناس من اصحابه فاتاهم
بخبز وخل وقال كلوا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم الادام
الخل وروى شقيق بن سلمة قال دخلت على سلمان الفارسي فاخرج الي خبزا
وملحا وقال لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن التكلف ان يتكلف
احد لاحد لتكلفت لكم والتكلف مذموم في جميع الاشياء كالتكلف بالملبوس
للناس من غير نية فيه والتكلف في الكلام وزيادة التملق الذي صار دأب اهل
الزمان فما يكاد يسلم من ذلك الا الآحاد والافراد وكم من متملق لا يعرف انه متملق
ولا يفطن له فقد يتملق الشخص الى حد يخرجه الى حد النفاق وهو مباين لحال
الصوفي اخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال اخبرنا
ابو الفتح الهروي قال انا ابو نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي قال انا ابو
العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي قال ثنا احمد بن منيع قال ثنا يزيد بن
هرون عن محمد بن مطرف عن حسان بن عطية عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق
البذاء الفحش واراد بالبيان ههنا كثرة الكلام والتكلف للناس بزيادة تملق صح
والثناء عليهم واظهار التفصح وذلك ليس من شأن اهل الصدق وحكي عن
ابي وائل قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا
فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان اطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته
واخذ سعترا فلما اكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو
قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتي مرهونة وفي هذا من سلمان ترك التكلف قولا
وفعلا وفي حديث يونس النبي عليه السلام انه زاره اخوانه فقدم اليهم
كسرا من خبز شعير وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال لولا ان الله لعن المتكلفين
لتكلفت لكم وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر واذا استزرت
فلا تبق ولا تذر وروى زبير بن العوام قال نادى منادي رسول الله صلى الله

عليه وسلم يوماً اللهم اغفر للذين يدعون لاموات امتي ولا يتكلفون الا اني
بريء من التكلف وصالحو امتي • وروي ان عمر رضي الله عنه قرا فانبتنا فيها
حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وابا ثم قال هذا كله
قد عرفنا فما الاب وبيد عمر عصاه فضرب بها الارض ثم قال هذا لعمر الله هو
التكلف فخذوا ايها الناس ما بين لكم منه فما عرفتم اعملوا به وما لم تعرفوا فكلوا
علمه الى الله • ومن اخلاق الصوفية الانفاق من غير اقتار وترك الادخار وذلك
ان الصوفي يرى خزاين فضل الحق فهو بمثابة من هو مقيم على شاطي بحر والمقيم على
شاطي البحر لا يدخر الماء في قربته وراويته • روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من يوم الا وملكان يناديان فيقول احدهما اللهم اعط منفقاً
خلفاً ويقول الاخر اللهم اعط ممسكاً تلفاً • وروى انس قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لغد • وروى انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاث طواير فاطعم خادمه طيراً فلما كان الغد اتاه به فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الم انهك ان تخبا شيئاً لغد فان الله ياتي برزق كل غد وروى
ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بلال وعنده صبرة من تمر
فقال ما هذا يا بلال فقال ادخرنا يا رسول الله قال اما تخشى انفق بلال ولا تخش
من ذي العرش اقلالا وروى انه كان عيسى بن مريم ياكل الشجر ويلبس الشعر ويبيت
حيث امسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبا شيئاً لغد • فالصوفي كل
خباياه في خزاين الله تعالى لصدق توكله وثقته بربه • فالدنيا للصوفي كدار الغربة
ليس له فيها ادخار ولا له منها استكثار • قال عليه الصلاة والسلام لو توكلتم
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً
اخبرنا شيخنا ضياء الدين شيخ الاسلام ابو النجيب السهروردي املاءً قال انا
ابو عبد الرحمن محمد بن ابي عبد الله الماليني قال انا ابو الحسن عبد الرحمن الداودي
قال انا ابو عبد الله السرخسي قال انا ابو عمران السمرقندي قال انا عبد الله
بن عبد الرحمن الدارمي قال انا محمد بن يوسف عن سفيان عن ابن المنكدر عن جابر
قال ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا • قال ابن عيينة

تحمد

اذا لم يكن عنده وعد • وبالاسناد الى الدارمي قال انا يعقوب بن حميد قال
ثنا عبد العزيز بن محمد عن ابن اخي الزهري قال ان جبريل قال ما في الارض اهل
عشرة ابيات الا قلبتهم فما وجدت احداً اشد انفاقاً لهذا المال من رسول
الله صلى الله عليه وسلم • ومن اخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا
قال ذو النون المصري من قنع استراح من اهل زمانه واستطال على اقرانه
وقال بشر بن الحارث لو لم يكن في القناعة الا التمتع بالعز لكفى صاحبه وقال
بنان الحمال الحر عبد ما طمع والعبد حر ما قنع • وقال بعضهم انتقم من
حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص • وقال ابو بكر المراغي العاقل
من دبر امر الدنيا بالقناعة والتسويف • ودبر امر الاخرة بالحرص والتعجيل وقال
يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالاخرة وطاب عيشه وقال امير المؤمنين
علي بن ابي طالب القناعة سيف لا ينبو • اخبرنا ابو زرعة عن ابيه ابي الفضل قال
انا ابو القسم عبد الله بن الحسن الخلال ببغداد قال ثنا ابو حفص عمر بن ابراهيم
قال ثنا ابو القسم البغوي قال ثنا محمد بن عباد قال ثنا ابو سعيد عن صدقة بن
الربيع عن عمارة بن غزية عن عبد الرحمن بن ابي سعيد عن ابيه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو على الاعواد يقول ما قل وكفى خير مما كثر والهى وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال قد افلح من اسلم وكان رزقه كفافاً
وصبر عليه وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال
اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً • وروى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال القناعة مال لا ينفد • وروي عن عمر انه قال كونوا اوعية الكتاب وينابيع
الحكمة وعدوا انفسكم في الموتى واسالوا الله رزق يوم بيوم ولا يضركم ان لا
يكثر لكم واخبرنا طاهر عن ابي الفضل والده قال انا ابو القسم اسمعيل بن
عبد الله الساوي قال انا احمد بن علي الحافظ قال انا ابو عمرو بن حمدان قال
ثنا الحسن بن سفيان قال ثنا عمر بن مالك البصري قال ثنا مروان بن معوية
قال ثنا عبد الرحمن بن ابي سلمة الانصاري قال اخبرني سلمة بن عبد الله بن محصن
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح آمناً في سربه معافى في

بَدَنِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا • وَقِيلَ فِي تَفْسِيرِ
قَوْلِهِ تَعَالَى فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً هِيَ القَنَاعَةُ فَالصُّوفِيُّ قَوَّامٌ عَلَى نَفْسِهِ بِالقِسْطِ
عَالِمٌ بِطَبَائِعِ النَّفْسِ وَجَدْوَى القَنَاعَةِ وَالتَّوَصُّلِ إِلَى اسْتِخْرَاجِ ذَلِكَ مِنَ النَّفْسِ
لِعِلْمِهِ بِدَائِهَا وَدَوَائِهَا قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ القَنَاعَةُ مِنَ الرِّضَا كَالوَرَعِ
مِنَ الزُّهْدِ • وَمِنْ أَخْلَاقِ الصُّوفِيَّةِ تَرْكُ المِرَاءِ وَالمُجَادَلَةِ وَالغَضَبِ إِلَّا بِحَقٍّ وَاعْتِمَادُ
الرِّفْقِ وَالحِلْمِ • وَذَلِكَ أَنَّ النُّفُوسَ تَثِبُ وَتَتَطَهَّرُ فِي المَمَارِينَ • وَالصُّوفِيُّ كُلَّمَا رَأَى
نَفْسَ صَاحِبِهِ ظَاهِرَةً قَابَلَهَا بِالقَلْبِ وَإِذَا قُوبِلَتِ النَّفْسُ بِالقَلْبِ ذَهَبَتِ الوَحْشَةُ
وَانْطَفَأَتِ الفِتْنَةُ • قَالَ اللهُ تَعَالَى تَعْلِيمًا لِعِبَادِهِ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا
الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ • وَلَا يَنْزِعُ المِرَاءَ إِلَّا مِنْ نُفُوسٍ زَكِيَّةٍ انْتُزِعَ
مِنْهَا الغِلُّ وَوُجُودُ الغِلِّ فِي النَّفْسِ مِرَاءُ البَاطِنِ وَإِذَا انْتُزِعَ المِرَاءُ مِنَ البَاطِنِ ذَهَبَ
مِنَ الظَّاهِرِ أَيْضًا وَقَدْ يَكُونُ الغِلُّ فِي النَّفْسِ مَعَ مَنْ يُشَاكِلُهُ وَيُمَاثِلُهُ لِوُجُودِ المُنَافَسَةِ
وَمَنِ اسْتَقْصَى فِي تَذْوِيبِ النَّفْسِ بِنَارِ الزَّهَادَةِ فِي الدُّنْيَا يَمْحِي الغِلُّ مِنْ بَاطِنِهِ وَلَا تَبْقَى
عِنْدَهُ مُنَافَسَةٌ دُنْيَاوِيَّةٌ فِي حُظُوظٍ عَاجِلَةٍ مِنْ جَاهٍ وَمَالٍ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي
وَصْفِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ • قَالَ أَبُو حَفْصٍ كَيْفَ يَبْقَى
الغِلُّ فِي قُلُوبٍ ائْتَلَفَتْ بِاللهِ وَاتَّفَقَتْ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَاجْتَمَعَتْ عَلَى مَوَدَّتِهِ وَأَنِسَتْ
بِذِكْرِهِ فَإِنَّ تِلْكَ قُلُوبٌ صَافِيَةٌ مِنْ هَوَاجِسِ النُّفُوسِ وَظُلُمَاتِ الطَّبَائِعِ بَلْ كُحِلَتْ
بِنُورِ التَّوْفِيقِ فَصَارَتْ إِخْوَانًا فَهَكَذَا قُلُوبُ أَهْلِ التَّصَوُّفِ وَالمُجْتَمِعِينَ عَلَى الكَلِمَةِ
الوَاحِدَةِ مِنَ التَّلَزُّمِ بِشُرُوطِ الطَّرِيقِ وَالانْكِبَابِ عَلَى الظَّفَرِ بِالتَّحْقِيقِ وَالنَّاسُ
رَجُلَانِ رَجُلٌ طَالِبٌ مَا عِنْدَ اللهِ وَيَدْعُو إِلَى مَا عِنْدَ اللهِ نَفْسَهُ وَغَيْرَهُ فَمَا لِلْمُحِقِّ الصُّوفِيِّ
مَعَ هَذَا مُنَافَسَةٌ وَمِرَاءٌ وَغِلٌّ فَإِنَّ هَذَا مَعَهُ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ وَوِجْهَةٍ وَاحِدَةٍ
وَأَخُوهُ وَمُحِبُّهُ وَالمُؤْمِنُونَ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا • وَرَجُلٌ مَفْتُونٌ بِشَيْءٍ
مِنْ مَحَبَّةِ المَالِ وَالجَاهِ وَالرِّئَاسَةِ وَنَظَرِ الخَلْقِ فَمَا لِلصُّوفِيِّ مَعَ هَذَا مُنَافَسَةٌ لِأَنَّهُ
زَهِدَ فِيمَا فِيهِ رَغِبَ فَمِنْ شَأْنِ الصُّوفِيِّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مِثْلِ هَذَا نَظَرَ رَحْمَةٍ وَشَفَقَةٍ حَيْثُ
يَرَاهُ مَحْجُوبًا مَفْتُونًا فَلَا يَنْطَوِي لَهُ عَلَى غِلٍّ وَلَا يُمَارِيهِ فِي الظَّاهِرِ عَلَى شَيْءٍ لِعِلْمِهِ بِظُهُورِ
نَفْسِهِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ فِي المِرَاءِ وَالمُجَادَلَةِ • أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ العَالِمُ ضِيَاءُ الدِّينِ

عَبْدُ الوَهَّابِ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ أَنَا أَبُو الفَتْحِ الهَرَوِيُّ قَالَ أَنَا أَبُو نَصْرٍ التِّرْيَاقِيُّ قَالَ أَنَا ٩٦
أَبُو مُحَمَّدٍ الجَرَّاحِيُّ قَالَ أَنَا أَبُو العَبَّاسِ المَحْبُوبِيُّ قَالَ أَنَا أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ قَالَ
ثَنَا زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ ثَنَا المُحَارِبِيُّ عَنْ لَيْثٍ عَنْ عَبْدِ المَلِكِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ
تعده ح عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تُمَارِ أَخَاكَ وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ • وَفِي الخَبَرِ
مَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ
فِي وَسَطِهَا وَمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ بُنِيَ لَهُ فِي أَعْلَاهَا • وَأَخْبَرَنَا شَيْخُنَا شَيْخُ الإِسْلَامِ
أَبُو النَّجِيبِ السُّهْرَوَرْدِيُّ قَالَ أَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللهِ المَالِينِيُّ قَالَ
أَنَا أَبُو الحَسَنِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّاوُدِيُّ قَالَ أَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الحَمُّويِيُّ قَالَ
أَنَا أَبُو عِمْرَانَ عِيسَى السَّمَرْقَنْدِيُّ قَالَ أَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ قَالَ
ثَنَا يَحْيَى بْنُ بِسْطَامٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ حَمْزَةَ قَالَ ثَنِي نُعْمَانُ عَنْ مَكْحُولٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ العُلَمَاءَ أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ
أَوْ يُرِيدَ أَنْ يُقْبِلَ بِوُجُوهِ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللهُ تَعَالَى جَهَنَّمَ • انْظُرْ كَيْفَ جَعَلَ رَسُولُ
اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُمَارَاةَ مَعَ السُّفَهَاءِ سَبَبًا لِدُخُولِ النَّارِ وَذَلِكَ لِظُهُورِ
نُفُوسِهِمْ فِي طَلَبِ القَهْرِ وَالغَلَبَةِ وَالقَهْرُ وَالغَلَبَةُ مِنْ صِفَاتِ الشَّيْطَنَةِ فِي الآدَمِيِّ
قَالَ بَعْضُهُمْ المُجَادِلُ المُمَارِي يَضَعُ فِي نَفْسِهِ عِنْدَ الخَوْضِ فِي الجِدَالِ أَنْ لَا يَقْنَعَ
بِشَيْءٍ وَمَنْ لَا يَقْنَعُ إِلَّا أَنْ لَا يَقْنَعَ فَمَا إِلَى إِقْنَاعِهِ سَبِيلٌ • فَنَفْسُ الصُّوفِيِّ تَبَدَّلَتْ
صِفَاتُهَا وَذَهَبَ عَنْهُ صِفَةُ الشَّيْطَنَةِ وَالسَّبُعِيَّةِ وَتَبَدَّلَتْ بِاللِّينِ وَالرِّفْقِ
وَالسُّهُولَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ • رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ
انْظُرْ كَيْفَ جَعَلَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ شَرْطِ الإِسْلَامِ سَلَامَةَ القَلْبِ
يرفعون وَاللِّسَانِ • وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَوْمٍ وَهُمْ يُجْذُونَ حَجَرًا
فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا هَذَا حَجَرُ الأَشِدَّاءِ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَشَدَّ مِنْ هَذَا رَجُلٌ كَانَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ غَضَبٌ فَأَتَاهُ فَغَلَبَ شَيْطَانَهُ وَشَيْطَانَ أَخِيهِ فَكَلَّمَهُ • وَرُوِيَ
أَنَّهُ جَاءَ غُلَامٌ لِأَبِي ذَرٍّ وَقَدْ كَسَرَ رِجْلَ شَاةٍ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ مَنْ كَسَرَ رِجْلَ هَذِهِ
الشَّاةِ فَقَالَ أَنَا قَالَ وَلِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ قَالَ عَمْدًا فَعَلْتُ قَالَ وَلِمَ قَالَ لِأُغِيظَكَ

فضربني فنا ثم فقال ابو ذر لا غيظن من حثك على غيظي فاعتقه • وروى الاصمعي
عن اعرابي قال اذا اشكل عليك امران لا تدري ايهما ارشد فخالف اقربهما الى
هواك فان اكثر ما يكون الخطاء مع متابعة الهوى • اخبرنا ابو زرعة عن ابيه
ابي الفضل قال انا ابو بكر احمد بن علي قال انا ابن خرشيد قوله ابراهيم بن
عبد الله قال ثنا احمد بن محمد بن سليم قال ثنا الزبير بن بكار قال ثنا سعيد بن سعد
عن اخيه عن جده عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث
منجيات وثلاث مهلكات فاما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية والحكم
بالحق عند الغضب والرضا والاقتصاد عند الفقر والغنى • واما المهلكات
فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه • فالحكم بالحق عند الغضب والرضا
لا يصح الا من عالم رباني امير على النفس يصرفها بعقل حاضر وقلب يقظان ونظر
الى الله بحسن الاحتساب • نقل انهم كانوا يتوضؤون من اذى المسلم يقول
بعضهم لان اتوضا من كلمة خبيثة احب الي من ان اتوضا من طعام طيب وقال
عبد الله بن عباس الحدث حدثان حدث من فرجك وحدث من فيك فلا يحل
حبوة الوقار والحلم الا الغضب ويخرج عن حد العدل الى العدوان وتجاوز الحد
فبالغضب يتحرك دم القلب فان كان الغضب على من فوقه ممن يعجز عن انفاذ
الغضب فيه ذهب الدم من ظاهر الجلد واجتمع في القلب ويصير منه الحزن
والهم والانكماد • ولا ينطوي الصوفي على مثل هذا لانه يرى الحوادث والاعراض
من الله تعالى فلا يتكمد ولا يغتم والصوفي صاحب الرضا صاحب الروح والراحة
والنبي عليه الصلاة والسلام اخبر ان الهم والحزن في الشك والسخط سئل
عبد الله بن عباس عن الغم والغضب فقال مخرجهما واحد واللفظ يختلف فمن
نازع من يقوى عليه اضمره غضبا ومن نازع من لا يقوى عليه همه حزنا والحزن
غضب ايضا ولكن يستعمل اذا قصد المغضوب عليه وان كان الغضب على من
يشاكله ويماثله ممن يتردد في الانتقام منه يتردد دم القلب بين الانقباض
والانبساط فيتولد منه الغل والحقد ولا ياوي مثل هذا الى قلب صوفي قال
الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل • وصلافة قلب الصوفي وحاله

يعني و

يقذف زبد الغل والحقد كما يقذف البحر الزبد لما فيه من تلاطم امواج
الانس والهيبة • وان كان الغضب على من دونه ممن يقدر على الانتقام منه
ثار دم القلب والقلب اذا ثار دمه يحمر ويقسو ويتصلب ويذهب عنه
الرقة والبياض ومنه حمرة الوجنات لان الدم ثار وطلب الاستعلاء وانتفخ
منه العروق وظهر عكسه واثره على الخد فيتعدى الحدود حينئذ بالضرب
والشتم ولا يكون هذا في الصوفي الا عند هتك الحرمات والغضب لله
فاما في غير ذلك فينظر الصوفي عند الغضب الى الله ثم تقواه تحمله على ان
يزن حركته وقوله بميزان الشرع والعدل وتتهم النفس بعدم الرضا بالقضاء
قيل لبعضهم من اقهر الناس لنفسه قال ارضاهم بالمقدور • وقال
بعضهم اصبحت وما لي سرور الا مواقع القضاء • فاذا اتهم الصوفي النفس
عند الغضب تداركه العلم واذا لاح علم العلم قوي القلب وسكنت النفس
وعاد دم القلب الى مواضعه ومقاره واعتدل الحال وغاض حمرة الخد وبان
فضيلة العلم قال عليه الصلاة والسلام السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد
جزء من اربع وعشرين جزءا من النبوة • روى حارثة بن قدامة قال قلت
يا رسول الله اوصني واقلل لعلي اعيه قال لا تغضب فاعاد عليه كل ذلك
يقول لا تغضب • وقال عليه الصلاة والسلام الغضب جمرة من النار
الم تر الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه من وجد ذلك منكم ان كان قائما
فليجلس وان جالسا فليضطجع • اخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال
انا ابو الفتح الهروي قال انا ابو نصر الترياقي قال انا الجراحي قال انا
المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي قال ثنا محمد بن عبد الله قال ثنا بشر بن
المفضل عن قرة بن خالد عن ابي جمرة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لاشج عبد القيس ان فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والاناة
ومن اخلاق الصوفية التودد والتالف والموافقة مع الاخوان وترك المخالفة
قال الله تعالى في وصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اشداء
على الكفار رحماء بينهم • وقال تعالى لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت

بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم • والتودد والتألف من ائتلاف الارواح
على ما ورد في الخبر الذي اوردناه فما تعارف منها ائتلف قال الله تعالى
فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال
النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف
وقال عليه الصلاة والسلام مثل المؤمنين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احدهما
الاخرى وما التقى مؤمنان الا استفاد احدهما من صاحبه خيرا • وقال
ابو ادريس الخولاني لمعاذ اني احبك في الله فقال ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول تنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش
يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون
ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله قال المتحابون في الله • وقيل لو تحاب
الناس وتعاطوا المحبة لاستغنوا بها عن العدالة وقيل العدالة خليفة
المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة • وقيل طاعة المحبة افضل من طاعة الرهبة
فان طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج • ولهذا المعنى كانت
صحبة الصوفية مؤثرة من البعض في البعض لانهم لما تحابوا في الله وتواصوا
بمحاسن الاخلاق وقع القبول لوجود المحبة فانتفع لذلك المريد بالشيخ
والاخ بالاخ ولهذا المعنى امر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات
في المساجد اهل كل درب وكل محلة وفي الجامع في الاسبوع مرة اهل كل بلد
وانضمام اهل السواد الى البلدان في الاعياد في جميع السنة مرتين واهل الاقطار
من البلدان المتفرقة في العمر مرة للحج كل ذلك لحكمة بالغة منها تأكيد الالفة
والمودة بين المؤمنين • قال عليه الصلاة والسلام المؤمن للمؤمن كالبنيان
يشد بعضه بعضا • اخبرنا ابو زرعة قال انا والدي ابو الفضل قال انا ابو نصر
محمد بن سلمان العدل قال انا ابو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي قال انا ابو
العباس عبد الله بن يعقوب الكرماني قال ثنا يحيى الحماني قال ثنا حماد بن زيد
عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم يقول ان مثل المؤمنين في توادهم وتحابهم وتراحمهم كمثل الجسد
اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالسهر والحمى • والتألف والتودد
يؤكد اسباب الصحبة • والصحبة مع الاخيار مؤثرة جدا • وقد قيل لقاء الاخوان
لقاح ولا شك ان البواطن تلقح ويتقوى البعض بالبعض بل مجرد النظر الى اهل
الصلاح يؤثر صلاحا والنظر في الصور يؤثر اخلاقا مناسبة لخلق المنظور اليه
كدوام النظر الى المحزون يحزن ودوام النظر الى المسرور يسر • وقد قيل
من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه • والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الجمل
الذلول فالمقارنة لها تأثير في الحيوان والنبات والجماد والماء والهواء يفسدان
بمقارنة الجيف • والزروع تنقى عن انواع العروق في الارض والنبات لموضع
الافساد بالمقارنة واذا كانت المقارنة مؤثرة في هذه الاشياء ففي النفوس
الشريفة البشرية اكثر تأثيرا • وقيل سمي الانسان انسانا لانه يأنس بما يراه
من خير وشر والتألف والتودد مستجلب للمزيد وانما العزلة والوحدة تحمد
بالنسبة الى اراذل الناس واهل الشر فاما اهل العلم والصفا والوفاء
والاخلاق الحميدة فتغتنم مقارنتهم والاستيناس بهم استيناس بالله
تعالى كمحبتهم من محبة الله والجامع معهم رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع
فالصوفي مع غير الجنس كائن بائن ومع الجنس كائن معاين والمؤمن مرآة المؤمن
اذا نظر الى اخيه يستشف من وراء اقواله واعماله واحواله تجليات الهية وتعريفات
وتلويحات من الله الكريم خفية غابت عن الاغيار وادركها اهل الانوار • ومن
اخلاق الصوفية شكر المحسن على الاحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم
على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر عن الاغيار ورؤيتهم النعم من المنعم الجبار
ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال ما من الناس احد امن علينا في صحبته وذات
يده من ابن ابي قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا • وقال ما نفعني
مال كمال ابي بكر فالخلق حجبوا عن الله تعالى بالخلق في المنع والعطاء • فالصوفي في
الابتداء يفني الخلق ويرى الاشياء من الله حيث طالع ناصية التوحيد وخرق

الحجاب الذي منع الخلق عن صرف التوحيد فلا يثبت للخلق منعا ولا عطاء ويحجبه
الحق عن الخلق فاذا ارتقى الى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق ويثبت
لهم وجودا في المنع والعطا بعد ان يرى المسبب اولا وذلك لسعة علمه وقوة
معرفته يثبت الوسايط فلا يحجبه الخلق عن الحق كعامة المسلمين ولا يحجبه
الحق عن الخلق كارباب الارادة والمبتدئين فيكون شكره للحق لانه المنعم والمعطي
والمسبب ويشكر الخلق لانهم واسطة وسبب • قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اول من يدعى الى الجنة الحامدون الذين يحمدون الله في
السراء والضراء وقال عليه الصلاة والسلام من عطس او تجشا فقال
الحمد لله على كل حال دفع بها عنه سبعين داء اهونها الجذام • وروى جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد ينعم عليه بنعمة فيحمد الله
الا كان الحمد افضل منها فقوله عليه الصلاة والسلام كان الحمد افضل منها
يحتمل ان يرضى الحق به شكرا ويحتمل ان الحمد افضل منها نعمة فتكون نعمة الحمد
افضل من النعمة التي حمد عليها فاذا شكروا المنعم الاول يشكرون الواسطة المنعم
من الناس ويدعون له • روى انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا افطر عند قوم قال افطر عندكم الصايمون واكل طعامكم الابرار ونزلت
عليكم السكينة • اخبرنا ابو زرعة عن ابيه قال انا احمد بن محمد بن احمد البزاز
قال انا ابو حفص عمر بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن محمد البغوي قال ثنا عمر
بن زرارة قال ثنا عبينة بن يونس عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لاخيه جزاك الله
خيرا فقد ابلغ في الثناء • ومن اخلاق الصوفية بذل الجاه للاخوان والمسلمين
كافة واذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعيوب النفس وآفاتها وشهواتها يوصل
الى قضاء حوايج المسلمين ببذل الجاه والمعاونة في اصلاح ذات البين وفي هذا
المعنى يحتاج الى مزيد علم لانها امور تتعلق بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم ولا
يصلح ذلك الا لصوفي تام الحال عالم رباني • روى زيد بن اسلم انه كان نبي فائدة
من الانبياء ياخذ بركاب الملك يتالفه بذلك لقضا حوايج الناس وقال

عطا لان راى الرجل سنين فيكتسب جاها يعيش فيه مومن اهمله من
خلص العمل لنجاة نفسه وهذا باب غامض لا يومن ان يفتتن به خلق من الجهال
الدعين ولا يصلح هذا الا لعبد اطلع الله على باطنه فعلم منه ان لا رغبة له في
شيء من الجاه والمال ولو ان ملوك الارض وقفوا في خدمته ما طغى ولا استطال
ولو دخل الى اتون يوقد ما طهرت نفسه بصريح الانكار لهذه الحال وهذا
لا يصلح الا لاحاد من الخلق وافراد من الصادقين يستصلحون من اراد نفعهم
واختيارهم وينا شغلهم الله بمراده منهم فيدخلون في الاشيا بمراد الله تعالى
فاذا علموا ان الحق يريد منهم المخالطة وبذل الجاه يدخلون في ذلك بغيبة
صفات النفس وهذا لا قوام ما نوا ثم حيثوا واحكموا مقام الفنا ثم رقوا
الى مقام البقاء فيكون لهم في كل مدخل ومخرج برهان وبيان واذن من الله تعالى
على بصيرة من ربهم ليس فيه ارتياب لصاحب قلب مكاشف بصريح المراد في
خفي الخطاب فياخذ وقته ابدا من الاشياء ولا ياخذ الاشياء من وقته ولا
يكون هذا الا في كل قطر من الاقطار واحد متحقق بهذا الحال قال ابو عثمان
الحيري لا يكمل الرجل حتى يستوي في قلبه اربعة اشياء المنع والعطاء والعز
والذل فلمثل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والدخول فيما ذكرناه • قال
سهل بن عبد الله لا يستحق الانسان الرياسة حتى يجتمع فيه ثلاث خصال يصرف
جهله عن الناس ويحتمل جهل الناس ويترك ما في ايديهم ويبذل ما في يده لهم
وهذه الرياسة انما غير الرياسة التي زهد فيها وتعين الزهد فيها لضرورة
صدقه وسلوكه وانما هذه رياسة اقامها الحق لصلاح خلقه فهو فيها بالله
يقوم بواجب حقها وشكر نعمتها لله تعالى • والله سبحانه وتعالى الموفق

الباب الحادي والثلاثون في ذكر الادب ومكانه من التصوف

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ادبني ربي فاحسن تاديبي
فالادب تهذيب الظاهر والباطن فاذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار
صوفيا اديبا • سميت المادبة مادبة لاجتماعها على اشياء ولا تكامل الادب
في العبد الا بتكامل مكارم الاخلاق • ومكارم الاخلاق مجموعها من تحسين

الخلق فالخلق صورة الانسان والخلق معناه • فقال بعضهم الخلق لا سبيل الى تغييره كالخلق • وقد ورد فرغ ربكم من الخلق والخلق والرزق والاجل وقد قال الله تعالى لا تبديل لخلق الله والاصح ان تبديل الاخلاق ممكن مقدور عليه بخلاف الخلق • وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حسنوا اخلاقكم • وذلك ان الله تعالى خلق الانسان وهيأه لقبول الصلاح والفساد وجعله اهلا للادب ومكارم الاخلاق • ووجود الاهلية فيه كوجود النار في الزناد ووجود النخل في النوى ثم ان الله تعالى الهم الانسان ومكنه من اصلاحه بالتربية الى ان يصير النوى نخلا • والزناد بالعلاج حتى تخرج منه نار • وكما جعل في نفس الادمي صلاحية الخير والشر احال الاصلاح والافساد عليه فقال ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها فنسويتها بصلاحيتها للشيئين جميعا ثم قال سبحانه قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها واذا زكت النفس تدبرت بالعقل واستقامت احوالها الظاهرة والباطنة وتهذبت الاخلاق وتكونت الاداب فالاداب استخراج ما في القوة والخلق الى الفعل وهذا يكون لمن ركبت السجية الصالحة فيه والسجية فعل الحق لا قدرة للبشر على تكوينها كتكون النار في الزناد اذ هو فعل الله المحض واستخراجه كسب الادمي فهكذا الاداب منبعها السجايا الصالحة والمنح الالهية ولما هيأ الله تعالى بواطن الصوفية بتكميل السجايا فيها توصلوا بحسن الممارسة والرياضة الى استخراج ما في النفوس مركوز خلق الله تعالى الى الفعل فصاروا مؤدبين مهذبين • والاداب تقع في حق بعض الاشخاص من غير زيادة ممارسة ورياضة لقوة ما اودع الله تعالى في غرائزهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادبني ربي فاحسن تاديبي • وفي بعض الناس من يحتاج الى طول الممارسة لنقصان قوة اصولها في الغريزة ولهذا احتاج المريدون الى صحبة المشايخ لتكون الصحبة والتعلم عونا على استخراج ما في الطبيعة الى الفعل قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا • قال ابن عباس فقهوهم وعلموهم وادبوهم • وفي لفظ اخر قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم ادبني ربي فاحسن تاديبي ثم امرني بمكارم الاخلاق فقال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين • قال يوسف بن الحسين بالادب تفهم العلم • وبالعلم يصح العمل • وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة يقام الزهد وبالزهد تترك الدنيا • وبترك الدنيا يرغب في الاخرة • وبالرغبة في الاخرة تنال الرتبة عند الله • قيل لما ورد ابو حفص العراق جاء اليه الجنيد فراى اصحاب ابي حفص وقوفا على راسه يأتمرون لامره ولا يخطي احد منهم فقال يا ابا حفص ادبت اصحابك ادب الملوك فقال لا يا ابا القاسم ولكن حسن الادب في الظاهر عنوان ادب الباطن • قال ابو الحسين النوري ليس لله في عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط معها اداب الشريعة وادب الشريعة حلية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلي بمحاسن الاداب • قال عبد الله بن المبارك ادب الخدمة اعز من الخدمة • حكي عن ابي عبيد القسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت ربما اقعد حذاء الكعبة وربما كنت استلقي وامد رجلي فجاءتني عائشة المكية فقالت لي يا ابا عبيد يقال انك من اهل العلم اقبل مني كلمة لا تجالسه الا بادب والا فيمحى اسمك من ديوان القرب قال ابو عبيد وكانت من العارفات • وقال ابن عطاء النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مامور بملازمة الادب والنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده الى حسن المطالبة فمن اعرض عن الجهد فقد اطلق عنان النفس وغفل عن الرعاية ومهما اعانها فهو شريكها وقال الجنيد من اعان نفسه على هواها فقد اشرك في قتل نفسه لان العبودية ملازمة الادب والطغيان سوء الادب • اخبرنا الشيخ ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح الهروي قال انا ابو نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي قال ثنا قتيبة قال ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يؤدب الرجل ولده خير له من ان يتصدق بصاع • وروي ايضا انه قال عليه الصلاة والسلام ما نحل والد ولدا من نحل افضل من ادب حسن • وروت

عايشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حق الولد
على الوالد ان يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن ادبه • وقال ابو علي الدقاق
العبد يصل بطاعته الى الجنة وبادبه في طاعته الى الله تعالى • قال ابو القسم
القشيري كان الاستاد ابو علي لا يستند الى شيء وكان يوما في مجمع فاردت
ان اضع وسادة خلف ظهره لاني رايته غير مستند فتنحى عن الوسادة قليلا
فتوهمت انه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة او سجادة فقال لا اريد
الاستناد فتاملت بعد ذلك فعلمت انه لا يستند الى شيء ابدا • وقال
الجلاجلي البصري التوحيد يوجب الايمان فمن لا ايمان له لا توحيد له والايمان
يوجب الشريعة فمن لا شريعة له لا ايمان له ولا توحيد له والشريعة توجب
الادب فمن لا ادب له لا شريعة له ولا ايمان له ولا توحيد • وقال بعضهم الزم
الادب ظاهرا وباطنا فما اساء احد الادب في الظاهر الا عوقب ظاهرا ولا
اساء احد الادب باطنا الا عوقب باطنا • قال بعضهم هو علام الرقاق
نظرت الى غلام امرد فنظر الى الرقاق وانا انظر اليه فقال لتجدن غبها ولو
بعد سنين قال فوجدت غبها بعد عشرين سنة ان انسيت القران •
وقال سري صليت وردي ليلة من الليالي ومددت رجلي في المحراب فنوديت
يا سري هكذا تجالس الملوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك لا مددت رجلي ابدا
قال الجنيد فبقي ستين سنة ما مد رجله ليلا ولا نهارا • قال عبد الله بن
المبارك من تهاون بالادب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب
بحرمان الفرايض ومن تهاون بالفرايض عوقب بحرمان المعرفة • وسيل السري
عن مسلة فجعل يتكلم فيها فدب على رجله عقرب فجعل يضربه بابرته فقيل له
الا تدفعه عن نفسك فقال استحيي من الله ان اتكلم في حال ثم اخالف ما اعلم
فيه • وقيل في ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض
فاريت مشارقها ومغاربها ولم يقل رايت • وقال انس بن مالك الادب في
العمل علامة قبول العمل وقال ابن عطا الادب الوقوف مع المستحسنات
قيل ما معناه قال ان تعامل الله سرا وعلنا بالادب فاذا انت كذلك كنت

ادبا

ادبا وان كنت اعجميا انشد • اذا نطقت جات بكل ملحة وان سكتت جات بكل مليح
وقال الجريري منذ عشرين سنة ما مددت رجلي في الخلوة فان حسن
الادب مع الله احسن واولى • وقال ابو علي ترك الادب موجب للطرد
فمن اساء الادب على البساط رد الى الباب ومن اساء الادب على الباب رد الى سياسة الدواب

الباب الثاني والثلاثون في ادب الحضرة الالهية لاهل القرب

كل الاداب تتلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم مجمع
الاداب ظاهرا وباطنا واخبر الله سبحانه عن ادبه في الحضرة بقوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى وهذه غامضة من غوامض الاداب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبر الله عن اعتدال قلبه المقدس في الاعراض والاقبال اعرض عما سوى الله وتوجه
الى الله وترك وراء ظهره الارضين والدار العاجلة بحظوظها والسموات والدار الاخرة
بحظوظها فما التفت الى ما اعرض عنه ولا جنح الاسف على الفايت في اعراضه قال
الله لكيلا تاسوا على ما فاتكم فهذا الخطاب للعموم وما زاغ البصر اخبار عن حال النبي
صلى الله عليه وسلم بوصف خاص من معنى ما خاطب به العموم فكان ما زاغ البصر
حالة في طرف الاعراض وفي طرف الاقبال تلقى ما ورد عليه في مقام قاب قوسين
بالروح والقلب ثم قرب من الله حياء منه وهيبة واجلالا وطوى نفسه بفرارها في
مطاوي انكساره وافتقاره لكيلا تنبسط النفس فتطغى لان الطغيان عند الاستغناء
وصف النفس قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى • والنفس عند
المواهب الواردة على الروح والقلب تسترق السمع ومتى نالت قسطا من المنح
استغنت وطغت والطغيان يظهر منه فرط البسط والافراط في البسط يسد باب
المزيد وطغيان النفس لضيق وعايها عن المواهب • فموسى عليه السلام صح له في
الحضرة الالهية احد الطرفين ما زاغ بصره وما التفت الى ما فاته متاسفا لحسن
ادبه ولكن امتلا من المنح واسترقت النفس السمع وتطلعت الى القسط والحظ فلما
حظيت النفس استغنت وطغى عليها ما وصل اليها وضاق نطاقها فتجاوز الحد من
فرط البسط وقال ارني انظر اليك فمنع ولم ينطلق في فضاء المزيد وظهر الفرق بين
الحبيب والكليم عليهما الصلاة والسلام وهذه دقيقة لارباب القرب والاحوال

تعالى م

السنية فكل قبض يوجد عقوبة لان كل قبض سد في وجه الفتوح والعقوبة
بالقبض وجبت للافراط في البسط ولو حصل الاعتدال في البسط ما وجبت العقوبة
بالقبض • والاعتدال في البسط بايقاف النازل من المنح على الروح والقلب
والايقاف على الروح والقلب مما ذكرناه من حال النبي صلى الله عليه وسلم من تغيب
النفس في مطاوي الانكسار فذلك الفرار من الله الى الله وهو غاية الادب حظي به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قوبل بالقبض فدام مزيده وكان قاب قوسين
او ادنى ويشاكل الشرح الذي شرحناه قول ابي العباس بن عطاء في قوله تعالى ما زاغ
البصر وما طغى قال لم يره بطغيان يميل بل يراه على شرط اعتدال القوى • وقال
سهل بن عبد الله التستري لم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاهد
نفسه ولا الى مشاهدتها وانما كان مشاهدا بكليته لربه يشاهد ما يظهر عليه
من الصفات التي اوجبت الثبوت في ذلك المحل وهذا الكلام لمن اعتبره موافق
لما شرحناه برمز في ذلك من سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك ايضا ما اخبرنا شيخنا
ضياء الدين ابو النجيب السهروردي اجازة قال اخبرنا الشيخ العالم عصام الدين
ابو حفص عمر بن احمد بن منصور الصفار النيسابوري قال انا ابو بكر احمد بن خلف
الشيرازي قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت ابا نصر عبد الله
بن علي السراج قال لي ابو الطيب العكي عن ابي محمد الجريري قال التترع الى الاستدلال
علم الانقطاع وسبيله والوقوف على حد الانكسار نجاة والتلذذ بالهرب من علم
الدنو وصلة واستفتاح فقد ترك الجواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعي
استماع الخطاب تكلف وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم في حين
الاقبال مساءة والاصغاء الى تلقي ما ينفصل من معدنه بعد واستسلام عند
التلاقي جراءة • والانبساط في محل الانس غرة وهذه الكلمات كلها من اداب
الحضرة لاربابها • وفي قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وجه اخر الطف مما
سبق ما زاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر • وما طغى لم يسبق
البصيرة البصر فيتجاوز حده ويتعدى مقامه بل استقام البصر مع البصيرة
والظاهر مع الباطن والقلب مع القالب والنظر مع القدم فغي تقدم النظر
على

على القدم طغيان والمعنى بالنظر علم وبالقدم حال فلم يتقدم النظر
على القدم فيكون طغيانا ولم يتخلف القدم عن النظر فيكون تقصيرا فلما اعتدلت
الاحوال وصار قلبه كقالبه وقالبه كقلبه وظاهره كباطنه وباطنه كظاهره
وبصره كبصيرته وبصيرته كبصره بحيث انتهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله
ولهذا المعنى انعكس حكم معناه ونوره على ظاهره واتى براق ينتهي خطوه حيث
ينتهي نظره ولا تخلف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء في حديث المعراج فكان
البراق لقالبه مشاكلا لمعناه ومتصفا بصفته لقوة حاله ومعناه واشار في
حديث المعراج الى مقامات الانبياء ورأى في كل سماء بعض الانبياء اشارة الى نعوتهم
وتخلفهم عن شأوه ودرجته ورأى موسى في بعض السموات لمن هو في بعض السموات
يكون قوله ارني انظر اليك تجاوز النظر عن حد القدم وتخلف القدم عن النظر
وهذا هو الاخلال باحد الوصفين من قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى ورسول
الله صلى الله عليه وسلم جمل مقتربا قدمه ونظره في جلباب الحياء والتواضع ناظرا
الى قدمه قادما على نظره • ولو خرج عن جلباب الحياء والتواضع وتطاول بالنظر
متعديا حد القدم تعوق في بعض السموات كتعوق غيره من الانبياء فلم يزل صلوات
الله عليه مستخلص حاله في خفارة ادب حاله حتى خرق حجب السموات فانصبت
اقسام القرب انصبابا وانقشعت عنه سحائب الحجب حجابا حجابا حتى استقام
على صراط ما زاغ البصر وما طغى • لمرًّا كالبرق الخاطف • الى مخدع الوصل واللطف
وهذا غاية في الادب • ونهاية في الارب • قال ابو محمد رويم حين سئل عن
ادب المسافر فقال لا يجاوز همه قدمه • وحيث وقف قلبه يكون مقره • اخبرنا
شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي اجازة قال انا عمر بن احمد قال انا
ابو بكر بن خلف قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال ثنا القاضي ابو محمد يحيى بن
منصور قال ثنا ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي قال ثنا محمد بن رزام الايلي قال
ثنا محمد بن عطاء الهجيمي قال ثنا محمد بن نصير عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية رب ارني انظر اليك قال يا موسى
انه لا يراني حي الا مات ولا يابس الا تدهده ولا رطب الا تفرق انما يراني اهل

اليه

الجنة الذين لا تموت اعينهم ولا تبلى اجسادهم • ومن اداب الحضرة ما قال
الشبلي الانبساط بالقول مع الله ترك الادب وهذا يختص ببعض الاحوال والاشيا
دون البعض ليس هو على الاطلاق لان الله تعالى امر بالدعا وانما الامساك
عن القول كما امسك موسى عن الانبساط في طلب المارب والحاجات الدنياوية
حتى رفعه الحق مقاما في القرب واذن له في الانبساط وقال اطلب مني ولو ملحا
لعجينك فلما بسط انبسط وقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير لانه كان
يسال حوايج الاخرة ويستعظم الحضرة ان يسال حوايج الدنيا لحقارتها
وهو في حجاب الحشمة عن سوال المحقرات ولهذا مثال في الشاهد فان الملك
المعظم يسال المعظمات ويحتشم في طلب المحقرات فلما رفع بساط الحشمة
صار في مقام خاص من القرب يسال الحقير كما يسال الخطير • قال
ذو النون المصري رحمة الله عليه ادب العارف فوق كل ادب لان معروفه مودب
قلبه • وقال بعضهم يقول الحق سبحانه من الزمته القيام مع اسمايي
وصفاتي الزمته الادب ومن كشفت له عن حقيقة ذاتي الزمته العطب فاختر
ايهما شيت الادب او العطب وقول القايل هذا يشير الى ان الاسماء والصفات
تستقل بوجود محتاج الى الادب لبقاء رسوم البشرية وحظوظ النفس ومع
لمعان نور عظمة الذات تتلاشى الاثار بالانوار ويكون معنى العطب التحقق بالفناء
وفي ذلك العطب نهاية الارب • وقال ابو علي الدقاق في قوله عز وجل وايوب
اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين قال لم يقل ارحمني لانه حفظ
ادب الخطاب • وقال عيسى ان كنت قلته فقد علمته ولم يقل لم اقل رعاية لادب
الحضرة • وقال ابو نصر السراج ادب اهل الخصوصية من اهل الدين في طهارة
القلوب ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات الى الخواطر
والعوارض والبوادي والعوايق واستواء السر والعلانية وحسن الادب
في مواقف الطلب ومقامات القرب واوقات الحضور • والادب ادبان ادب
قول وادب فعل فمن تقرب الى الله بادب فعله منحه محبة القلوب • قال ابن المبارك
نحن الى قليل من الادب احوج منا الى كثير من العلم • وقال ايضا الادب

للعارف

للعارف بمنزلة التوبة للمستانف • وقال النوري من لم يتادب للوقت فوقته
مقت • وقال ذو النون اذا خرج المريد عن حد استعمال الادب فانه يرجع من
حيث جاء • وقال ابن المبارك ايضا قد اكثر الناس في الادب ونحن نقول
معرفة النفس • وهذه اشارة منه الى ان النفس هي منبع الجهالات • وترك الادب
من ثمرة الجهل فاذا عرف النفس صادف نور العرفان على ما ورد من عرف نفسه
فقد عرف ربه • ولهذا النور تظهر النفس بجهالة الا ويقمعها بصريح العلم ويتادب
ومن قام باداب الحضرة فهو بغيرها اقوم وعليها اقدر •

الباب الثالث والثلاثون في ادب الطهارة ومقدماتها •

قال الله تعالى في وصف اصحاب الصفة فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله
يحب المطهرين • قيل في التفسير يحبون ان يتطهروا من الاحداث والجنابات والنجاسات
بالما قال الكلبي هو غسل الادبار بالما وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون
بالليل على الجنابة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء
لما نزلت هذه الاية ان الله عز وجل قد اثنى عليكم في الطهور فما هو قالوا انا نستنجي
بالماء وكانوا قبل ذلك قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم
الخلاء فليستنج بثلاثة احجار وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء حتى نزلت الاية
في اهل قباء • قيل لسلمان قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة فقال سلمان اجل
نهانا ان نستقبل القبلة لغايط او بول او ان نستنجي باليمين او ان يستنجي احدنا
باقل من ثلاثة احجار او نستنجي برجيع او عظم • حدثنا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب
السهروردي املاء قال انا ابو منصور الحريمي قال انا ابو بكر الخطيب قال انا ابو عمر
الهاشمي قال انا ابو علي اللولوي قال انا ابو داود قال ثنا عبد الله بن محمد قال ثنا
ابن المبارك عن ابن عجلان عن القعقاع عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم فاذا اتى احدكم الغايط
فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب بيمينه وكان يامر بثلاثة احجار
وينهى عن الروث والرمة • والغرض في الاستنجاء شيان ازالة الخبث وطهارة
المزيل وهو ان لا يكون رجيعا وهو الروث ولا مستعملا مرة اخرى ولا رمة وهو

عظم الميتة ووتر الاستنجاء سنة فاما ثلاثة احجار او خمسة او سبعة والماء
الماء بعد استعمال الحجر سنة وقد قيل في الآية يحبون ان يتطهروا قالوا لما
سئلوا عن ذلك قالوا انا نتبع الماء الحجر والاستنجاء بالشمال سنة ومسح
اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهذا يكون في الصحراء اذا كانت ارضا طاهرة
وترابا طاهرا وكيفية الاستنجاء ان ياخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المخرج
قبل ملاقاة النجاسة ويمده بالمسح ويدير الحجر في مده حتى لا ينقل النجاسة من
موضع الى موضع ويفعل ذلك الى ان ينتهي الى موخر المخرج وياخذ الثاني ويضعه
على الموخر كذلك ويمسح الى المقدمة وياخذ الثالث ويديره حول المسربة وان
استجمر بحجر ذي ثلاث شعب جاز • واما الاستبراء فاذا انقطع البول يمد
ذكره من اصله الى الحشفة ثلاثا بالرفق لئلا يتدفق بقية البول ثم ينتره ثلاثا
ويحتاط في الاستبراء بالاستنقاء وهو ان يتنحنح ثلاثا لان العروق ممتدة من
الحلق الى الذكر وبالتنحنح تحرك وتقذف ما في مجرى البول وان مشى خطوات وزاد
في التنحنح فلا باس ولكن يراعي حد العلم ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا بالوسوسة
وتضييع الوقت ثم يمسح الذكر ثلاث مسحات او اكثر الى ان لا يرى الرطوبة وشبه
بعضهم الذكر بالضرع وقال لا تزال تظهر منه الرطوبة ما دام يمد فيراعي
الحد في ذلك • ويراعي الوتر في ذلك ايضا والمسحات تكون على الارض الطاهرة
او حجر طاهر وان احتاج الى اخذ الحجر لصغره فلياخذ الحجر باليمين والذكر
باليسار ويمسح على الحجر وتكون الحركة باليسار لا باليمين لئلا يكون مستنجيا باليمين
واذا اراد استعمال الماء انتقل الى موضع اخر ويقنع بالحجر ما لم ينتشر البول
على الحشفة وفي ترك الاستنقاء في الاستبراء وعيد ورد فيما رواه عبد الله
بن عباس رضي الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال
انهما تعذبان وما يعذبان في كبيرة اما هذا فكان لا يستبرئ من البول واما أو لا يستبرئ
هذا فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا
واحدا وعلى هذا واحدا وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا والعسيب الجريد
واذا كان في الصحراء يبعد عن العيون • روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان

كان اذا اراد البراز انطلق حتى لا يراه احد • وروى المغيرة بن شعبة قال كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاتى النبي صلى الله عليه وسلم حاجته
فابعد في المذهب • وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتبوأ لحاجته
كما يتبوأ الرجل المنزل وكان يستتر بحائط او نشز من الارض او كوم من الحجارة
ويجوز ان يستتر الرجل براحلته في الصحراء او بذيله اذا حفظ الثوب من الرشاش
ويستحب البول في ارض دمثة او على تراب مهيل • قال ابو موسى كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يبول فاتى دمثا في اصل جدار فبال
ثم قال اذا اراد احدكم ان يبول فليرتد لبوله • وينبغي ان لا يستقبل القبلة ولا
يستدبرها ولا يستقبل الشمس والقمر ولا يكره استقبال القبلة في البنيان
والاولى اجتنابه لذهاب بعض الفقهاء الى كراهية ذلك في البنيان ايضا ولا يرفع
ثوبه حتى يدنو من الارض ويجتنب مهاب الرياح احترازا من الرشاش • قال
رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا احسبك تحسن الخراءة فقال بلى
وابيك اني بها لحاذق قال فصفها لي فقال ابعد الاثر • واعد المدر واستقبل
الشيح واستدبر الريح واقعي اقعاء الظبي واجفل اجفال النعام يعني استقبل
اصول النبت من الشيح وغيره واستدبر الريح احترازا من الرشاش والاقعاء
هاهنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه ويقول عند
الفراغ من الاستنجاء اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وطهر قلبي من الرياء وحصن
فرجي من الفواحش • ويكره ان يبول الرجل في المغتسل • روى عبد الله بن مغفل
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يبول الرجل في مستحمه وقال ان عامة الوسواس
منه وقال ابن المبارك يوسع في البول في المستحم اذا جرى فيه الماء واذا كان
في البنيان يقدم رجله اليسرى لدخول الخلاء ويقول قبل الدخول بسم الله اعوذ
بالله من الخبث والخبائث • حدثنا شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب السهروردي
قال انا ابو منصور المقري قال انا ابو بكر الخطيب قال انا ابو عمر الهاشمي قال انا
ابو علي اللؤلؤي قال انا ابو داود قال ثنا عمرو هو ابن مرزوق البصري قال ثنا
شعبة عن قتادة عن النضر بن انس عن زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

ان هذه الحشوش محتضرة فاذا اتى احدكم الخلاء فليقل اعوذ بالله من الخبث والخبائث
واراد بالحشوش الكنف • واصل الحش جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم
اليها قبل ان تتخذ الكنف في البيوت وقوله محتضرة اي تحضرها الشياطين •
وفي الجلوس للحاجة يعتمد على الرجل اليسرى ولا يتولع بيده ولا يخط في الارض
والحايط وقت قعوده ولا يكثر النظر الى عورته الا للحاجة الى ذلك ولا يتكلم فقد ورد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يخرج الرجلان يضربان الغايط كاشفين
عورتهما يتحدثان فان الله تعالى يمقت على ذلك • ويقول عند خروجه غفرانك الحمد
لله الذي اذهب عني ما يوذيني وابقى علي ما ينفعني • ولا يستصحب معه شيا عليه
اسم الله تعالى من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل الخلاء حاسر الراس • روت
عايشة رضي الله عنها عن ابيها ابي بكر رضي الله عنه قال استحيوا من الله فاني
لا ادخل الكنيف فالرق ظهري واغطي راسي استحياء من ربي

الباب الرابع والثلاثون في اداب الوضوء واسراره

اذا اراد الوضوء يبتدي بالسواك • حدثنا شيخنا قال انا ابو عبد الله الطاي
قال انا الحافظ الفرا قال عبد الواحد بن احمد المليحي قال انا ابو منصور محمد بن
محمد بن احمد قال انا ابو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار قال ثنا حميد بن زنجويه قال
ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا محمد بن ابراهيم عن ابي سلمة بن عبد
الرحمن عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا
ان اشق على امتي لاخرت العشاء الى ثلث الليل ولامرتهم بالسواك عند كل مكتوبة
وروت عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السواك مطهرة للفم
مرضاة للرب • وعن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام
من الليل يشوص فاه بالسواك والشوص الدلك • ويستحب السواك عند كل
صلاة وعند كل وضوء وكلما تغير الفم من ازم وغيره • واصل الازم امساك
الاسنان بعضها على بعض • وقيل للسكوت ازم لان الاسنان تنطبق وبذلك
يتغير الفم • ويكره للصايم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال واكد استحبابه
مع غسل الجمعة وعند القيام من الليل ويبدي السواك اليابس بالماء ويستاك

عرضا وطولا وان اقتصر فعرضا فاذا فرغ من السواك يغسله ويجلس للوضوء
والاولى ان يكون مستقبل القبلة يبتدي ببسم الله الرحمن الرحيم ويقول
رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ويقول
عند غسل اليد اللهم اني اسالك اليمن والبركة واعوذ بك من الشوم والهلكة
ويقول عند المضمضة اللهم صل على محمد واعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك
ويقول عند الاستنشاق اللهم صل على محمد واوجدني رايحة الجنة وانت عني
راض ويقول عند الاستنثار اللهم صل على محمد وعلى ال محمد واعوذ بك من
روايح النار وسوء الدار ويقول عند غسل الوجه اللهم صل على محمد وبيض
وجهي يوم تبيض وجوه اوليايك ولا تسود وجهي يوم تسود فيه وجوه اعدايك
وعند غسل اليمين اللهم صل على محمد واتني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا
وعند غسل الشمال اللهم اني اعوذ بك ان تؤتيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري
وعند مسح الراس اللهم صل على محمد وغشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني
تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك ويقول عند مسح الاذنين اللهم صل
على محمد واجعلني ممن يستمع القول فيتبع احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة مع
الابرار ويقول في مسح العنق اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل
والاغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى اللهم ثبت قدمي على الصراط مع اقدام صل على محمد و
المومنين ويقول عند غسل اليسرى اللهم صل على محمد واعوذ بك ان تزل قدمي
عن الصراط يوم تزل فيه اقدام المنافقين واذا فرغ من الوضوء يرفع راسه
الى السماء ويقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده
ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك
واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم صل على محمد
واجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني صبورا شكورا واجعلني
اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا • وفرايض الوضوء النية عند غسل
الوجه وغسل الوجه • وحد الوجه من مبتدا تسطيح الوجه الى منتهى الذقن
وما ظهر من اللحية وما استرسل منها ومن الاذن الى الاذن عرضا ويدخل في

الغسل البياض الذي بين الاذنين واللحية وموضع الصلع وما انحسر عنه
الشعر وهما النزعتان من الراس ويستحب غسلهما مع الوجه ويوصل الماء
الى شعر التحذيف وهو القدر الذي تزيله النساء من الوجه ويوصل الماء
الى العنفقة والحاجب والشارب والعذار وما عدا ذلك لا يجب ثم اللحية
ان كانت خفيفة يجب ايصال الماء الى البشرة وحد الخفيف ان ترى البشرة من
تحته وان كانت كثيفة فلا يجب ويجتهد في تنقية مجتمع الكحل من مقدم العين
الواجب الثالث غسل اليدين الى المرفقين ويجب ادخال المرفقين في
الغسل ويستحب غسلهما الى انصاف العضدين وان طالت الاظافير حتى خرج
من رؤس الاصابع يجب غسل ما تحتها على الاصح • الواجب الرابع مسح الراس
ويجزي ما يطلق عليه اسم المسح واستيعاب الراس بالمسح سنة وهو ان يلصق
راس اصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الراس ويمدهما الى القفا ثم
يردهما الى الموضع الذي بدا منه ويلصق بلل الكفين مستقبلا ومستدبرا
والواجب الخامس غسل القدمين ويجب ادخال الكعبين في الغسل ويستحب
غسلهما الى انصاف الساقين ويقطع غسل القدمين من الكعبين • ويجب
تخليل الاصابع الملتفة فيخلل بخنصر يده اليسرى من باطن القدم يبدا بخنصر
رجله اليمنى ويختم بخنصره اليسرى وان كان في الرجل شقوق يجب ايصال
الماء الى باطنها وان ترك فيها عجينا او شحما يجب ازالة عين ذلك الشيء • الواجب
السادس الترتيب على النسق المذكور في كتاب الله تعالى • والواجب السابع
التتابع في القول القديم عند الشافعي رحمة الله عليه وحد التفريق الذي
يقطع التتابع نشاف العضو مع اعتدال الهواء • وسنن الوضوء ثلاثة عشر
التسمية في اول الطهارة وغسل اليدين الى الكوعين قبل ادخالهما الاناء
والمضمضة والاستنشاق والمبالغة فيهما فيغرغر في المضمضة حتى يرد الماء
الى الغلصمة ويستمد في الاستنشاق الماء بالنفس الى الخياشيم ويرفق في
ذلك اذا كان صائما وتخليل اللحية الكثة وتخليل الاصابع المنفرجة والبداة
بالميامن واطالة الغرة واستيعاب الراس بالمسح والتثليث وفي القول الجديد

التابع

التابع ويجتنب ان يزيد على الثلاث ولا ينفض اليد ولا يتكلم في اثناء الوضوء
ولا يلطم وجهه بالماء لطما وتجديد الوضوء مستحب بشرط ان يصلي بالوضوء ما تيسر

الباب الخامس والثلاثون في ادب اهل الخصوص والصوفية في الوضوء

• ادب الصوفية بعد القيام بمعرفة الاحكام ادبهم في الوضوء
حضور القلب في غسل الاعضاء سمعت بعض الصالحين يقول اذا حضر القلب
في الوضوء يحضر في الصلاة واذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة في الصلاة
ومن ادبهم استدامة الوضوء فالوضوء سلاح المومن والجوارح اذا كانت
في حماية الوضوء الذي هو اثر شرعي يقل طروق الشيطان عليها قال عدي
بن حاتم ما اقيمت صلاة منذ اسلمت الا وانا على وضوء • وقال انس بن مالك قدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وانا يومئذ ابن ثماني سنين فقال لي يا بني ان
استطعت ان لا تزال على الطهارة فافعل فانه من اتاه الموت وهو على الوضوء
اعطي الشهادة فشان العاقل ان يكون ابدا مستعدا للموت ومن الاستعداد
لزوم الطهارة حكي عن الحصري انه قال مهما انتبه من الليل لا يحملني النوم الا
بعد ما اقوم واجدد الوضوء لئلا اعود الى النوم وانا على غير طهارة وسمعت
من صحب الشيخ علي بن الهيتي انه كان يقعد الليل جميعه فان غلبه النوم يكون
قاعدا كذلك وكلما انتبه يقول لا اكون اسات الادب فيقوم ويجدد الوضوء
ويصلي ركعتين • روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال
عند صلاة الفجر يا بلال حدثني بارجى عمل عملته عندي في الاسلام منفعة فاني سمعت
الليلة خشفة نعليك بين يدي في الجنة فقال ما عملت عملا في الاسلام ارجى عندي
منفعة من اني لا اتطهر طهورا تاما في ساعة من ليل او نهار الا صليت لربي عز وجل
ما كتب لي ان اصلي • ومن ادبهم في الطهارة ترك الاسراف في الماء والوقوف على حد
العلم • اخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح الهروي
قال انا ابو نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا
ابو عيسى الترمذي قال ثنا محمد بن بشار قال ثنا ابو داود قال ثنا خارجة بن مصعب
عن يونس بن عبيد عن الحسن عن يحيى بن ضمرة السعدي عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء قال
ابو عبد الله الروذباري ان الشيطان يجتهد ان ياخذ نصيبه من جميع اعمال بني
آدم فلا يبالي ان ياخذ نصيبه بان يزدادوا فيما امروا به او ينقصوا منه • وحكي
عن ابن الكريني انه اصابته جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة ثخينة
غليظة فجا الى دجلة وكان بردا شديدا فحرنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد
فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ثم خرج من الماء وقال اعتقدت ان لا انزعها من
بدني حتى تجف علي قيل فلم تجف عليه شهرا كاملا لثخانتها وغلظها ادب بذلك
نفسه لما حرنت عن الائتمار لامر الله تعالى • وقيل ان سهل بن عبد الله كان
يحث اصحابه على كثرة شرب الماء وقلة صبه على الارض وكان يرى ان في الاكثار
من شرب الماء ضعف النفس واماتة الشهوات وكسر القوة ومن احوال الصوفية
الاحتياط في استبقاء الماء للوضوء كان ابراهيم الخواص اذا دخل البادية لا
يحمل معه الا ركوة من ماء وربما كان لا يشرب منها الا القليل يحفظه للوضوء وقيل
انه كان يخرج من مكة الى الكوفة ولا يحتاج الى التيمم يحفظ الماء للوضوء ويقنع بالقليل
للشرب وقيل اذا رايت الصوفي ليس معه ركوة ولا كوز فاعلم انه قد عزم على
ترك الصلاة شاء ام ابى • وحكي عن بعضهم انه ادب نفسه في الطهارة الى حد
انه اقام بين ظهراني جماعة من النساك وهم مجتمعون في دار فما راه احد منهم انه
دخل الخلاء لانه كان يقضي حاجته اذا خلا الموضع في وقت يريد لتاديبه نفسه
وقيل مات الخواص في جامع الري في وسط الماء وذلك انه كان به علة البطن
وكلما قام دخل الماء وغسل نفسه فدخل مرة ومات فيه كل ذلك لحفظه على الوضوء
والطهارة • وقيل كان ابراهيم بن ادهم به قيام فقام في ليلة واحدة نيفا
وسبعين مرة وكل مرة يجدد الوضوء ويصلي ركعتين وقيل ان بعضهم
ادب نفسه حتى لا يخرج منه الريح الا وقت البراز مراعي الادب في الخلوات
واتخاذ المنديل بعد الوضوء كرهه قوم وقالوا ان الوضوء يوزن واجازه بعضهم
ودليلهم ما اخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح الهروي
قال انا ابو نصر قال انا ابو محمد قال انا ابو العباس قال انا ابو عيسى الترمذي قال ثنا

سفيان

سفيان بن وكيع ثنا عبد الله بن وهب عن زيد بن حباب عن ابي معاذ عن الزهري عن
عروة عن عائشة قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خرقة ينشف بها
اعضاءه بعد الوضوء وروى معاذ بن جبل قال رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا توضا مسح وجهه بطرف ثوبه • واستقصاء الصوفية في
تطهير البواطن من الصفات والاخلاق المذمومة لا الاستقصاء في طهارة الظاهر
الى حد يخرج عن حد العلم • وتوضا عمر رضوان الله عليه من جرة نصرانية مع
كون النصارى لا يتحرزون عن الخمر واجرى الامر على الظاهر واصل الطهارة وقد
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون على الارض من غير سجادة ٥
ويمشون حفاة في الطريق وقد كانوا لا يجعلون وقت بينهم وبين التراب حائلا
وقد كانوا يقتصرون على الحجر في الاستنجاء في بعض الاوقات وكان امرهم في
الطهارات الظاهرة على التساهل واستقصاؤهم في طهارة الباطن وهكذا شغل
الصوفية وقد يكون في بعض الاشخاص تشدد في الطهارة ويكون مستند ذلك
رعونة النفس فلو اتسخ ثوبه تحرج ولا يبالي بما في باطنه من الغل والحقد والكبر
والعجب والرياء والنفاق ولعله ينكر على الشخص لو داس الارض حافيا مع وجود
رخصة الشرع ولا ينكر عليه ان يتكلم بكلمة غيبة يخرب بها دينه وكل ذلك من قلة
العلم وترك التادب بصحبة الصادقين من العلماء الراسخين في العلم • وكانوا
يكرهون كثرة الدلك في الاستبراء لانه ربما يسترخي العروق ولا يمسك البول
ويتولد منه التقطر المفرط ومن حكايات المتصوفة في الوضوء والطهارة ان ابا
عمرو الزجاجي جاور بمكة ثلاثين سنة وكان لا يتغوط في الحرم ويخرج الى الحل
واقل ذلك فرسخ • وقيل كان بعضهم على وجهه قرح لم يند مثل اثنتي عشرة
سنة لان الماء كان يضره وكان مع ذلك لا يدع تجديد الوضوء عند كل فريضة
وبعضهم نزل في عينه الماء فحملوا اليه المداوي وبذلوا له مالا كثيرا ليداويه
فقال المداوي يحتاج ان لا يمس الماء اياما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل
ذلك واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء • والله سبحانه وتعالى الموفق

الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شانها

روى عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما خلق الله جنة عدن وخلق فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر قال لها تكلمي قالت قد افلح المؤمنون ثلاثا شهد القرآن المجيد بالفلاح
للمصلين • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل لدلوك الشمس
حين زالت وصلى بي الظهر • واشتقاق الصلاة قيل من الصلا وهو النار •
والخشبة المعوجة اذا ارادوا تقويمها تعرض على النار ثم تقوم وفي العبد اعوجاج
لوجود نفسه الامارة بالسوء • وسبحات وجه الله الكريم التي لو كشف حجابها
احرقت من ادركته يصيب بها المصلي من وهج السطوة الالهية والعظمة الربانية
ما يزول به اعوجاجه • بل تحقق به معراجه فالمصلي كالمصطلي بالنار • ومن
اصطلى بنار الصلاة وزال بها اعوجاجه لا يعرض على نار جهنم الا تحلة القسم
اخبرنا الشيخ العالم رضي الدين احمد بن اسمعيل القزويني اجازة انا ابو سعيد
محمد بن ابي العباس بن محمد الخليلي انا ابو سعيد الفرخزادي انا ابو اسحق احمد
بن محمد انا ابو الهيثم الحسن بن محمد بن الحسن انا ابو زكريا يحيى بن محمد العنبري قال
ثنا جعفر بن احمد الحافظ انا احمد بن نصير ثنا آدم بن ابي اياس عن ابن سمعان عن
العلاء عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول
الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن
الرحيم قال الله عز وجل مجدني عبدي فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال
حمدني عبدي فاذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى على عبدي فاذا قال مالك يوم
يوم الدين قال فوض الي عبدي فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال
هذا بيني وبين عبدي فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا العبد
ولعبدي ما سال فالصلاة صلة بين العبد وبين الرب وما كان صلة بينه
وبين الله فحق العبد ان يكون خاشعا لصولة الربوبية على العبودية • وقد ورد
ان الله تعالى اذا تجلى لشيء خضع له ومن تحقق بالصلة في الصلاة تلمع له طوالع
التجلي فيخشع • والفلاح للذين هم في صلاتهم خاشعون وبانتفاء الخشوع
ينتفي الفلاح • قال الله تعالى واقم الصلاة لذكري واذا كانت الصلاة

للذكر كيف يسع فيها النسيان وقال الله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون • فمن قال ولا يعلم ما يقول كيف يصلي وقد نهاه الله تعالى
عن ذلك فالسكران يقول الشيء لا بحضور عقل والغافل يصلي لا بحضور عقل فهو
كالسكران • وقيل في غرايب التفسير في قوله تعالى اخلع نعليك انك بالواد
المقدس طوى • قيل نعليك همك بامراتك وغنمك فالاهتمام بغير الله سكر
في الصلاة • وقيل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون
ابصارهم الى السماء في الصلاة وينظرون يمينا وشمالا فلما نزلت الذين هم في
صلاتهم خاشعون جعلوا وجوههم حيث يسجدون وما روي بعد ذلك احد
منهم ينظر الا الى الارض • روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان العبد اذا قام الى الصلاة فانه بين يدي الرحمن فاذا التفت قال له الرب الى من
تلتفت الى من هو خير لك مني • ابن آدم اقبل الي فانا خير لك ممن تلتفت اليه
وابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو
خشع قلب هذا خشعت جوارحه • وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا صليت صلاة فصل صلاة مودع • فالمصلي سائر الى الله بقلبه يودع هواه
ودنياه وكل شيء سواه والصلاة في اللغة هي الدعاء فكان المصلي يدعو الله تعالى
بجميع جوارحه فصارت اعضاؤه كلها السنة يدعو بها ظاهرا وباطنا وتشارك
الظاهر والباطن بالتضرع والتقلب في الهيئات تملقات متضرع سائل محتاج فاذا
دعا بكليته اجابه مولاه لانه وعد وقال ادعوني استجب لكم • وكان خالد
الربعي يقول عجبت لهذه الاية ادعوني استجب لكم امرهم بالدعا ووعدهم
بالاجابة وليس بينهما شرط والاستجابة والاجابة هو نفوذ دعا العبد فان
الداعي الصادق العالم بمن يدعوه بنور يقينه يخرق الحجب وتقف الدعوة
بين يدي الله عز وجل متقاضية للحاجة • وخص الله تعالى هذه الامة بانزال
فاتحة الكتاب وفيها تقديم الثناء على الدعاء ليكون اسرع الى الاجابة وهي
تعليم الله تعالى عباده كيفية الدعاء وفاتحة الكتاب هي السبع المثاني والقرآن
العظيم • قيل سميت مثاني لانها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم

مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة
نزلت منهما فهم آخر بل كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقرأها
على الترداد مع طول الزمان فهم آخر وهكذا المصلون المحققون من أمته
تنكشف لهم عجائب أسرارها • وتقذف لهم كل مرة درر بحارها • وقيل
سميت مثاني لأنها استثنيت من الرسل وهي سبع آيات • وروت أم رومان
قالت رآني أبو بكر وأنا أتميل في الصلاة فزجرني زجرا كدت أنصرف عن صلاتي
ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا قام أحدكم إلى
الصلاة فليسكن أطرافه لا يتميل تميل اليهود فإن سكون الأطراف من تمام
الصلاة • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من خشوع النفاق
قيل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن ونفاق القلب فأما تميل اليهود
فقيل كان موسى يعامل بني إسرائيل على ظاهر الأمور لقلة ما في باطنهم فكان
يهيب الأمور ويعظمها ولهذا المعنى أوحى الله تعالى إليه أن حلي التوراة
بالذهب ووقع لي والله أعلم أن موسى كان يرد عليه الوارد في صلاته وحالة
مناجاته فيموج به باطنه كبحر ساكن يهب عليه الريح فتتلاطم الأمواج فكان
تمايل موسى تلاطم أمواج بحر القلب إذا هبت عليه نسمات الفضل وربما
كانت الروح تتطلع إلى الحضرة الإلهية فتهم بالاستعلاء وللقالب بها تشبك
وامتزاج فيضطرب القالب ويتمايل فرأى اليهود ظاهره فتمايلوا من غير حظ
لبواطنهم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكارا
على أهل الوسوسة هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت
أبدانهم وغابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما
يشهد بدنه وإن الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه
ساهيا لاهيا واعلم أن الله سبحانه أوجب الصلوات الخمس وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن ترك الصلاة فقد كفر
فبالصلاة تحقيق العبودية • وأداء حق الربوبية • وسائر العبادات وسائل إلى
تحقيق سر الصلاة • قال سهل بن عبد الله التستري يحتاج العبد إلى السنن

الرواتب

الرواتب لتكميل الفرائض ويحتاج إلى النوافل لتكميل السنن ويحتاج إلى الآداب
لتكميل النوافل ومن الآداب ترك الدنيا • والذي ذكره سهل هو معنى ما قاله
عمر على المنبر إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله صلاة قيل
وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها • وقد ورد
في الأخبار أن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله تعالى الحجاب بينه وبينه
وواجهه بوجهه الكريم وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء يصلون
بصلاته ويؤمنون على دعائه • وإن المصلي لينثر عليه من البر من عنان السماء
إلى مفرق رأسه ويناديه مناد لو علم المصلي من يناجي ما التفت يمينا أو ما
انفتل • وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة ما فرق على أهل السموات • فلله
ملائكة في الركوع منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون من الركوع إلى يوم القيامة
وهكذا في السجود والقيام والقعود • والعبد المتيقظ يتصف في ركوعه
بصفة الراكعين منهم وفي السجود بصفة الساجدين وفي كل هيئة هكذا
ويصير كالواحد منهم وبينهم • وفي غير الفريضة ينبغي للمصلي أن يمكث في ركوعه
متلذذا بالركوع غير مهتم بالرفع منها وإن طرقته سآمة بحكم الجبلة استغفر
منها ويستديم الهيئة ويتطلع أن يذوق الخشوع اللائق بهذه الهيئة ليصير
قلبه بلون الهيئة وربما يتراءى للراكع المحق أنه إن سبق همه في حال الركوع أو
السجود إلى الرفع منهما ما وفى الهيئة حقها فيكون همه لحظته مستغرقا فيها
مشغولا بها عن غيرها من الهيئات فبذلك يتوفر حظه من بركة كل هيئة فإن السرعة
التي يتقاضاها الطبع تسد باب الفتوح وتقف في مهاب النفحات الإلهية
حتى يتكامل حظ العبد فتنجلي آثاره بحسن الاسترسال ويستقر في مقعد
الوصال • وقيل في الصلاة أربع هيئات وستة أذكار فالهيئات الأربع
القيام والقعود والركوع والسجود • والأذكار الستة التلاوة والتسبيح
والحمد والاستغفار • والدعاء • والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فصارت
عشرة كاملة وتفرق هذه العشرة على عشرة صفوف من الملائكة كل صف عشرة
آلاف فيجتمع في الركعتين ما تفرق على مائة ألف من الملائكة والله الموفق والمعين

الباب السابع والاربعون في وصف صلاة اهل القرب

ونذكر في هذا الفصل كيفية الصلاة بهيئاتها وشروطها وآدابها الظاهرة والباطنة
على الكمال باقصى ما انتهى اليه فهمنا وعلمنا على الوجه مع الاعراض عن نقل الاقوال
في كل شيء من ذلك اذ في ذلك كثرة وتخرج عن حد الاختصار والايجاز المقصود
فنقول وبالله التوفيق • ينبغي للعبد ان يستعد للصلاة قبل دخول وقتها
بالوضوء ولا يوقع الوضوء في وقت الصلاة فذلك من المحافظة عليها ويحتاج
لمعرفة الوقت الى معرفة الزوال وتفاوت الاقدام لطول النهار وقصره ويعتبر
الزوال بان الظل ما دام في الانتقاص فهو النصف الاول من النهار فاذا اخذ
الظل في الازدياد فهو النصف الاخير وقد زالت الشمس فاذا عرف الزوال
وان الشمس على كم قدم تزول يعرف اول الوقت وآخره ووقت العصر ويحتاج
الى معرفة المنازل ليعلم طلوع الفجر ويعلم اوقات الليل وشرح ذلك يطول
ويحتاج ان يفرد له باب فاذا دخل وقت الصلاة يقدم السنة الراتبة ففي
ذلك سر وحكمة وذلك والله اعلم ان العبد تشعث باطنه وتفرق همه بما
يليه من المخالطة مع الناس وقيامه بمهام المعاش او سهو جرى بوضع الجبلة
او صرف همه الى اكل او نوم بمقتضى العادة فاذا قدم السنة يتجذب باطنه
الى الصلاة وتهيا للمناجاة ويذهب بالسنة الراتبة اثر الغفلة والكدورة
من الباطن فيتصلح الباطن ويصير مستعدا للفريضة فالسنة مقدمة صلاة
تستنزل البركات وتطرق النفحات ثم يجدد التوبة مع الله تعالى عند الفراغ
عن كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة فالعامة الكبائر والصغائر مما
اوحى اليه الشرع ونطق به الكتاب والسنة • والخاصة ذنوب حال الشخص
فكل عبد على قدر صفاء حاله له ذنوب تلائم حاله ويعرفها صاحبها وقيل
حسنات الابرار سيئات المقربين ثم لا يصلي الا جماعة • قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة ثم
يستقبل القبلة بظاهره والحضرة الالهية بباطنه ويقرا قل اعوذ برب
الناس ويقرا في نفسه اية التوجه وهذا التوجه قبل الصلاة والاستفتاح

قبل

قبل الصلاة لوجه الظاهر بانصرافه الى القبلة وتخصيص جهة بالتوجه دون
جهة الصلاة ثم يرفع يديه حذو منكبيه بحيث تكون كفاه حذو منكبيه وابهاماه
عند شحمتي اذنيه ورؤس الاصابع مع الاذنين ويضم الاصابع وان نشرها
جاز والضم اولى فانه قيل النشر نشر الكف لا نشر الاصابع ويكبر ولا يدخل
بين با اكبر وراءه الفا ويجزم الاكبر ويجعل المد في الله ولا يبالغ في ضم الها من الله
ولا يبتدي بالتكبير الا اذا استقرت اليدان حذو منكبيه ويرسلهما مع التكبير
من غير نفض فالوقار اذا سكن القلب تشكلت به الجوارح وتادبت بالاولى
والاصوب ويجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يغيب عن قلبه حالة التكبير
انه يصلي الصلاة بعينها • حكي عن الجنيد انه قال لكل شيء صفوة وصفوة
الصلاة التكبيرة الاولى وانما كانت التكبيرة صفوة لانها موضع النية واول
الصلاة • قال ابو نصر السراج سمعت ابن سالم يقول النية بالله ولله ومن الله
والافات التي تدخل في صلوة العبد بعد النية من العدو ونصيب العدو
وان كثر لا يوازن بالنية التي هي لله وبالله ومن الله وان قلت وسيل ابو سعيد
الخراز كيف الدخول في الصلاة فقال هو ان تقبل على الله تعالى كاقبالك عليه
يوم القيمة ووقوفك بين يدي الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك
وانت تناجيه وتعلم بين يدي من انت واقف فانه الملك العظيم • وقيل
لبعض العارفين كيف تكبر التكبيرة الاولى فقال ينبغي اذا قلت الله اكبر ان يكون
مصحوبك في الله التعظيم مع الالف والهيبة مع اللام والمراقبة والغرق
مع الهاء • واعلم ان من الناس من اذا قال الله اكبر غاب في مطالعة العظمة والكبرياء
وامتلا باطنه نورا وصار الكون باسره في فضاء شرح صدره كخردلة بارض فلاة
ثم تلقى الخردلة فما تخشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخايل في الباطن هو من
الكون الذي صار بمثابة الخردلة والقيت فكيف تزاحم الوسوسة مثل هذا العبد
وقد يزاحم مطالعة العظمة والغيبوبة في ذلك كون النية غير انه لغاية لطف الحال
تختص الروح بمطالعة العظمة والقلب يتميز بالنية فتكون النية موجودة بلطف
صفاتها مندرجة في نور العظمة اندراج الكوكب في ضوء الشمس • ثم يقبض بيده

اليمنى يده اليسرى ويجعلهما بين السرة والصدر واليمنى لكرامتها تجعل
فوق اليسرى ويمد المسبحة والوسطى على الساعد ويقبض بالثلاث البواقي
اليسرى من الطرفين • وقد فسر امير المومنين على رضوان الله عليه قوله
تعالى فصل لربك وانحر فقال انه وضع اليمين على الشمال تحت الصدر وذلك
ان تحت الصدر عرقا يقال له الناحر اى ضع يدك على الناحر • وقال بعضهم
وانحر اي استقبل القبلة بنحرك وفي ذلك سر خفي كما شف به من وراء
استار الغيب وذلك ان الله تعالى بلطف حكمته خلق الادمي وشرفه
وكرمه وجعله محل نظره ومورد وحيه ونخبة ما في ارضه وسمايه روحانيا
جسمانيا ارضيا سماويا منتصب القامة مرتفع الهيئة فنصفه الاعلى من حد
الفواد مستودع اسرار السموات ونصفه الاسفل مستودع اسرار
الارض فمحل نفسه ومركزها النصف الاسفل ومحل وجه الروحاني والقلب
النصف الاعلى فجواذب الروح مع جواذب النفس يتطاردان ويتحاربان
وباعتبار تطاردهما وتغالبهما لمة الملك ولمة الشيطان ووقت الصلاة يكثر
التطارد لوجود التجاذب بين الايمان والطبع فيكا شف المصلي الذى صار
قلبه سماويا مترددا بين الفناء والبقاء بجواذب النفس متصاعدة من مركزها
والجوارح وتصرفها وتحركها مع معاني الباطن ارتباط وموازنة فبوضع
اليمين على الشمال حصر النفس ومنع من صعود جواذبها واثر ذلك يظهر
بدفع الوسوسة وزوال حديث النفس في الصلاة ثم اذا استولت جواذب
الروح وتملكت من الفرق الى القدم عند كمال الانس وتحقق قرة العين
واستيلاء سلطان المشاهدة تصير النفس مقهورة ذليلة وتستنير تركها
بنور الروح فتنقطع حينيذ جواذب النفس وعلى قدر استنارة مركز
النفس يزول كل العبادة ويستغني حينيذ عن مقاومة النفس ومنع جواذبها
بوضع اليمين على الشمال فيسبل حينيذ ولعل لذلك والله اعلم ما نقل
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى مسبلا وهو مذهب مالك
ثم يقرا وجهت وجهي الاية وهذا التوجه ايضا لوجه قلبه والذى قبل الصلاة

لوجه قالبه ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا
اله غيرك اللهم انت الملك لا اله الا انت انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي
واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا انه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني
لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا
يصرف عني سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله بيديك والشر ليس
اليك انا بك واليك تباركت وتعاليت استغفرك واتوب اليك ويطرق
راسه في قيامه ويكون نظره الى موضع السجود ويجمل القيام بانتصاب القامة
ونزع يسير الانطواء عن الركبتين والخواصر ومعاطف البدن ويقف كانه
ناظر بجميع جسده الى الارض فهذا من خشوع ساير الاجزاء ويكون الجسد يلون
القلب من الخشوع ويراوح بين القدمين مقدار اربع اصابع فان ضم الكعبين
هو الصفد المنهي عنه ولا يرفع احدى الرجلين فانه الصفن المنهي عنه نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد واذا كان الصفن منهيا عنه ففي
زيادة الاعتماد على احدى الراحتين دون الاخرى معنى من الصفن فالاولى رعاية
الاعتدال في الاعتماد على الرجلين جميعا • ويكره اشتمال الصماء وهو ان يخرج
يده من قبل صدره ويجتنب السدل وهو ان يرخي اطراف الثوب الى الارض
ففيه معنى الخيلاء وقيل هو الذي يلتف بالثوب ويجعل يديه من داخل فيركع
ويسجد كذلك وفي معناه اذا جعل يده داخل القميص ويجتنب الكف وهو ان
يرفع ثيابه بيديه عند السجود ويكره الاختصار وهو ان يجعل يديه على الخاصرة
ويكره الصلب وهو وضع اليدين جميعا على الخصرين وتجافي العضدين فاذا وقف
في الصلاة على الهيئة التي ذكرناها مجتنبا للمكاره فقد تمم القيام وكمله فيقرا
التوجه والدعاء كما ذكرنا ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويقولها في
كل ركعة امام القراءة ويقرا الفاتحة وما يقرا بعدها بحضور قلب وجمع هم ومواطاة
بين القلب واللسان بحظ وافر من الوصلة والدنو والهيبة والخشوع والخشية
والتعظيم والوقار والمشاهدة والمناجاة وان قرا بين الفاتحة وما يقرا بعدها
اذا كان اماما في السكتة الثانية اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين

المشرق والمغرب ونقني من خطاياي كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم
اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد فحسن وان قالها في السكتة الاولى
فحسن • روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك وان كان منفردا
يقولها قبل القراءة ويعلم العبد ان تلاوته نطق باللسان ومعناها نطق
بالقلب وكل مخاطب لشخص يتكلم بلسانه ولسانه يعبر عما في قلبه ولو امكن
المتكلم افهام من يكلمه من غير لسان لفعل ولكن حيث تعذر الافهام الا بالكلام
جعل اللسان ترجمانا فاذا قال باللسان من غير مواطاة القلب فما اللسان
ترجمانا ولا القارئ متكلما قاصدا اسماع الله حاجته ولا مستمعا الى الله فانما
عنه سبحانه ما خاطبه وما عنده غير حركة اللسان بقلب غايب عن فضل
ما يقول فلا يكون متكلما مناجيا ولا مستمعا واعيا فاقل مراتب اهل الخصوص
في الصلاة الجمع بين القلب واللسان في التلاوة ووراء ذلك احوال للخواص
يطول شرحها • قال بعضهم ما دخلت في صلاة قط فاهمني فيها غير ما
اقول • وقيل لعامر بن عبد الله هل تجد في الصلاة شيئا من امور الدنيا
فقال لان تختلف علي الاسنة احب الي من ان اجد في الصلاة ما تجدون •
وقيل لبعضهم هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من الدنيا فقال لا في
الصلاة ولا في غيرها ومن الناس من اذا اقبل على الله في صلاته يتحقق بمعنى
الانابة لان الله تعالى قدم الانابة وقال منيبين اليه واتقوه واقيموا
الصلاة فينيب الى الله تعالى ويتقي الله بالتبري عما سواه ويقيم الصلاة بصدر
منشرح بالاسلام • وقلب منفسح بنور الانعام فتخرج الكلمة من القران من لسانه
ويسمعها بقلبه فتقع الكلمة في فضاء قلب ليس فيه غيرها فيتملكها القلب بحسن
الفهم ولذاذة الاصغاء ويتشربها بحلاوة الاستماع وكمال الوعي ويدرك
لطيف معناها وشريف فحواها • معاني تلطف عن تفصيل الفكر وتتشكل بخفي
الذكر ويصير الظاهر من معاني القران قوتا للنفس والنفس المطمئنة متعوضة
بمعاني القران عن حديثها لكونها معاني ظاهرة متوجهة الى عالم الحكمة والشهادة
وتقرب مناسبتها من النفس المكونة لاقامة رسم الحكمة ومعاني القران الباطنة

التي

التي يكاشف بها من الملكوت قوت القلب ويخلص الروح المقدس الى اوايل
سرادقات الجبروت بمطالعة عظمة المتكلم وبمثل هذه المطالعة يكون كمال الاستغراق
في لج الاشواق • كما نقل عن مسلم بن يسار انه صلى ذات يوم في مسجد البصرة
فوقعت اسطوانة سمع بسقوطها اهل السوق وهو واقف في الصلاة لم
يعلم بذلك • ثم اذا اراد الركوع يفصل بين القراءة والركوع ثم يركع طاويا للقامة
والنصف الاسفل بحاله في القيام من غير انطواء الركبتين ويجافي مرفقيه عن
جنبيه ويمد عنقه مع ظهره ويضع راحتيه على ركبتيه منشورة الاصابع
روى مصعب بن سعد قال صليت الى جنب سعد بن مالك فجعلت يدي
بين ركبتي وبين فخذي وطبقتهما فضرب بيدي وقال اضرب بكفيك على ركبتيك
وقال يا بني انا كنا نفعل ذلك فامرنا ان نضرب بالاكف على الركب ويقول
سبحان ربي العظيم ثلاثا وهو ادنى الحال والكمال ان يقول عشرا وما يأتي
به من العدد يكون بعد التمكن من الركوع ومن غير ان يمزج اخر ذلك بالرفع ويرفع
يديه للركوع وللرفع من الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو اقرب
الى الخشوع من النظر الى موضع السجود وانما ينظر الى موضع سجوده في قيامه ويقول
بعد التسبيح اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك امنت ولك اسلمت خشع
لك سمعي وبصري وعظمي ومخي وعصبي ويكون قلبه في الركوع بمعنى الركوع
من التواضع والاخبات ثم يرفع راسه قائلا سمع الله لمن حمده عالما بقلبه ما يقول
فاذا استوى قائما يقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء
ما شئت من شيء بعد ثم يقول اهل الثناء والمجد حق ما قال العبد كلنا لك عبد
لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فان اطال في
النافلة القيام بعد الرفع من الركوع فليقل لربي الحمد مكررا ذلك مهما شاء فاما
في الفرض فلا يطول تطويلا يزيد على الحد زيادة بينة ويكفي في الرفع من الركوع
تمام الاعتدال باقامة الصلب • روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال لا ينظر الله الى من لا يقيم صلبه بين الركوع والسجود ثم يهوي ساجدا ويكون
في هويه مكبرا مسقطا حاضرا خاشعا عالما بما يهوي فيه واليه وله فمن الساجد

من يهوي الى تخوم الارضين متغيبا في اجزا الملك لامتلا قلبه من الحيا واستشعار
روحه عظيم الكبريا كما ورد ان جبريل تستر بجناحيه من جناحه حيا من
الله تعالى ومن الساجدين من يكاشف انه يطوي بسجوده بساط الكون
والمكان وينشرح قلبه في فضا الكشف والعيان فتهوي دون هويه
اطباق السموات وتمحي لقوة شهوده تماثيل الكاينات ويسجد على طرف رداء
العظمة وذلك اقصى ما ينتهي اليه طاير الهمة البشرية وتعي بالوصول اليه
القوى الانسانية وتتفاوت الانبياء والاوليا في مراتب العظمة ٥
واستشعار كنهها لكل منهم على قدره حظ من ذلك • وفوق كل ذي علم عليم
ومن الساجدين من يتسع وعاوه وينتشر ضياوه ويتخطى بالصفتين ويبسط
الجناحين فيتواضع بقلبه اجلالا ويرفع بروحه اكراما وافضالا فيجتمع له
الانس والهيبة والحضور والغيبة والفرار والقرار والاسرار والجهار
فيكون في سجوده سابحا في بحر شهوده لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما
قال سيد البشر في سجوده سجد لك سوادي وخيالي ولله يسجد من في
السموات والارض طوعا وكرها فالطوع للروح والقلب لما فيهما من الاهلية
والكره من النفس لما فيها من الاجنبية ويقول في سجوده سبحان ربي الاعلى
ثلاثا الى العشر الذي هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لانهما
يسجدان وفي الهوي يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وانفه ويكون ناظرا
الى ارنبة انفه في السجود فهو ابلغ في الخشوع للساجد ويباشر بكفيه المصلى
ولا يلفهما في الثوب ويكون راسه بين كفيه ويداه حذو منكبيه غير متيامن
ومتياسر بهما ويقول بعد التسبيح اللهم لك سجدت وبك امنت
ولك اسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله
احسن الخالقين • وروى امير المومنين علي رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك وان قال سبوح قدوس
رب الملايكة والروح فحسن • روت عايشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك • ويجافي مرفقيه عن جنبيه

ويوجه

ويوجه اصابعه في السجود نحو القبلة ويضم اصابع كفيه مع الابهام ولا
يفرش ذراعيه على الارض ثم يرفع راسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب
اليمنى متوجها بالاصابع الى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمهما
وتفريجهما ويقول رب اغفر لي وارحمني واهدني واجبرني وعافني واعف
عني ولا يطيل هذه الجلسة في الفريضة وفي النافلة فلا باس مهما اطال
قايلا رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره
الاقعاء في القعود وهو ههنا ان يضع اليتيه على عقبيه ثم اذا اراد النهوض
الى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة للاستراحة ويفعل في بقية الركعات
هكذا ثم يتشهد • وفي الصلاة سر المعراج وهو معراج القلوب والتشهد
مقر الوصول بعد قطع مسافات الهيات على تدريج طبقات السموات
والتحيات سلام على رب البريات فليدر هو لما يقول ومع من يقول وكيف
يقول ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويمثله بين عيني قلبه ويسلم على
عباد الله الصالحين فلا يبقى في الارض والسما عبد من عباد الله الا سلم عليه
بالنسبة الروحية والخاصية الفطرية ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى
مقبوضة الاصابع الا المسبحة ويرفع المسبحة في الشهادة في الا الله لا في
كلمة النفي ولا يرفعها منتصبة بل مايلة راسها الى الفخذ منطوية فهذه هيية
خشوع المسبحة ودليل سراية خشوع القلب اليها ويدعوا في اخر صلاته
لنفسه وللمومنين وان كان اماما فينبغي ان لا ينفرد بالدعاء بل يدعوا لنفسه ولمن
وراه فان الامام المتيقظ في الصلاة كحاجب دخل على سلطان ووراه اصحاب
الحوايج بينا لهم ويعرض حاجاتهم والمومنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا
وبعدا وصفهم الله تعالى في جماعته فقال كانهم بنيان مرصوص • وفي وصف
هذه الامة في الكتب السالفة صفهم في صلاتهم كصفهم في قتالهم ثنا بذلك
شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي املاء انا ابو عبد الرحمن محمد بن علي
بن شعيب الماليني انا ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الواعظ انا ابو محمد
عبد الله بن احمد السرخسي انا ابو عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي

انا ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي انا مجاهد بن موسى قال ثنا معن
هو ابن عيسى انه سال كعب الاحبار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه ١
وسلم في التوراة قال نجد محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر بطيبة ويكون
ملكه بالشام وليس بفحاش ولا صخاب في الاسواق ولا يكافي بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويصفح امته الحمادون يحمدون الله تعالى في كل سراء ويكبرون الله
تعالى على كل نجد يوضئون اطرافهم ويأتزرون في اوساطهم يصفون في
صلاتهم كما يصفون في قتالهم دويهم في مساجدهم كدوي النحل يسمع مناديهم
في جو السماء • والامام في الصلاة مقدمة الصف في محاربة الشيطان فهو
اولى المصلين بالخشوع والاتيان بوظايف الادب ظاهرا وباطنا والمصلون
المتيقظون كلما اجتمعت ظواهرهم تجتمع بواطنهم ويتناصرون ويتعاضدون ويسري
من البعض الى البعض انوار وبركات بل جميع المؤمنين المصلين في اقطار الارض
بينهم تعاضد وتناصر بحسب القلوب ونسب الاسلام ورابطة الايمان
بل يمدهم الله تعالى بالملائكة الكرام كما امد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالملائكة المسومين لحاجتهم الى محاربة الشيطان اشد من حاجتهم الى محاربة
الكفار • ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر فتداركهم الاملاك بل بانفاسهم الصادقة تماسك
الاملاك فاذا اراد الخروج من الصلاة يسلم عن يمينه وينوي مع التسليم
الخروج من الصلاة والسلام على الملائكة الحاضرين من المؤمنين ومؤمني الجن
ويجعل خده مبينا لمن عن يمينه بالتواء عنقه ويفصل بين هذا السلام والسلام
عن يساره فقد ورد النهي عن المواصلة والمواصلة خمس اثنتان تختص بالامام
وهو ان لا يوصل القراءة بالتكبير والركوع بالقراءة واثنتان على المأموم وهو ان
لا يوصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة على الامام
والمأمومين وهو ان لا يوصل تسليم الفرض بتسليم النفل • ويجزم التسليم ولا
يمده مدا ثم يدعو بعد التسليم بما شاء من امر دينه ودنياه ويدعو قبل التسليم
ايضا في صلب الصلاة فانه يستجاب ومن ام الصلوات الخمس في جماعة فقد

ملأ البر والبحر عبادة • وكل المقامات والاحوال زبدتها الصلوات الخمس وفي
سر الدين وكفارة المؤمن • وتمحيص للخطايا على ما اخبرنا شيخنا ضياء الدين ابو
النجيب السهروردي اجازة قال انا ابو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون قال
انا ابو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة انا ابو عمر محمد بن العباس بن زكريا قال
ثنا ابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال ثنا الحسين بن الحسن المروزي انا عبد الله بن
المبارك انا يحيى بن عبيد الله قال سمعت ابي يقول سمعت ابا هريرة يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارات للخطايا واقرأوا ان شئتم إن
الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين •

الباب الثامن والثلاثون في ذكر اداب الصلاة واسرارها

احسن اداب الصلاة ان لا يكون مشغول القلب بشيء قل او كثر لان الاداني لم يرضوا
الدنيا الا ليقيموا الصلاة كما امروا الا ان الدنيا واشغالها لما كانت شاغلة للقلب
رفضوها غيرة على محل المناجاة ورغبة في اوطان القربات واذعانا بالباطن لرب
الارباب لان حضور الصلاة بالظاهر مراد عن الظاهر وفراغ القلب في الصلاة عما
سوى الله تعالى اذعان الباطن فلم يروا حضور الظاهر وتخلف الباطن حتى لا تختل
اذعانهم فتخرم عبوديتهم فيجتنب ان يكون باطنه مرتهنا بشيء ويدخل الصلاة
وقيل من فقه الرجل ان يبدأ بقضاء حاجته قبل الصلاة ولهذا ورد اذا حضر
العشاء والعشاء فقدموا العشاء على العشاء ولا يصلي وهو حاقن يطالبه
البول ولا حازق يطالبه الغايط والحزق ايضا ضيق الخف ولا يصلي وخفه ضيق
يشغل قلبه فقد قيل لا راي لحازق وقيل الذي يكون خفه ضيقا وفي الجملة ليس
من الادب ان يصلي وعنده ما يغير مزاج باطنه عن الاعتدال بهذه الاشيا التي
ذكرناها والاهتمام المفرط والغضب • وفي الخبر لا يدخل احدكم في الصلاة وهو
مقطب ولا يصلين احدكم وهو غضبان • ولا ينبغي للعبد ان يتلبس بالصلاة
الا وهو على اتم الهيئات واحسن لبسة المصلي سكون الاطراف وعدم الالتفات
والاطراق • ووضع اليمين على الشمال • فما احسنها من هيئة عبد ذليل واقف
بين يدي ملك عزيز • وفي رخصة الشرع دون ثلاث حركات متواليات جايز

وأرباب العزيمة يتركون الحركة في الصلاة جملة وقد حركت يدي في الصلاة
وعندي شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلاة أنكر علي وقال عندنا
أن العبد إذا وقف في الصلاة ينبغي أن يبقى جمادا جمدا لا يتحرك منه شيء وقد جاء
في الخبر سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة
والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء وقيل السهو والشك
وقد روي عن عبد الله بن عباس أنه قال إن الخشوع في الصلاة أن لا يعرف المصلي
من عن يمينه وشماله ونقل عن سفين أنه قال من لم يخشع فسدت صلاته
وروي عن معاذ بن جبل أشد من ذلك فقال من عرف من عن يمينه وشماله في الصلاة
متعمدا فلا صلاة له وقال بعض العلماء من قرأ كلمة مكتوبة في حائط أو بساط
في صلاته فصلاته باطلة قال بعضهم لأن ذلك عده عملا وقيل في تفسير
قوله تعالى والذين هم على صلاتهم دائمون قيل هو سكون الأطراف والطمأنينة
قال بعضهم إذا كبرت التكبيرة الأولى فاعلم أن الله ناظر إلى ما تخفيه عالم
بما في ضميرك مثل لك في صلاتك الجنة عن يمينك والنار عن شمالك وإنما ذكر أن يمثل
الجنة والنار أن القلب إذا اشتغل بذكر الآخرة تنقطع عنه الوساوس فيكون
هذا التمثيل تداويا للقلب لدفع الوسوسة أخبرنا ضياء الدين أبو النجيب
السهروردي إجازة أنا عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر بن خلف أنا أبو عبد
الرحمن قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت محمد بن الحسين يقول قال
سهل من خلا قلبه من ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان فأما من باشر
باطنه صفو اليقين ونور المعرفة فيستغني بشاهده عن تمثيل مشاهده
قال أبو سعيد الخراز إذا ركع فالأدب في ركوعه أن ينتصب ويدنو ويتبدد
في ركوعه حتى لا يبقى منه مفصل إلا وهو منتصب نحو العرش ثم يعظم الله تعالى
حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم من الله ويصغر في نفسه حتى يكون أقل من الهباء فإذا
رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه سبحانه يسمع ذلك وقال أيضا ويكون
معه من الخشية ما يكاد يذوب قال السراج إذا أخذ العبد في التلاوة
فالأدب في ذلك أن يشاهد بسمع قلبه كأنه يسمع من الله أو كأنه يقرأ على الله
وقال

وقال السراج أيضا من أدبهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب
من الخواطر والعوارض وذكر كل شيء غير ذكر الله فإذا قاموا إلى الصلاة بحضور
القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيبقون مع النفس والعقل الذين
دخلوا في الصلاة بهما فإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب
فكأنهم أبدا في الصلاة فهذا أدب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يتهيأ له هو مع
حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس واحدا من أصحابه يعد عليه كم ركعة
صلى وقيل للصلاة أربع شعب حضور القلب في المحراب وشهود العقل
عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الأركان بلا ارتقاب
لأن عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العقاب وعند
خضوع النفس فتح الأبواب وعند خشوع الأركان وجود الثواب فمن أتى الصلاة
بلا حضور القلب فهو مصل لاه ومن أتاها بلا شهود العقل فهو مصل ساه ومن
أتاها بلا خضوع النفس فهو مصل خاطئ ومن أتاها بلا خشوع الأركان فهو مصل
جاف ومن أتاها كما وصف فهو مصل واف وقد ورد عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذا قام العبد إلى الصلاة المكتوبة مقبلا على الله بقلبه وسمعه
وبصره انصرف من صلاته وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وإن الله ليغفر
بغسل الوجه خطيئة أصابها وبغسل يديه خطيئة أصابتهما وبغسل رجليه
خطيئة أصابتهما حتى يدخل في صلاته وليس عليه وزر وذكرت السرقة
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي السرقة أقبح قالوا الله ورسوله
أعلم فقال إن أقبح السرقة أن يسرق الرجل صلاته قالوا كيف يسرق الرجل صلاته
قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا القراءة فيها وروي عن أبي عمرو
بن العلاء أنه قدم للإمامة فقال لا أصلح فلما ألحوا عليه كبر فغشي عليه
فقدموا إماما آخر فلما أفاق سئل فقال لما قلت استووا هتف بي هاتف هل
استويت أنت مع الله قط وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العبد
إذا أحسن الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها
قالت الصلاة حفظك الله كما حفظتني ثم صعدت ولها نور حتى تنتهي إلى السماء

وحتى تصل الى الله فتشفع لصاحبها واذا اضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتني
ثم صعدت ولها ظلمة حتى تنتهي الى ابواب السماء فتغلق دونها ثم تلف كما يلف
الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها • قال ابو سليمن الداراني اذا
وقف العبد في الصلاة يقول الله ارفعوا الحجب فيما بيني وبين عبدي فاذا
التفت يقول الله ارخوها فيما بيني وبين عبدي وخلوه وما اختار لنفسه • وقال
ابو بكر الوراق ربما اصلي فانصرف منها وانا استحيي من الله تعالى حياء رجل
انصرف من الزنا • قوله هذا لتعظيم الادب عنده • ومعرفته كل انسان بادب
الصلاة على قدر حظه من القرب • وقيل لموسى بن جعفر ان الناس افسدوا
عليك الصلاة بمرورهم بين يديك قال ان الذي اصلي له اقرب من الذي يمشي
بين يدي • وقيل كان زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما اذا
اراد ان يخرج الى الصلاة لا يعرف من تغير لونه فقيل له في ذلك فقال اتدرون
بين يدي من اريد اقف • وروى عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لا يكتب للعبد من صلاته الا ما يعقل • وقد ورد في لفظ اخر
منكم من يصلي الصلاة كاملة ومنكم من يصلي النصف والثلث والربع والخمس
حتى يبلغ العشر قال الخواص ينبغي للرجل ان ينوي نوافله لفرايضه فان لم يتموها
لم يحسب له منها شي • بلغنا ان الله لا يقبل نافلة حتى تودي فريضته •
يقول الله مثلكم كمثل العبد السوء بدا بالهدية قبل قضاء الدين وقال
ايضا انقطع الخلق عن الله بخصلتين احدهما انهم طلبوا النوافل وضيعوا
الفرايض والثاني انهم عملوا اعمالا بالظواهر ولم ياخذوا انفسهم بالصدق
فيها والنصح لها وابى الله ان يقبل من عامل عملا الا بالصدق واصابة الحق
وفتح العين في الصلاة اولى من تغميض العين الا ان يتشتت همه بتفريق النظر
فيغمض العين للاستعانة على الخشوع وان تثاوب في الصلاة يضم شفتيه بقدر
الامكان ولا يلزق دقنه بصدره ولا يزاحم في الصلاة غيره • قيل ذهب
المزحوم بصلاة الزاحم • وقيل من ترك الصف الاول مخافة ان يضيق على اهله
فقام في الثاني اعطاه الله مثل ثواب الاول من غير ان ينقص من اجورهم شي الصف

وقيل

وقيل ان ابراهيم الخليل عليه السلام كان اذا قام الى الصلاة يسمع خفقان
قلبه من ميل وروت عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع
من صدره ازيز كازيز المرجل حتى كان يسمع في بعض سكك المدينة وسيل الجنيد
ما فريضة الصلوة قال قطع العلايق وجمع الهم والحضور بين يديه وقال الحسن
ماذا يعز عليك من امر دينك اذا هانت عليك الصلاة وقيل اوحى الله تعالى
الى بعض الانبياء وقال اذا دخلت في الصلاة فهب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك
الخضوع ومن عينيك الدموع فاني قريب وقال ابو الخير الاقطع رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله اوصني فقال يا ابا الخير عليك
بالصلاة فاني استوصيت ربي فاوصاني بالصلاة وقال انا اقرب ما اكون منك
وانت تصلي لي • وقال ابن العباس ركعتان في تفكر خير من قيام ليلة وقيل
ان محمد بن يوسف الفرغاني راى حاتما الاصم واقفا يعظ الناس فقال له يا حاتم
اراك تعظ الناس افتحسن ان تصلي قال نعم قال كيف تصلي قال اقوم بالامر وامشي
بالخشية وادخل بالهيبة واكبر بالعظمة واقرا بالترتيل واركع بالخشوع واسجد
بالتواضع واجلس للتشهد بالتمام واسلم على السنة واسلمها الى ربي واحفظها
ايام حياتي وارجع باللوم على نفسي واخاف ان لا تقبل مني وارجو ان تقبل مني
وانا بين الخوف والرجاء واشكر من علمني واعلمها من سالني واحمد ربي اذ هداني
فقال محمد بن يوسف مثلك يصلح ان يكون واعظا • قيل لا تقربوا الصلاة وانتم
سكارى قيل من حب الدنيا وقيل من الاهتمام • وقال عليه الصلاة والسلام
من صلى ركعتين لم يحدث نفسه بشي من الدنيا غفر الله له ما تقدم من ذنبه
وقال ايضا انما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتنادم وترفع يديك وانت
تقول اللهم اللهم فمن لا يفعل ذلك فهي خداج اي ناقصة • وورد ان المومن اذا
توضا للصلاة تباعدت عنه الشياطين في اقطار الارض خوفا منه لانه تاهب
للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر
اليه وواجهه الملك الجبار بوجهه واذا قال الله اكبر اطلع الملك في قلبه فاذا
راه ليس في قلبه اكبر من الله عز وجل فيقول صدقت الله تعالى في قلبك كما تقول

ويتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش ويكشف له بذلك النور ملكوت
٢ السموات والارض ويكتب له بحو ذلك النور حسنات • وان الغافل الجاهل
اذا قام الى الصلاة احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل
فاذا كبر اطلع الملك على قلبه فاذا كان في قلبه شيء اعظم من الله عنده فيقول له
كذبت ليس الله تعالى اكبر في قلبك كما تقول فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان
السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت فيزداد ذلك الحجاب صلابة ويلتقم الشيطان
قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس اليه ويزين حتى ينصرف من صلاته ولا
يعقل ما كان فيه • وفي الخبر لولا ان الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم
لنظروا الى ملكوت السماء • فالقلوب الصافية التي كملت ادبها لكمال ادب قوالبها
تصير سماوية تدخل بالتكبير في السماء كما تدخل في الصلاة والله تعالى حرس السماء من
تصرف الشياطين • فالقلب السماوي لا سبيل للشيطان اليه فتبقى هواجس
نفسانية عند ذلك لا تنقطع بالتحصن بالسماء كما انقطاع تصرف الشيطان
والقلوب المرادة بالقرب تدرج بالتقريب وتعرج في طبقات السماوات وفي
كل طبقة من اطباق السماء تخلف شيئا من ظلمة النفس وبقدر ذلك يقل الهاجس الى
ان يجاوز السموات ويقف امام العرش فعند ذلك يذهب بالكلية هاجس
النفس بساطع نور العرش وتندرج ظلمات النفس في نور القلب اندراج الليل
في النهار وتتادى حينئذ حقوق الاداب على وجه الصواب وما ذكرناه من ادب
الصلاة يسير من كثير • وشان الصلاة اكبر من وصفنا واكمل من ذكرنا وقد
غلط اقوام وظنوا ان المقصود من الصلاة ذكر الله تعالى واذا حصل الذكر فاي
حاجة الى الصلاة وسلكوا طرقا من الضلال وركنوا الى اباطيل الخيال ومحوا
الرسوم والاحكام ورفضوا الحلال والحرام • وقوم اخرون سلكوا في
ذلك طريقا ادتهم الى نقصان الحال حيث سلموا من الضلال لانهم اعترفوا
بالفرايض وانكروا النوافل واغتروا بيسير روح الحال واهملوا افضل
الاعمال ولم يعلموا ان لله في كل هيئة من الهيئات وكل حركة من الحركات اسرارا
وحكما لا توجد في شيء من الاذكار والاحوال وللاعمال روح وجثمان وما دام

١١٧
العبد في دار الدنيا فاعراضه عن الاعمال عين الطغيان فالاعمال تركوا بالاحوال
والاحوال تنموا بالاعمال

الباب التاسع والثلثون

في فضل الصيام وحسن اثره

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر نصف الايمان والصوم
نصف الصبر • وقيل ما في عمل ابن ادم شيء الا ويذهب برد المظالم الا الصوم
فانه لا يدخله قصاص ويقول الله عز وجل يوم القيمة هذا لي فلا يقتص احد
منه شيئا • وفي الخبر الصوم لي وانا اجزي به • قيل اضافه الى نفسه لان
فيه خلقا من اخلاق الصمدية وايضا لانه من اعمال السر من قبيل التروك
لا يطلع عليه احد الا الله • وقيل في تفسير قوله تعالى السائحون هم
الصائمون لانهم ساحوا الى الله بجوعهم وعطشهم • وقيل انما يوفي الصابرون
اجرهم بغير حساب هم الصائمون لان الصبر اسم من اسماء الصوم يفرغ
للصائم افراغا ويجازف له مجازفة • وقيل احد الوجوه في قوله تعالى فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون كان عملهم الصوم
وقال يحيى بن معاذ اذا ابتلي المريد بكثرة الاكل بكت عليه الملائكة رحمة
له ومن ابتلي بحرص الاكل فقد احرق بنار الشهوة وفي نفس ابن آدم الف عضو
بطنه ع من الشر كلها في كف الشيطان متعلق بها فاذا جوع واخذ حلقه وروض
نفسه يبس كل عضو واحترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله • واذا اشبع
بطنه وترك حلقه في لذائذ الشهوات فقد رطب اعضاءه وامكن الشيطان
من نفسه • والشبع نهر في النفس يرده الشيطان • والجوع نهر في الروح
يردها الملائكة • وينهزم الشيطان من جائع نائم فكيف اذا كان قائما ويعانق
الشيطان شبعانا قائما فكيف اذا كان نائما فقلب المريد الصادق يصرخ الى
الله من طلب النفس الطعام والشراب • دخل رجل على الطيالسي وهو ياكل
خبزا يابسا قد بله بالماء مع ملح جريش فقال له كيف تشتهي هذا قال ادعه حتى
اشتهيه • وقيل من اشرف في مطعمه ومشربه تعجل الصغار والذل اليه في الدنيا
قبل اخرته • وقال بعضهم الباب العظيم الذي يدخل منه الى الله قطع الغذاء

وقال بشر ان الجوع يصفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق
وقال ذو النون ما اكلت حتى شبعت ولا شربت حتى رويت الا عصيت الله
او هممت بمعصيته • وروى القسم بن محمد عن عايشة رضي الله عنها قالت
كان ياتي علينا الشهر ونصف شهر ما يدخل بيتنا نار لا لمصباح ولا لغيره قال
قلت سبحان الله فباي شي كنتم تعيشون قالت التمر والماء وكان لنا جيران
من الانصار جزاهم الله خيرا كانت لهم منايح فربما ارسلوا ابالشي • وروي ان
حفصة بنت عمر رضي الله عنها وعن ابيها قالت لابيها ان الله قد اوسع الرزق
فلو اكلت طعاما اكثر من طعامك ولبست ثيابا الين من ثيابك فقال انا اخاصمك
الى نفسك الم يكن من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا يقول مرارا فبكت
فقال قد اخبرتك والله لاشاركنه في عيشه الشديد لعلي اصيب عيشه الرخي
وقال بعضهم ما نخلت لعمري دقيقا الا وانا له عاص • وقالت عايشة ما شبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام من خبز بر حتى مضى لسبيله وقالت
عايشة اديموا قرع باب الملكوت يفتح لكم قالوا كيف نديم قالت بالجوع والعطش
والظما • وقيل ظهر ابليس ليحيى بن زكريا وعليه معاليق فقال ما هذه
قال الشهوات التي اصيب بها ابن ادم قال هل لي فيها شهوة قال لا غير
انك شبعت ليلة فثقلناك عن الصلاة والذكر فقال لا جرم اني لا اشبع ابدا
قال ابليس لا جرم اني لا انصح احدا ابدا • وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها
الخلوة والاتها الجوع • وقال لقمن لابنه اذا امتلت المعدة نامت الفكرة وخرست
الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال الحسن لا تجمعوا بين الادمين فانه
من طعام المنافقين • وقال بعضهم اعوذ بالله من زاهد قد افسدت
معدته اطعمة الاغنياء • فيكره للمريد ان يوالي في الافطار اكثر من اربعة ايام الوان ٤
فان النفس عند ذلك تركن الى العادة وتتسع بالشهوة • وقيل الدنيا بطنك
على قدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا • وقال عليه الصلاة والسلم
ما ملا ادمي وعاء شرا من بطن حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة
فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه • وقال فتح الموصلي صحبت ثلاثين شيخا

ص

كل يوصيني عند مفارقتي اياه بترك عشرة الاحداث وقلة الاكل •

الباب الاربعون في اختلاف احوال الصوفية بالصوم

والافطار • جمع من مشايخ الصوفية كانوا يديمون الصوم في السفر والحضر
على الدوام حتى لحقوا بالله تعالى • وكان ابو عبد الله بن جابان صام نيفا
وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر فجهد اصحابه يوما فافطر فاعتل
من ذلك اياما • فاذا راى المريد صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دايما
ويدع الافطار جانبا فهو عون حسن له على ما يريد روى ابو موسى الاشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الدهر ضيقت عليه جهنم
هكذا وعقد تسعين اي لم يكن له فيها موضع • وكره قوم صوم الدهر وقد
ورد في ذلك ما رواه قتادة قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا افطر • واول قوم ان صوم الدهر
هو ان لا يفطر العيدين وايام التشريق فهذا الذي يكره واذا افطر هذه
الايام فليس هو الصوم الذي كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومنهم
من كان يصوم يوما ويفطر يوما • وقد ورد افضل الصيام صوم اخي داود
كان يصوم يوما ويفطر يوما فاستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون
بين حال الصبر وحال الشكر • ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما
او يصوم يوما ويفطر يومين • ومنهم من كان يصوم الاثنين والخميس والجمعة
وقيل كان سهل بن عبد الله ياكل في كل خمسة عشر يوما مرة وفي رمضان
ياكل اكلة واحدة وكان يفطر في كل ليلة بالماء القراح للسنة • وحكي
عن الجنيد انه كان يصوم على الدوام فاذا دخل عليه اخوانه افطر معهم
ويقول ليس فضل المساعدة مع الاخوان باقل من فضل الصوم غير ان هذا
الافطار يحتاج الى علم فقد يكون الداعي الى ذلك شره النفس لا نية الموافقة
وتخليص النية لمحض الموافقة مع وجود شره النفس صعب • وسمعت شيخنا
يقول لي سنين ما اكلت شيا بشهوة نفس ابتداء واستدعاء بل يقدم لي
الشي فارى فضل الله ونعمته وفعله فاوافق الحق في فعله وذكر انه

ذات يوم اشتهى الطعام ولم يحضر وكان من عادته تقديم الطعام اليه
قال ففتحت باب البيت الذي فيه الطعام واخذت رمانة لاكلها فدخلت
السنور واخذت دجاجة كانت هناك فقلت هذا عقوبة لي على تصرفي
في اخذ الرمان • ورايت الشيخ ابا السعود يتناول الطعام في اليوم مرات
اي وقت احضر الطعام اكل منه ويرى ان تناوله الطعام موافقة الحق لان
حاله مع الله كان ترك الاختيار في ماكوله وملبوسه وجميع تصاريفه وكان
حاله الوقوف مع فعل الحق وقد كان له في ذلك بداية يعز مثلها حتى لعله
كان يبقى اياما لا ياكل ولا يعلم احد بحاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب
الى تناول شيء وينتظر فعل الحق بسابقة الرزق اليه ولم يشعر بحاله احد
مدة من الزمان ثم ان الله تعالى اظهر حاله واقام له الاصحاب والتلامذة
وكانوا يتكلفون الاطعمة ويأتون بها اليه وهو يرى في ذلك فعل الحق
والموافقة سمعته يقول اصبح كل يوم واحب ما الي الصوم فينقض الحق على
محبتي للصوم بفعله فاوافق الحق في فعله • وحكي عن بعض الصادقين
من اهل واسط انه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس
الا في رمضان • قال ابو نصر السراج انكر قوم هذا لمخالفة العلم وان كان
الصوم تطوعا • واستحسنه آخرون لان صاحبه كان يريد بذلك تاديب
النفس بالجوع وان لا تتمتع برؤية الصوم ووقع الي ان هذا ان قصد ان لا يتمتع
برؤية الصوم فقد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا يتسلسل
والاليق موافقة العلم وامضاء الصوم • قال الله تعالى ولا تبطلوا
اعمالكم ولكن اهل الصدق لهم نيات فيما يفعلون فلا يعارضون فالصدق
محمود لعينه كيف كان والصادق في خفارة صدقه كيف تقلب • وقال
بعضهم اذا رايت الصوفي يصوم صوم التطوع فاتهمه فانه قد اجتمع معه
شيء من الدنيا وقيل اذا كانوا جماعة متوافقين اشكالا وفيهم مريد يحبونه
على الصيام فان لم يساعدوه يهتمون لافطاره ويتكلفون له رفقاؤه ولا
يحملون حاله على حالهم • وان كانوا جماعة مع شيخ يصومون لصومه

ويفطرون

ويفطرون لافطاره الا من يامره الشيخ بغير ذلك • وقيل ان بعضهم صام
سنين بسبب شاب كان يصحبه حتى ينظر الشاب اليه فيتادب به ويصوم
بصيامه • وحكي عن ابي الحسن المكي انه كان يصوم الدهر وكان مقيما بالبصرة
وكان لا ياكل الخبز الا ليلة الجمعة وكان قوته اربع دوانق في كل شهر يعمل بيده حبال
الليف ويبيعها وكان الشيخ ابو الحسين بن سالم يقول لا اسلم عليه الا ان
يفطر وياكل فكان ابن سالم اتهمه بشهوة خفية له في ذلك لانه كان مشهورا بين
الناس • وقال بعضهم ما اخلص عبد قط الا احب ان يكون في جب لا
يعرف • ومن اكل فضلا من الطعام اخرج فضلا من الكلام • وقيل اقام ابو
الحسن التنيسي بالحرم مع اصحابه سبعة ايام لم ياكلوا فخرج بعض اصحابه
ليتطهر فراى قشر بطيخ فاخذه فاكله فراه انسان فاتبع اثره وجاء برفق فوضعه
بين يدي القوم فقال الشيخ من جنى منكم هذه الجناية فقال الرجل انا وجدت
قشر بطيخ فاكلته فقال كن انت مع جنايتك ورفقك فقال انا تائب من جنايتي
فقال لا كلام بعد التوبة • وكانوا يستحبون صيام الايام البيض وهي الثالث
عشر والرابع عشر والخامس عشر • روي ان ادم عليه السلام اهبط من الجنة لما ٤
الى الارض اسود جسده من اثر المعصية فلما تاب الله عليه امره ان يصوم الايام
البيض فابيض ثلث جسده بكل يوم صامه حتى ابيض جميع جسده بصيام الايام البيض
ويستحبون صوم النصف الاول من شعبان وافطار نصفه الاخير وان واصل
بين شعبان ورمضان فلا باس به ولكن ان لم يكن صام فلا يستقبل رمضان بيوم او
بيومين • وكان يكره بعضهم ان يصام رجب جميعه كراهية المضاهاة برمضان
ويستحب صوم العشر من ذي الحجة والعشر من المحرم ويستحب الخميس والجمعة
والسبت ان يصام من الاشهر الحرم • ورد في الخبر من صام ثلاثة ايام من شهر
حرام الخميس والجمعة والسبت بعد من النار سبعمائة عام

الباب الحادى والاربعون في ادب الصوم ومهامه

• ادب
الصوفية في الصوم ضبط الظاهر والباطن وكف الجوارح عن الاثام كمنع النفس
عن الطعام • ثم كف النفس عن الاهتمام بالاقسام • سمعت ان بعض الصالحين

بالعراق دان طريقه وطريق اصحابه انهم كانوا يصومون وكلما فتح عليهم قبل وقت
الافطار يخرجونه ولا يفطرون الا على ما يفتح لهم وقت الافطار • وليس من
الادب ان يمسك المريد نفسه عن مباح الطعام ويفطر بحرام الاثام • قال
ابو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون قيام الحمقى وصيامهم
ولذرة من ذي يقين وتقوى افضل من امثال الجبال من اعمال المغترين ومن فضيلة
صومه وادبه ان يقلل الطعام عن الحد الذي كان ياكله وهو مفطر والا اذا
جمع الاكلات باكلة واحدة فقد ادرك ما فوت • ومقصود القوم من الصوم
قهر النفس ومنعها من الاتساع واخذهم من الطعام قدر الضرورة لعلمهم
ان الاختصار على الضرورة يجذب النفس في ساير الافعال والاقوال الى الضرورة
والنفس من طبعها انها اذا قهرت لله تعالى في شي واحد على الضرورة نادي ذلك
الى ساير اخواتها فيصير الاكل ضرورة والنوم ضرورة والقول ضرورة والفعل
ضرورة وهذا باب كبير من ابواب الخير لاهل الله تجب رعايته وافتقاده ولا
تخص بعلم الضرورة وفايدتها وطلبها الا عبد يريد الله تعالى به ان يقربه
ويدنيه ويصطفيه ويربيه • ويمتنع في صومه من ملاعبة الاهل بالملامسة لان
ذلك انزه للصوم • ويستحب السحور استعمالا للسنة • وهو ادعى الى امضاء الصوم
لمعنيين احدهما عود بركة السنة عليه والثاني التقوية بالطعام على الصيام
روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تسحروا فان في
السحور بركة • ويعجل الفطر عملا بالسنة • فان لم يرد تناول الطعام الا بعد
العشاء ويريد احياء ما بين العشاءين يفطر بالماء او على اعداد من الزبيب او التمر او
ياكل لقما ان كانت النفس تنازع ليصفو له الوقت بين العشاءين ففي احياء ذلك
فضل كبير والا يختصر على الماء لاجل السنة • اخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب
بن علي انا ابو الفتح الهروي انا ابو نصر الترياقي انا ابو محمد الجراحي انا ابو العباس
المحبوبي انا ابو عيسى الترمذي ثنا اسحق بن موسى الانصاري قال ثنا الوليد بن
مسلم عن الاوزاعي عن قرة عن الزهري عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل احب عبادي الي اعجلهم

فطرا • وقال عليه الصلاة والسلام لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر • والافطار
قبل الصلاة سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من ماء او
مذقة من لبن او تمرات • وفي الخبر كم من صايم حظه من صيامه الجوع والعطش
قيل هو الذي يجوع بالنهار ويفطر على الحرام • وقيل هو الذي يصوم عن الحلال
من الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغيبة • وقال سفين من اغتاب
فسد صومه • وعن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب قال
الشيخ ابو طالب المكي رحمة الله عليه قرن الله الاستماع الى الباطل والقول
بالاثم الى اكل الحرام فقال سماعون للكذب اكالون للسحت • وورد
في الخبر ان امراتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما
الجوع والعطش من اخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم تستاذنانه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قولوا لهما قيا
فيه ما اكلتما فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى
مثل ذلك حتى ملاتاه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هاتان صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما وقال
عليه الصلاة والسلام اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل فان
امرؤ شاتمه فليقل اني صايم • وفي الخبر الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته
والصوفي الذي لا يرجع الى معلوم ولا يدري متى يساق اليه الرزق اذا ساق الله
اليه الرزق تناوله بالادب وهو دايم المراقبة لوقته فهو في افطاره افضل
من الذي له معلوم معد فان كان مع ذلك يصوم فقد احرز الفضل • حكي
عن رويم قال اجتزت في الهاجرة ببعض سكك بغداد فعطشت فتقدمت
الى باب دار فاستسقيت فاذا جارية قد خرجت ومعها كوز جديد ملآن
من الماء المبرد فلما اردت ان اتناول من يدها قالت صوفي ويشرب بالنهار
وضربت بالكوز على الارض وانصرفت قال رويم فاستحييت من ذلك
ونذرت ان لا افطر ابدا • والجماعة التي كرهوا دوام الصوم كرهوه لمكان ان النفس
اذا الفت الصوم وتعودت اشتد عليها الافطار وهكذا بتعودها الافطار

تكره الصوم فيرون الفضل في ان لا تركن النفس الى عادة ورأوا ان افطار يوم
وصوم يوم اشد على النفس • ومن ادب الفقير ان الواجد اذا كان بين جمع
وفي صحبة جماعة لا يصوم الا باذنهم وانما كان ذلك لان قلوب الجمع تتعلق
بفطوره وهم على غير معلوم فان صام باذن الجمع وفتح عليهم شيء لا يلزمهم
ادخاره للصايم مع العلم بان الجمع المفطرين محتاجون الى ذلك فان الله تعالى
ياتي للصايم برزقه الا ان يكون الصايم يحتاج الى الرفق لضعف حاله او لضعف بنيته
لشيخوخة وغير ذلك وهكذا الصايم لا يليق ان ياخذ نصيبه فيدخره لان
ذلك من ضعف الحال فان كان ضعيفا يعترف بحاله وضعفه فيدخره والذي
ذكرناه لاقوام هم على غير معلوم • فاما الصوفية المقيمون في رباط على معلوم
فلا يليق بحال هؤلاء الصيام ولا يلزمهم موافقة الجمع في الافطار اذا كان الافطار غير
يستمر في جمع منهم ولهم معلوم يقدم لهم بالنهار فاما اذا كانوا على معلوم
فقد قيل مساعدة الصوام للمفطرين احسن من استدعاء الموافقة من المفطرين
للصوام وامر القوم مبناه على الصدق ومن الصدق افتقاد النية واحوال
النفس فكلما صحت النية فيه من الصوم والافطار والموافقة وترك الموافقة
فهو الافضل • فاما من حيث السنة فمن يوافق له وجه اذا كان صايما وافطر
للموافقة • وان صام ولم يوافق فله وجه • فاما وجه من يفطر ويوافق فما اخبرنا
ابو زرعة طاهر عن ابيه ابي الفضل الحافظ المقدسي انا ابو الفضل محمد بن عبد الله
قال انا السيد ابو الحسين محمد بن الحسن العلوي قال انا ابو بكر محمد بن حمدويه قال
نا عبد الله بن حماد قال نا عبد الله بن صالح قال ثني عطاف بن خالد عن حماد بن حميد
عن محمد بن المنكدر عن ابي سعيد الخدري قال اصطنعت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه طعاما فلما قدم اليهم قال رجل من القوم اني صايم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعاكم اخوكم وتكلف لكم ثم تقول اني صايم افطر واقض
يوما مكانه • واما وجه من لا يوافق فقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه اكلوا وبلال صايم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناكل رزقنا
ورزق بلال في الجنة • فاذا علم ان هناك قلبا ينادي او فضلا يرجى من موافقة

من تغتنم موافقته يفطر بحسن النية لا بحكم الطبع وتقاضيه فان لم يجد هذا
المعنى لا ينبغي ان تلتبس عليه الشره وداعية النفس بالنية فليتم صومه وقد تكون
الاجابة لداعية النفس لا لقضاء حق اخيه • ومن احسن ادب الفقير الطالب
انه اذا افطر وتناول الطعام ربما يجد باطنه متغيرا عن هيئته ونفسه متثبطة
عن اداء وظايف العبادة فيعالج مزاج القلب المتغير باذهاب التغير عنه
وتذويب الطعام بركعات يصليها او بايات يتلوها او باذكار واستغفار ياتي
به فقد ورد في الخبر اذيبوا طعامكم بالذكر ومن مهام اداب الصوم كتمانه
مهما امكن الا ان يكون متمكنا من الاخلاص فلا يبالي ظهر ام بطن والله الموفق للصواب

الباب الثاني والاربعون في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة

الصوفي بحسن نيته وصحة مقصده ووفور علمه واتيانه بادبه يصير عادته عبادة
والصوفي موهوب وقته لله ويريد حيوته لله كما قال تعالى لنبيه امرا له قل
ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين • فتدخل على الصوفي امور
العادة لموضع حاجته وضرورة بشريته وتحف بعاداته نور يقظته وحسن
نيته فتتنور العادات وتتشكل بالعبادات • ولهذا ورد نوم العالم عبادة ونفسه
تسبيح هذا مع كون النوم عين الغفلة ولكن كلما يستعان به على العبادة يكون عبادة
فتناول الطعام اصل كبير يحتاج الى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية
وتعلق اثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن باجراء سنة الله تعالى بذلك
والقالب مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والاخرة • وقد ورد ارض الجنة قيعان
نباتها التسبيح والتقديس والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به
على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة
الاخرة وباجتماعهما صلحا لعمارة الدارين • والله سبحانه وتعالى ركب الادمي
بلطيف حكمته من اخص جواهر الجسمانيات والروحانيات وجعله مستودع
خلاصة الارضين والسموات • وجعل عالم الشهادة وما فيها من النبات والحيوان
لقوام بدن الادمي • قال الله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا فكون الطبايع
وهي الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وكون بواسطتها النبات وجعل

النبات قواما للحيوانات وجعل الحيوانات مسخرة للادمي يستعين بها على امر
معاشه لقوام بدنه فالطعام يصل الى المعدة وفي المعدة طبايع اربع وفي الطعام
طبايع اربع فاذا اراد الله اعتدال مزاج البدن اخذ كل طبع من طباع المعدة مثله
من الطعام فتاخذ الحرارة البرودة والرطوبة اليبوسة فيعتدل المزاج ويامن
الاعوجاج • واذا اراد الله تعالى افناء قالب وتخريب بنية اخذت كل طبيعة
جنسها من الماكول فتميل الطباع ويضطرب المزاج ويسقم البدن ذلك تقدير
العزيز العليم • روي عن وهب بن منبه قال وجدت في التوراة صفة آدم
عليه السلام اني خلقت ادم ركبت جسده من اربعة اشياء من رطب ويابس
وبارد وسخن وذلك لاني خلقته من التراب وهو يابس ورطوبته من الما وحرارته
من قبل النفس وبرودته من قبل الروح وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق
الاول اربعة انواع من الخلق هن ملاك الجسم باذني وبهن قوامه فلا يقوم
الجسم الا بهن ولا تقوم واحدة منهن الا بالاخرى منهن المرة السوداء والمرة
الصفراء والدم والبلغم ثم اسكنت بعض هذا الخلق في بعض فجعلت مسكن اليبوسة
في المرة السوداء ومسكن الرطوبة في المرة الصفراء ومسكن الحرارة في الدم
ومسكن البرودة في البلغم فايما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الاربع التي
جعلتها ملاكه وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربعا لا تزيد ولا تنقص كملت صحته
واعتدلت بنيته فان زادت واحدة منهن عليهن قهرتهن ومالت بهن ودخل
عليه السقم من ناحيتهن بقدر غلبتها حتى تضعف عن طاقتهن وتعجز عن مقاومتهن
فاهم الامور في الطعام ان يكون حلالا وكل ما لا بد منه الشرع حلال رخصة
ورحمة من الله تعالى لعباده ولولا رخصة الشرع كبر الامر واتعب طلب الحلال
ومن ادب الصوفية روية المنعم على النعمة ويبتدي بغسل اليد قبل الطعام
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر
وانما كان موجبا لنفي الفقر لان غسل اليد قبل الطعام استقبال النعمة
بالادب وذلك من شكر النعمة والشكر يستوجب المزيد فصار غسل اليد
مستجلبا للنعمة مذهبا للفقر • وقد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم من احب ان يكثر خير بيته فليتوضا اذا حضر غداؤه ثم يسمي الله
تعالى لقوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه فيستحب تسمية الله تعالى
عند ذبح الحيوان • واختلف الشافعي وابو حنيفة في وجوب ذلك وفهم الصوفي
من ذلك بعد القيام بظاهر التفسير الا ياكل الطعام الا مقرونا بالذكر وذلك
فريضة وقته وادبه ويرى ان تناول الطعام دا ينتج افاقة النفس ومتابعة
هواها وذكر الله دواؤه وترياقه • روت عايشة رضي الله عنها قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل الطعام في ستة نفر من اصحابه فجا اعرابي
فاكله بلقمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه لو كان يسمي الله لكفاكم
فاذا اكل احدكم طعاما فليقل بسم الله فان نسي ان يقول بسم الله فليقل بسم الله
اوله واخره • ويستحب ان يقول في اول لقمة بسم الله وفي الثانية بسم الله الرحمن
وفي الثالثة يتمم ويشرب الماء بثلاثة انفاس يقول في اول نفس الحمد لله اذا
شرب وفي الثاني الحمد لله رب العالمين وفي الثالث الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم • وكما ان للمعدة طبايع تدبر كما ذكرنا بموافقة طبايع الطعام فللقلب
ايضا مزاج وطباع لارباب التفقد والرعاية واليقظة يعرف انحراف مزاج القلب
من اللقمة المتناولة تارة تحدث من اللقمة حرارة الطيش بالنهوض الى الفضول
وتارة تحدث في القلب برودة الكسل بالتقاعد عن وظيفة الوقت وتارة
تحدث رطوبة السهو والغفلة وتارة يبوسة الهم والحزن بسبب الحظوظ •
العاجلة فهذه كلها عوارض يفطن لها المتيقظ ويرى تغير القلب بهذه العوارض
تغير مزاج القلب عن الاعتدال والاعتدال كما هو مهم طلبه للقالب فللقلب
اهم واولى وتطرق الانحراف الى القلب اسرع منه الى القالب ومن الانحراف
ما يسقم منه القلب ويموت كموت القالب واسم الله تعالى دواء نافع مجرب
ينفي الاسواء ويذهب الداء ويجلب الشفاء • حكي ان الشيخ محمد الغزالي
لما رجع الى طوس وصف له في بعض القرى عبد صالح فقصده زايرا فصادفه وهو
في صحراء له يبذر الحنطة في الارض فلما راى الشيخ محمدا جاء اليه واقبل عليه فجاء
رجل من اصحابه وطلب منه البذر لينوب الشيخ في ذلك وقت اشتغاله بالغزالي

فامتنع ولم يعطه البذر فسأله الغزال عن سبب امتناعه فقال لاني ابذر هذا
البذر بقلب حاضر ولسان ذاكر ارجو البركة فيه لكل من يتناول منه شيئاً
فلا احب ان اسلمه الى هذا فيبذره بلسان غير ذاكر وقلب غير حاضر • وكان
بعض الفقراء عند الاكل يشرع في تلاوة سورة من القرآن يحضر الوقت بذلك
حتى تتخمر اجزاء الطعام بانوار الذكر ولا يعقب الطعام مكروه ولا يغير مزاج
القلب • وقد كان شيخنا ابو النجيب السهروردي يقول انا اكل وانا اصلي
يشير الى حضور القلب في الطعام وربما كان يوقف من يمنع عنه الشواغل وقت
اكله لئلا يتفرق همه وقت الاكل ويرى للذكر وحضور القلب في الاكل اثراً كبيراً
لا يسعه الاهمال له ومن الذكر عند الاكل الفكر فيما هيأ الله تعالى من الاسنان
المعينة على الاكل فمنها الكاسرة ومنها القاطعة ومنها الطاحنة وما جعل الله
من الماء الحلو في الفم حتى لا يتغير الذوق وما جعل ماء العين مالحاً لما كان شحماً
حتى لا يفسد وكيف جعل النداوة تنبع من ارجاء اللسان والفم ليعين ذلك
على المضغ والسوغ وكيف جعل القوة الهاضمة متسلطة على الطعام تفصله
وتجزيه متعلقاً مددها بالكبد • والكبد بمثابة النار • والمعدة بمثابة القدر
وعلى قدر فساد الكبد تقل الهاضمة ويفسد الطعام ولا يتفصل ولا يصل الى
كل عضو نصيبه وهكذا تاثير الاعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين
ويطول شرح ذلك ومن اراد الاعتبار يطالع تشريح الاعضاء ليرى العجب من
قدرة الله تعالى من تعاضد الاعضاء وتعاونها وتعلق بعضها بالبعض في اصلاح
الغذاء واستجذاب القوة منه للاعضاء وانقسامه الى الدم والثفل واللبن
لتغذية المولود من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين فتبارك الله
احسن الخالقين فالفكر في ذلك وقت الطعام وتعرف لطيف الحكمة
والقدرة فيه من الذكر ومما يذهب داء الطعام المغير لمزاج القلب ان يدعو
في اول الطعام ويسأل الله تعالى ان يجعله عوناً على الطاعة ويكون من دعائه
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وما رزقتنا مما نحب اجعله عوناً لنا على ما تحب وما
زويت عنا مما نحب اجعله فراغاً لنا فيما تحب • • •

الباب الثالث والاربعون

الباب الثالث والاربعون في ادب الاكل

فمن ذلك ان يبتدئ بالملح ويختم به روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لعلي يا علي ابدأ طعامك بالملح واختم بالملح فان الملح شفاء من سبعين
منها الجنون والجذام والبرص ووجع البطن ووجع الاضراس • وروت
عائشة رضي الله عنها قالت لدغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابهامه من
رجله اليسرى لدغة فقال علي بذلك الابيض الذي يكون في العجين فجئنا بالملح فوضعه
في كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه ويستحب
الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في الربط وغيرها • روي جابر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من احب الطعام الى الله تعالى ما كثرت عليه
الايدي • وروي انه قال يا رسول الله انا ناكل ولا نشبع قال لعلكم تفترقون
على طعامكم اجتمعوا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه • ومن عادة الصوفية
الاكل على السفرة • وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • اخبرنا الشيخ
ابو زرعة عن المقومي باسناده الى ابن ماجة الحافظ القزويني قال ثنا محمد بن
المثنى ثنا معاذ بن هشام ثنا ابي عن يونس بن الفرات عن قتادة عن انس بن مالك
قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قال فعلى ما
كانوا ياكلون قال على السفر • ويصغر اللقمة ويجود الاكل بالمضغ وينظر بين
يديه لا يطالع وجوه الحاضرين ويقعد على رجله اليسرى وينصب اليمنى ويجلس
جلسة التواضع غير متكئ ولا متعزز نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياكل
الرجل متكئاً • وروي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فجثا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ياكل فقال اعرابي ما هذه الجلسة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلقني عبداً كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً
ولا يبتدئ بالطعام حتى يبتدئ المتقدم او الشيخ • روى حذيفة قال كنا
اذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً لم يضع احدنا يده حتى
يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين • روى ابو هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ليأكل احدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه

وليُعطِ بيمينه فان الشيطان ياكل بشماله ويشرب بشماله ويعطي بشماله ويأخذ
وان كان الماكول تمرًا او ما له عجمٌ لا يجمع من ذلك ما يرمى وما يوكل على الطبق
ولا في كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويرميه ولا ياكل من ذروة الثريد
روى عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع
الطعام فخذوا من حاشيته وذروا وسطه فان البركة تنزل في وسطه ولا
يعيب الطعام • روى ابو هريرة قال ما عاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم طعامًا قط ان اشتهاه اكله والا تركه • واذا سقطت اللقمة ياكلها
فقد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سقطت
لقمة احدكم فليمط عنها الاذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان • ويلعق
اصابعه فقد روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اكل
احدكم الطعام فليمص اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه تكون البركة وهكذا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلات القصعة وهو مسحها من الطعام
قال انس امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلات القصعة ولا ينفخ في الطعام
فقد روت عايشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال النفخ في الطعام
يذهب بالبركة • وروى عبد الله بن عباس قال لم يكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينفخ في طعام ولا شراب ولا يتنفس في الاناء فليس من الادب ذلك
والخل والبقل على السفرة من السنة • قيل ان الملايكة تحضر المايدة اذا
كانت عليها بقل • روت ام سعد قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على عايشة وانا عندها فقال هل من غداء فقالت عندنا خبز وتمر وخل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل اللهم بارك في الخل فانه كان
ادام الانبياء قبلي ولم يفتقر بيت فيه خل • ولا يتمسح على الطعام فانه من
سيرة الاعاجم ولا يقطع اللحم والخبز بالسكين ففيه نهي • ولا يكف يده عن الطعام
حتى يفرغ الجمع • فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا وضعت المايدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المايدة ولا
يرفع يده وان شبع حتى يفرغ القوم وليتعلل فان الرجل يخجل جليسه فيقبض

يده

يده وعسى ان يكون له في الطعام حاجة • واذا وضع الخبز لا ينتظر غيره فقد
روى ابو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا
الخبز فان الله عز وجل سخر لكم بركات السما والارض والحديد والبقر وابن ادم
ومن احسن الادب واهمه ان لا ياكل الا بعد الجوع • ويمسك عن الطعام قبل
الشبع • فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملا ادمي وعاء
شرا من البطن • ومن عادة الصوفية ان يلقم الخادم اذا لم يجلس مع القوم
وهو سنة روى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال ابو القسم صلى الله عليه
وسلم اذا جا احدكم خادمه بطعامه فان لم يجلسه معه فليناوله اكلة او
اكلتين فانه ولي حره ودخانه • واذا فرغ من الطعام يحمد الله تعالى •
روى ابو سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكل طعاما قال
الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين • وروى عن رسول الله صلى
الله عليه انه قال من اكل طعاما فقال الحمد لله الذي اطعمني هذا ورزقنيه من
غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه • ويتخلل فقد روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم تخللوا فانه نظافة والنظافة تدعوا الى الايمان ه
والايمان مع صاحبه في الجنة • ويغسل يده فقد روى ابو هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من بات وفي يده غمر لم يغسله فاصابه شيء فلا
يلومن الا نفسه • ومن السنة غسل الايدي في طست واحد • روى ابن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترعوا الطسوس وخالفوا المجوس
ويستحب مسح العين ببلل اليد • روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا توضأتم فاشربوا اعينكم الماء ولا تنفضوا ايديكم فانها مراوح
الشيطان • قيل لابي هريرة في الوضوء وغيره قال نعم في الوضوء وغيره وفي
غسل اليد ياخذ الاشنان باليمين وفي الخلال لا يزدرد ما يخرج بالخلال
من الاسنان وما يلوكه باللسان فلا باس به • ويجتنب التصنع في الطعام ويكون
اكله بين الجمع كاكله منفردا فان الرياء يدخل عليه في كل شيء • وصف لبعض العبد
العلماء بعض العباد فلم يثن عليه قيل له تعلم به باسا قال نعم رايته يتصنع في

الاكل ومن تصنع في الاكل لا يؤمن عليه التصنع في العمل وان كان الطعام حلالا
فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد اللهم اطعمنا طيبا واستعملنا صالحا • فان كان شبهة يقول الحمد لله
على كل حال اللهم صل على محمد ولا تجعله عونا على معصيتك ويكثر الحزن على
اكل الشبهة فليس من ياكل وهو يبكي كمن ياكل وهو يضحك ويقرأ بعد الطعام
قل هو الله احد ولايلاف • ويجتنب الدخول على قوم في وقت اكلهم • وقد ورد
من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما وسمعنا لفظا آخر دخل
سارقا وخرج مغيرا الا ان يتفقد حوله على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقته •
ويستحب ان يخرج الرجل مع ضيفه الى باب الدار • ولا يخرج الضيف بغير اذن
صاحب الدار • ويجتنب المضيف التكلف الا ان يكون له نية فيه من كثرة
الانفاق • ولا يفعل ذلك حياء وتكلفا • واذا اكل عند قوم طعاما فليقل
عند فراغه افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم
الملائكة • وروي ايضا عليكم صلاة قوم ابرار ليسوا باثمة ولا فجار يصلون
بالليل ويصومون بالنهار • كان بعض الصحابة يقول ذلك • ومن الادب ان لا
يستحقر ما يقدم اليه من الطعام • وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقولون ما ندري ايهم اعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم اليه او الذي يحتقر ما
عنده ان يقدمه • ويكره اكل طعام المباهاة • وما تكلف للاعراس والمعازي وما
عمل للنوائح لا يؤكل • وما عمل لاهل العزاء لا باس به وما يجري مجراه • واذا علم الرجل
من حال اخيه انه يفرح بالانبساط اليه في التصرف في شيء من طعامه فلا حرج ان
ياكل من طعامه بغير اذنه قال الله تعالى او صديقكم • قيل دخل قوم على
سفين الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة واكلوا فدخل سفين
الثوري وفرح وقال ذكرتموني اخلاق السلف هكذا كانوا • ومن دعي الى الطعام
فالاجابة من السنة واوكد ذلك الوليمة • وقد يتخلف بعض الناس عن الدعوة
تكبرا وذلك خطاء وان عمل ذلك تصنعا ورياء فهو شر من التكبر • روي ان الحسن
بن علي مر بقوم من المساكين الذين يسالون الناس على الطريق وقد نثروا كسرا على

الارض

الارض وهو على بغلته فلما مر بهم سلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا هلم
الغداء يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المستكبرين ثم ثنى وركه فنزل
عن دابته وقعد معهم على الارض واقبل ياكل ثم سلم عليهم وركب • وكان
يقال الاكل مع الاخوان افضل من الاكل مع العيال • روي ان هرون الرشيد
دعا ابا معوية الضرير وامر ان يقدم له طعام فلما اكل صب الرشيد على يده
في الطست فلما فرغ قال يا ابا معوية تدري من صب على يدك الماء قال لا قال
امير المؤمنين قال يا امير المؤمنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك

الباب الرابع والاربعون في ذكر ادبهم في اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه

اللباس من حاجات النفس ضرورة انما هو لدفع الحر
والبرد كما ان الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع وكما ان النفس غير قانعة
بقدر الحاجة من الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات فهكذا في اللباس
تتفنن فيه ولها فيه اهوية متنوعة ومارب مختلفة فالصوفي يرد النفس
في اللباس الى متابعة صريح العلم • قيل لبعض الصوفية ثوبك ممزق قال
ولكنه من وجه حلال قيل له وهو وسخ قال ولكنه طاهر • فنظر الصادق
في ثوبه ان يكون من وجه حلال لانه ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله
منه صرفا ولا عدلا اي لا فريضة ولا نافلة ثم بعد ذلك نظره فيه ان يكون
طاهرا لان طهارة الثوب شرط في صحة الصلاة وما عدا هذين النظرين فنظره
في كونه يدفع الحر والبرد لان ذلك مصلحة للنفس وبعد ذلك ما تدعو النفس
اليه فكله فضول وزيادة ونظر الى الخلق والصادق لا ينبغي ان يلبس الثوب
الا لله وهو ستر العورة او لنفسه وهو لدفع الحر والبرد • حكي ان سفيان
الثوري خرج ذات يوم وعليه ثوب قد لبسه مقلوبا فقيل له ولم يعلم بذلك
فهم ان يخلعه ويغيره ثم تركه وقال حيث لبسته نويت ان البسه لله والان ما
اغيره الا لنظر الخلق لما انقض النية الاولة بعده • والصوفية خصوا بطهارة
الاخلاق • وما رزقوا طهارة الاخلاق الا بالصلاحية والاهلية والاستعداد

الذي هيأ الله لنفوسهم وطهارة الاخلاق وتعاضدها تناسب واقع
لوجود تناسب هيئة النفوس وتناسب هيئة النفس هو المشار اليه بقوله
تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ما لتناسب هو التسوية فمن التناسب
ان يكون لباسهم مشاكلا لطعامهم وطعامهم مشاكلا لكلامهم وكلامهم مشاكلا
لمنامهم لان التناسب الواقع في النفس مقيد بالعلم والتشابه والتماثل في
الاحوال بحكم العدل ومتصوفة هذا الزمان متلزمون بشي من التناسب
مع مزج الهوى وما عندهم من التطلع الى التناسب وشح حال سلفهم في وجود
التناسب • قال ابو سليمان الداراني يلبس احدهم عباءة بثلاثة دراهم وشهوته
في بطنه خمسة دراهم انكر ذلك لعدم التناسب فمن خشن ثوبه ينبغي ان يكون
ماكوله من جنسه واذا اختلف الثوب والماكول يدل على وجود الخراب لوجود
هوى كامن في احد الطرفين اما في طرف الثوب لموضع نظر الخلق • واما في طرف
الماكول لفرط الشره • وكلا الوصفين مرض يحتاج الى المداواة ليعود الى حد
الاعتدال • لبس ابو سليمان الداراني ثوبا غسيلا فقال له احمد لو لبست ثوبا
اجود من هذا فقال ليت قلبي في القلوب مثل قميصي في الثياب • فكان الفقراء
يلبسون المرقع وربما كانوا ياخذون الخرق من المزابل ويرقعون بها ثوبهم وقد
فعل ذلك طائفة من اهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون اليه فكما
كان رقاعهم من المزابل كان لقمهم من الابواب • كان ابو عبد الله الرفاعي مقيما
على الفقر والتوكل ثلاثين سنة وكان اذا حضر الفقراء طعام لا ياكل معهم فيقال
له في ذلك فيقول انتم تاكلون بحق التوكل وانا اكل بحق المسكنة ثم يخرج بين العشائين
يتصدق الكسر على الابواب وهذا شان من لا يرجع الى معلوم ولا يدخل تحت منة
حكي ان جماعة من اصحاب المرقعات دخلوا على بشر بن الحارث فقال لهم يا قوم
اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزي فانكم تعرفون به وتكرمون له فسكتوا كلهم
فقام شاب من بينهم وقال الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به ويكرم له والله
لنظهرن هذا الزي حتى يكون الدين كله لله فقال له بشر احسنت يا غلام مثلك
من يلبس المرقعة فكان احدهم يبقى زمانا لا يطوي له ثوب ولا يملك غير ثوبه

الذي

الذي عليه • وروي ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب لبس قميصا اشتراه بثلاثة
دراهم ثم قطع كمه من رؤس اصابعه • وروي عنه انه قال لعمر ان اردت
ان تلقى صاحبيك فرقع قميصك واخصف نعلك وقصر املك وكل دون الشبع
وحكي عن الجريري قال كان في جامع بغداد رجل لا تكاد تجده الا في ثوب
واحد في الشتاء والصيف فسئل عن ذلك فقال قد كنت ولعت بكثرة لبس
الثياب فرايت ليلة فيما يرى النائم كاني دخلت الجنة فرايت جماعة من اصحابنا
من الفقراء على مائدة فاردت ان اجلس معهم فاذا جماعة من الملائكة اخذوا
بيدي واقاموني وقالوا هؤلاء اصحاب ثوب واحد وانت لك قميصان فلا
تجلس معهم فانتبهت ونذرت لا البس الا ثوبا واحدا الى ان القى الله عز وجل
وقيل مات ابو يزيد ولم يترك الا قميصه الذي كان عليه وكان عارية فردوه الى
صاحبه • وحكي لنا عن الشيخ حماد الدباس شيخ شيخنا رحمهما الله انه
بقي زمانا لا يلبس الثوب الا مستاجرا حتى لا يلبس على ملك نفسه شيئا
وقال ابو حفص الحداد اذا رايت ضوء الفقير في ثوبه فلا ترج خيره وقيل
مات ابن الكريني وكان استاذ الجنيد وعليه مرقعته فقيل كان وزن فرد كم
له وتخاريصه ثلاثة عشر رطلا • فقد يكون جمع من الصالحين على هذا الزي
والتخشن • وقد يكون جمع من الصالحين يتكلفون لبس غير المرقع وزي الفقراء
ويكون نيتهم في ذلك ستر الحال او خوف عدم النهوض بواجب حق المرقعة
وقيل كان ابو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرش فيه الرمل لعله كان ينام
عليه بلا وطاء • وقد كان قوم من اصحاب الصفة يكرهون ان يجعلوا بينهم وبين
التراب حائلا • ويكون لبس ابي حفص الناعم بعلم ونية يلقى الله تعالى بصحتها
وهكذا الصادقون ان لبسوا غير الخشن من الثياب لنية تكون لهم في ذلك فلا
يعترض عليهم غير ان لبس الخشن والمرقع يصلح لسائر الفقراء لجنبة التقلل من الدنيا
وزهرتها وبهجتها • وقد ورد من ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه البسه
الله من حلل الجنة • واما لبس الناعم فلا يصلح الا لعالم بحاله بصير بصفات نفسه
متفقد لخفي شهوات النفس يلقى الله تعالى بحسن النية في ذلك والحسن النية في ذلك

تعالى ح

وجوه متعددة يطول شرحها ومن الناس من لا يقصد لبس ثوب بعينه لا
لخشونته ولا لنعومته بل يلبس ما يدخل عليه الحق ويكون بحكم الوقت فهذا
واحسن من ذلك انه يفتقد نفسه فيه فان راى للنفس شرها او شهوة خفية او
جلية في الثوب الذي ادخله الله عليه يخرجه الا ان يكون حاله مع الله ترك الاختيار
فعند ذلك لا يسعه الا ان يتلبس بالثوب الذي ساقه الله اليه وقد كان شيخنا
ابو النجيب السهروردي لا يتقيد بهيئة من الملبوس بل كان يلبس ما يتفق من غير
تعمل وتكلف واختيار وقد كان يلبس العمامة بعشرة دنانير ويلبس العمامة بدانق
وقد كان الشيخ عبد القادر يلبس هيئة مخصوصة ويتطيلس ● وكان علي بن الهيتي
يلبس لبس فقراء السواد ● وكان ابو بكر الفراء بزنجان يلبس فروا اخشنا كاحاد
العوام ولكل في لبسه وهيئته نية صالحة ● وشرح تفاوت الاقدام في ذلك
يطول ● وكان الشيخ ابو السعود حاله مع الله ترك الاختيار ● وقد يساق اليه
الثوب الناعم فيلبسه وكان يقال له ربما يسبق الى بواطن بعض الناس الانكار
عليك في لبسك هذا الثوب فيقول لا نلقى الا احد رجلين رجل يطالبنا بظاهر
حكم الشرع فنقول له هل ترى ان ثوبنا يكرهه الشرع او يحرمه فيقول لا ورجل
يطالبنا بحقائق القوم من ارباب العزيمة فنقول له هل ترى لنا فيما لبسنا اختيارا
او ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا ● وقد يكون من الناس من يقيد على لبس الناعم
ولبس الخشن ولكن يحب ان يختار الله تعالى له هيئة مخصوصة فيكثر اللجا الى الله
والافتقار اليه ويسأله ان يريه احب الزي الى الله تعالى واصلحه لدينه ودنيا
لكونه غير صاحب غرض وهوى في زي بعينه فالله تعالى يفتح عليه ويعرفه زيا
مخصوصا فيلتزم بذلك الزي فيكون لبسه بالله ويكون هذا اتم واكمل ممن يكون لبسه
لله ● ومن الناس من يتوفر حظه من العلم وينبسط مما بسطه الله فيلبس الثوب عن
علم وايقان ولا يبالي بما لبسه ناعما او خشنا وربما لبس ناعما ولنفسه فيه اختيار لبس مع
وحظ وذلك الحظ فيه يكون مكفرا له مردودا عليه موهوبا له لموافقة الله تعالى
في ارادة نفسه ويكون هذا الشخص تام التزكية تام الطهارة محبوبا مرادا يسارع
الله تعالى الى مراده ويحابيه غير ان هاهنا مزلة القدم لكثير من المدعين ● خلق

عن

عن يحيى بن معاذ انه كان يلبس الصوف والخلقان في ابتداء امره ثم صار في اخر
عمره يلبس الناعم فقيل لابي يزيد ذلك فقال مسكين يحيى لم يصبر على الدون
فكيف يصبر على الخير ● ومن الناس من يسبق اليه علم ما سوف يدخل عليه
من الملبوس فيلبسه فيكون محمولا فيه وكل احوال الصادقين على اختلاف تنوعها
مستحسنة ● قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ولبس
الخشن من الثياب هو الاحب والاولى والاسلم للعبد والابعد من الافات
قال مسلمة بن عبد الملك دخلت على عمر بن عبد العزيز اعوده في مرضه
فرايت قميصه وسخا فقلت لامراته فاطمة اغسلوا ثياب امير المومنين فقالت
نفعل ان شاء الله قال ثم عدته فاذا القميص على حاله فقلت يا فاطمة الم امركم ان
تغسلوه قالت والله ما له قميص غيره ● وقال سالم كان عمر بن عبد العزيز من
الين الناس لباسا من قبل ان يسلم عليه بالخلافة فلما سلم عليه بالخلافة ضرب
راسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا باطمار له فلبسها ● وقيل لما مات ابو الدرداء وجد
في ثوبه اربعون رقعة وكان عطاؤه اربعة الاف ● وقال زيد بن وهب لبس
علي بن ابي طالب قميصا رازيا فكان اذا مد كمه بلغ اطراف اصابعه فعابه الخوارج
بذلك فقال اتعيبوني على لباس هو ابعد من الكبر واجدر ان يقتدي بي المسلم
وقيل كان عمر اذا راى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة وقال دعوا هذه
البراقات للنساء ● وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نوروا
قلوبكم بلباس الصوف فانه مذلة في الدنيا ونور في الاخرة واياكم ان تفسدوا
دينكم بحمد الناس وثنائهم ● وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى
نعلين فلما نظر اليهما اعجبه حسنهما فسجد لله فقيل له في ذلك فقال خشيت
ان يعرض عني ربي فتواضعت له لا جرم لا يبيتان في منزلي لما تخوفت المقت من
الله من اجلهما فاخرجهما فدفعهما الى اول مسكين لقيه ثم امر فاشترى له
نعلان مخصوفتان ● وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس الصوف
واحتذى المخصوف واكل مع العبيد واذا كانت النفس محل الافات والوقوف
على دسايسها وخفي شهواتها وكامن هواها عسيرا جدا فالاخذ والاولى الاخذ

بالاحوط وترك ما يريب لما لا يريب • ولا يجوز للعبد الدخول في السعة الا بعد اتقان علم السعة وكمال تزكية النفس • وذلك اذا غابت النفس بغيبة هواها المتبع وتخلصت النية وتشدد التصرف بعلم صريح واضح وللعزيمة اقوام يركبونها ويراعونها لا يرون النزول الى الرخص خوفا من فوت فضيلة الزهد في الدنيا والتباس الناعم من الدنيا • وقد قيل من رق ثوبه رق دينه وقد رخص في ذلك لمن لا يتلزم بالزهد ويقف على رخصة الشرع • روى علقمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر • فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال النبي عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال وتكون هذه الرخصة في حق من لا يلبسه بهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به ومختال فاما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكاثر بها فقد ورد فيه وعيد روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ازرة المومن الى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين وما كان اسفل من الكعبين ففي النار ومن جر ازاره بطرا لم ينظر الله اليه يوم القيمة • فبينما رجل ممن كان قبلكم يتبختر في ردائه اذا اعجبه رداؤه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة والاحوال تختلف ومن صح حاله بصحة علمه صحت نيته في ماكوله وملبوسه وساير تصاريفه وكل الاحوال تستقيم وتسدد باستقامة الباطن مع الله وبقدر ذلك تستقيم تصاريف العبد كلها بحسن توفيق الله تعالى وتقدس

الباب الخامس والاربعون في ذكر فضل قيام الليل

قال الله تعالى اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم ويذهب عنكم رجز الشيطان • نزلت هذه الاية في المسلمين يوم بدر حيث نزلوا على كثيب من الرمل تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر العظمى وغلبوهم عليها واصبح المسلمون بين محدث وجنب فاصابهم الظماء ووسوس اليهم الشيطان انكم تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وقد غلب المشركون على الماء وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون الظفر عليهم فانزل

الله تعالى مطرا من السماء سال منه الوادي فشرب المسلمون واغتسلوا وتوضوا وسقوا الدواب وملوا الاسقية ولبد الوادي حتى تثبت به الاقدام قال الله تعالى ويثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الى الملائكة ايدهم الله تعالى بالملائكة حتى غلبوا المشركين ولكل اية من القران ظهر وبطن وحد ومطلع والله تعالى لما جعل النعاس رحمة وامنة للصحابة خاصة في تلك الواقعة والحادثة فهو رحمة تعم المومنين والنعاس قسم صالح من الاقسام العاجلة للمريدين وهو امنة لقلوبهم عن منازعات النفس لان النفس بالنوم تستريح ولا تشكو الكلال والتعب اذ في شكايتها وتعبها تكدير القلب وباستراحتها بالنوم بشرط العلم والاعتدال راحة القلب لما بين القلب والنفس من المواطاة عند طمانينتها للمريدين السالكين فقد قيل ينبغي ان يكون ثلث الليل والنهار نوما حتى لا يضطرب الجسد فتكون ثماني ساعات للنوم ساعتين من ذلك يجعلهما المريد بالنهار وست ساعات بالليل ويزيد في احدهما وينقص من الاخر على قدر طول الليل وقصره في الشتاء والصيف وقد يكون بحسن الارادة وصدق الطلب ينقص النوم عن قدر الثلث ولا يضر ذلك اذا صار بالتدريج عادة وقد يحمل ثقل السهر وقلة النوم وجود الروح والانس فان النوم طبعه بارد رطب ينفع للجسد والدماغ ويسكن من الحرارة واليبس الحادث في المزاج فان نقص من الثلث يضر الدماغ ويخشى منه اضطراب الجسم فاذا ناب عن النوم روح القلب والانس لا يضر نقصانه لان طبيعة الروح والانس بارد رطب كطبيعة النوم وقد يقصر مدة طول الليل وجود الروح فتصير بالروح اوقات الليل الطويلة كالقصيرة كما يقال سنة الوصل سنة • وسنة الهجر سنة فيقصر الليل لاهل الروح • نقل عن علي بن بكار انه قال منذ اربعين سنة ما احزنني الا طلوع الفجر • وقيل لبعضهم كيف انت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تاملته • وقال ابو سليمان الداراني اهل الليل في ليلهم اشد فرحا ولذة من اهل اللهو في لهوهم • وقال بعضهم ليس في الدنيا شي يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة

المناجاة فحلاوة المناجاة ثواب عاجل لاهل الليل • وقال بعض العارفين
ان الله تعالى يطلع على قلوب المتيقظين في الاسحار فيملأها نورا فترد الفوائد على
قلوبهم فتستنير ثم ينتشر من قلوبهم العوافي الى قلوب الغافلين • وقد
ورد ان الله تعالى اوحى في بعض ما اوحى الى بعض انبيائه ان لي عبادا احبهم
ويحبوني ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون
الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عن ذلك مقتك
قال يا رب ما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق
غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل واختلط
الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم
وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فهم بين صارخ وباك وبين متاوه وشاك
بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشكون من حبي اول ما اعطيهم ان اقذف
من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثاني لو كانت السموات السبع
والارضون وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم والثالث اقبل بوجهي عليهم
افترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه فالصادق المريد
اذا خلا في ليله بمناجاة ربه انتشر انوار ليله على جميع اجزاء نهاره ويصير نهاره
في حماية ليله وذلك لامتلاء قلبه بالانوار فتكون حركاته وتصاريفه بالنهار
تصدر من منبع الانوار المجتمعة من الليل ويصير قالبه في قبة من قباب الحق •
مسددة حركاته • موفرة سكناته وقد ورد من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار
ويجوز ان يكون بمعنيين احدهما ان المشكوة تستنير بالمصباح فاذا صار سراج
اليقين في القلب يزهر بكثرة زيت العمل بالليل يزداد المصباح اشراقا وتكتسب
مشكاة القالب نورا وضياء • كان يقول سهل بن عبد الله اليقين نار والاقرار
فتيلة والعمل زيت • وقد قال الله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود
وقال تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فنور اليقين من نور الله في
زجاجة القلب يزداد ضياء بزيت العمل فتبقى زجاجة القلب كالكوكب الدري
وتنعكس انوار الزجاجة على مشكوة القالب وايضا يلين القلب بنار النور ويتيسر

ليقتدي الى القالب فيلين القالب للين القلب فيتشابهان لوجود اللين الذي
عمهما قال الله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وصفت
الجلود باللين كما وصفت القلوب باللين فاذا امتلأ القلب بالنور وكان
القالب مما يسري فيه من الانس في السر ويندرج المكان والزمان في نور
القلب فيندرج فيه الكلام والايات والسور وتشرق الارض ارض القالب
بنور ربها الى ان يصير القلب سماء والقالب ارضا ولذة تلاوة كلام الله تعالى
في محل المناجاة تشترك الكائنات والكلام المجيد بكونه ينوب عن سائر الوجود
في مزاحمة صفو الشهود فلا يبقى حينئذ للنفس حديث ولا يسمع لها حس حسيس
وفي مثل هذه الحال يتصور تلاوة القرآن من فاتحته الى خاتمته من غير وسوسة
وحديث نفس وذلك هو الفضل العظيم • الوجه الثاني لقوله صلى الله عليه
وسلم من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار معناه ان وجوه اموره التي يتوجه
اليها تحسن ويتداركه المعونة من الله الكريم في تصاريفه ويكون معانا في مصادره
وموارده فيحسن وجه مقاصده وافعاله وينتظم في سلك السداد مسددا
اقواله لان الاقوال تستقيم باستقامة القلب • • • •

الباب السادس والاربعون

في ذكر الاسباب المعينة
على قيام الليل وادب النوم فمن ذلك ان العبد يستقبل الليل عند غروب
الشمس بتجديد الوضوء ويقعد مستقبل القبلة منتظرا لمجيء الليل وصلاة
المغرب معتما وذلك على انواع الاذكار ومن اولاها التسبيح والاستغفار
قال الله تعالى لنبيه واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار
ومن ذلك ان يواصل بين العشائين بالصلاة والتلاوة او الذكر وافضل ذلك
الصلاة فانه اذا واصل بين العشائين تنغسل عن باطنه آثار الكدورة الحادثة
في اوقات النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم فان ذلك كله له
اثر ظاهر وخدش في القلوب حتى النظر اليهم يعقب كدرا في القلب يدركه
من رزق صفاء القلب فيكون اثر النظر الى الخلق للبصيرة كالقذى في العين
للبصر وبالمواصلة بين العشائين يرجى ذهاب ذلك الاثر • ومن ذلك ترك

الحديث بعد العشاء الآخر فان الحديث في ذلك الوقت يذهب طراوة النور
الحادث في القلب من مواصلة العشائين ويقيّد عن قيام الليل سيما اذا
كان عريا عن يقظة القلب ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الآخرة ايضا معين على
قيام الليل • حكى لي بعض الفقراء عن شيخ له بخراسان انه كان يغتسل بالليل
ثلاث مرات مرة بعد عشاء الآخرة ومرة في اثناء الليل بعد الانتباه من النوم
ومرة قبل الصبح فللوضوء والغسل بعد العشاء الآخرة اثر ظاهر في تيسير
قيام الليل ومن ذلك القعود على الذكر او القيام بالصلاة حتى يغلب النوم
فان ذلك يعين على سرعة الانتباه الا ان يكون واثقا من نفسه وعادته فيتعمل
للنوم ويستجلبه ليقوم في وقته المعهود والا فالنوم عن الغلبة هو الذي يصلح
للمريدين والطالبين الصادقين وبهذا وصف المحبون قيل نومهم نوم الغرقى
واكلهم اكل المرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهمّ مجتمع متعلق بقيام الليل
يوفق لقيام الليل وانما النفس اذا طمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه
واذا ازعجت بصدق العزيمة لا تسترسل في الاستقرار • وهذا الانزعاج
في النفس بصدق العزيمة هو التجافي الذي قال الله تعالى تتجافى جنوبهم عن
المضاجع الآية لان الهم بقيام الليل وصدق العزيمة يجعل بين الجنب والمضجع
نبوا وتجافيا • وقد قيل للنفس نظران نظر الى تحت لاستيفاء الاقسام البدنية
ونظر الى فوق • لاستيفاء الاقسام العلوية الروحانية فارباب العزيمة تجافت
جنوبهم عن المضاجع لنظرهم الى فوق الى الاقسام العلوية الروحانية فاعطوا
حقها من النوم ومنعوها حظها فالنفس بما فيها مركوز من الترابية والجمادية
ترسب وتستجلس وتستلذ النوم • قال الله تعالى هو الذي خلقكم من
تراب • وللآدمي بكل اصل من اصول خلقته طبيعة لازمة له والرسوب صفة
التراب والكسل والتقاعد والتثاوم بسبب ذلك طبيعة في الانسان
فارباب الهمة اهل العلم الذين حكم الله لهم بالعلم في قوله امن هو قانت آناء
الليل ساجدا وقائما حتى قال قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
حكم لهؤلاء الذين قاموا بالليل بالعلم فهم لموضع علمهم ازعجوا النفوس عن مقار

طبيعتها ورقوها بالنظر الى اللذات الروحانية الى ذرى حقيقتها فتجافت
جنوبهم عن المضاجع وخرجوا من صفة الغافل الهاجع ومن ذلك ان يغير العادة
فان كان ذا وسادة يترك الوسادة وان كان ذا وطاء يترك الوطاء وقد
كان بعضهم يقول لان ارى في بيتي شيطانا احب الي من ان ارى وسادة
فانها تدعو الى النوم • ولتغيير العادة في الوسادة والغطاء والوطاء
تاثير في ذلك ومن ترك شيئا من ذلك والله عالم بنيته وعزيمته يثيبه على
ذلك بتيسير ما رامه • ومن ذلك خفة المعدة من الطعام ثم تناول ما ياكل
من الطعام اذا اقترن بذكر الله ويقظة الباطن اعان على قيام الليل لان بالذكر
يذهب داؤه • فان وجد للطعام ثقلا على المعدة ينبغي ان يعلم ان ثقله على
القلب اكثر فلا ينام حتى يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار
يقول بعضهم لان انقص من عشائي لقمة احب الي من ان اقوم ليلة والاحوط
ان يوتر قبل النوم فانه لا يدري ما يحدث ويعد طهوره وسواكه عنده
ولا يدخل النوم الا وهو على طهارة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا نام العبد وهو على الطهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة
وان لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتكون المنامات اضغاث احلام
لا تصدق والمريد المتأهل اذا نام في الفراش مع الزوجة ينتقض وضوؤه باللمس ولا
تفوته بذلك فائدة النوم على الطهارة ما لم يسترسل في التذاذ النفس باللمس
ولا يعدم يقظة القلب فاما اذا استرسل في الالتذاذ وغفل فيحجب الروح
ايضا لمكان صلافته والطهارة التي تثمر صدق الرؤيا طهارة الباطن عن حديث
الهوى وكدورة محبة الدنيا والنقاوة عن انجاس الغل والحقد والحسد وقد
ورد من اوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد ولا يحقد على احد غفر له ما اجترم
واذا طهرت النفس عن الرذائل انجلى مرآة القلب وقابل اللوح المحفوظ في النوم
وانتقش فيه عجائب الغيب وغرائب الانباء ففي الصديقين من يكون له في منامه
مكالمة ومحادثة ويامره الله تعالى وينهاه ويفهمه في المنام ويعرفه ويكون
موضع ما يفتح له في نومه من الامر والنهي كالامر والنهي الظاهر يعني الله

تعالى ان اخل بها بل تكون هذه الاوامر آكد واعظم وقعا لان المخالفات
الظاهرة يمحوها التوبة • والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وهذه اوامر
خاصة تتعلق بحاله فيما بينه وبين الله فاذا اخل بها يخشى عليه ان ينقطع طريق
الارادة ويكون في ذلك الرجوع عن الله واستيجاب مقام المقت فان ابتلي العبد
في بعض الاحايين بكسل وفتور عزيمة يمنع من تجديد الطهارة عند النوم بعد الحدث
فيمسح اعضاءه بالماء مسحا حتى يخرج بهذا القدر عن زمرة الغافلين حيث تقاعد
عن فعل المتيقظين وهذا اذا كسل عن القيام عقيب الانتباه ويجتهد ان يستاك ويمسح
اعضاءه بالماء مسحا في تقلباته وانتباهه ففي ذلك فضل كثير لمن كثر نومه وقل
قيامه • روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مرارا
عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فاما
على جنبه الايمن كالملحود واما على ظهره مستقبلا للقبلة كالميت المسجى ويقول
بسمك اللهم وضعت جنبي وبك ارفعه اللهم ان امسكت نفسي فاغفر لها
وارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم اني وجهت
وجهي اليك وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك رهبة ورغبة اليك
لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك امنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت
اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك الحمد لله الذي علا فقهر الحمد لله الذي بطن
فخبر الحمد لله الذي ملك فقدر الحمد لله الذي هو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير
اللهم اني اعوذ بك من غضبك وسوء عقابك وشر عبادك وشر الشيطان وشركه
ويقرأ خمس ايات من البقرة الاربع من الاول واية ان في خلق السموات واية
الكرسي وامن الرسول وان ربكم الله الذي وقل ادعوا الله واول سورة
الحديد واخر سورة الحشر وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد والمعوذتين
وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وان اضاف الى ما قرأ عشرا
من اول الكهف وعشرا من اخرها فحسن ويقول اللهم ايقظني في احب الساعات
اليك واستعملني باحب الاعمال اليك الذي يقربني اليك زلفى ويبعدني من سخطك
بعدا اسألك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي اللهم

يومين